

تساؤلات الله فى سفر أشعياء
نَبَتَ قدامهُ كفرخ
أش ٥٣:٢
٥
الأنبا ايساك

تساؤلات الله

فى سفر إشعياء

الأنبا ايساك

اسم الكتـــاب : تساؤلات الله فى سفر إشعياء

إعـــــداد : الأنبا إيساك

الناشـــــر : كنيسة مارجرجس باسبورتنج

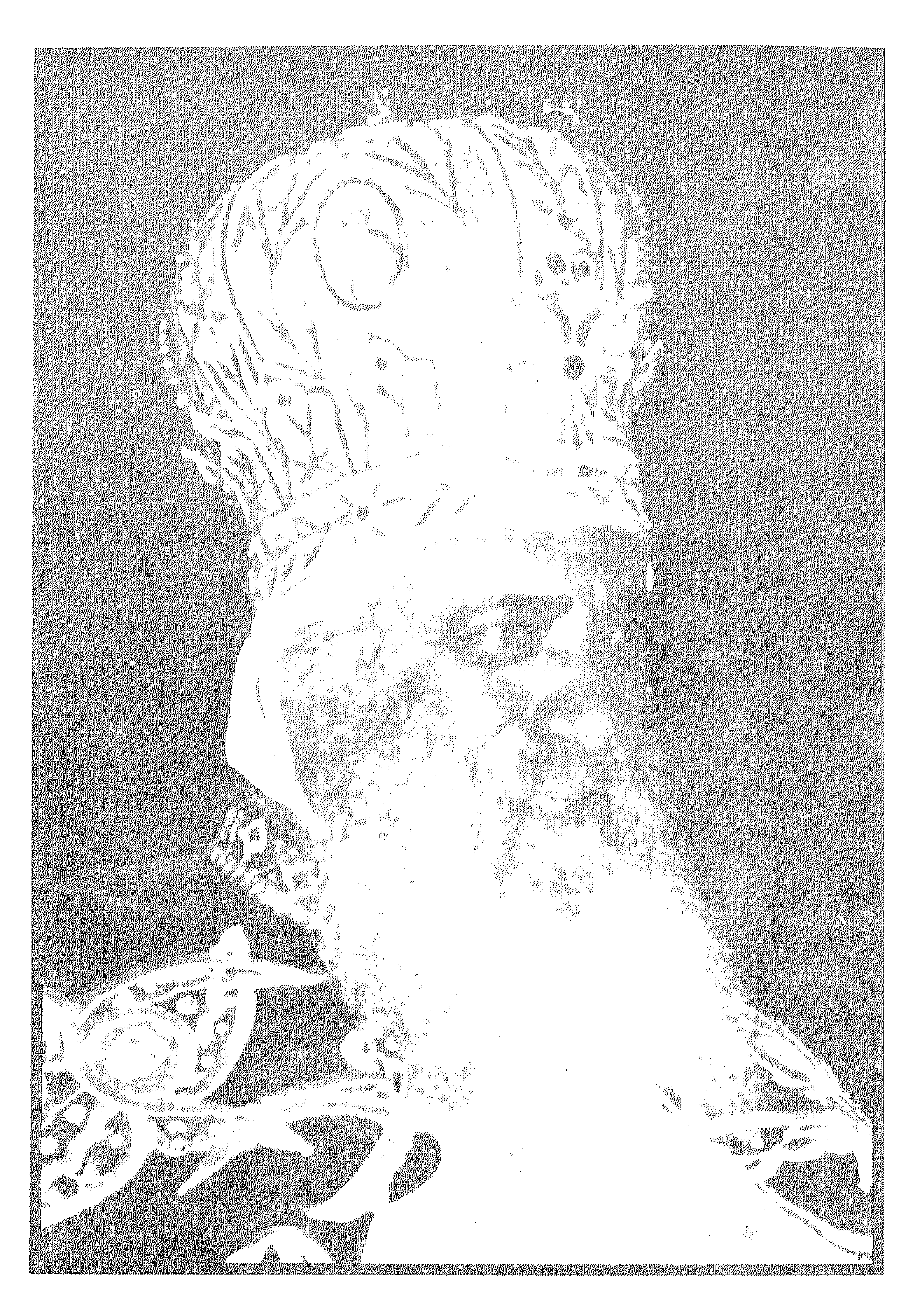
جمع كمبيوتر : الكرنك للكمبيوتر - ت ٠٣/٤٨٧٢٧١١

الطبـــاعـــة : مطبعة الكرنك - ت ٤٨٦٢٩٨٠

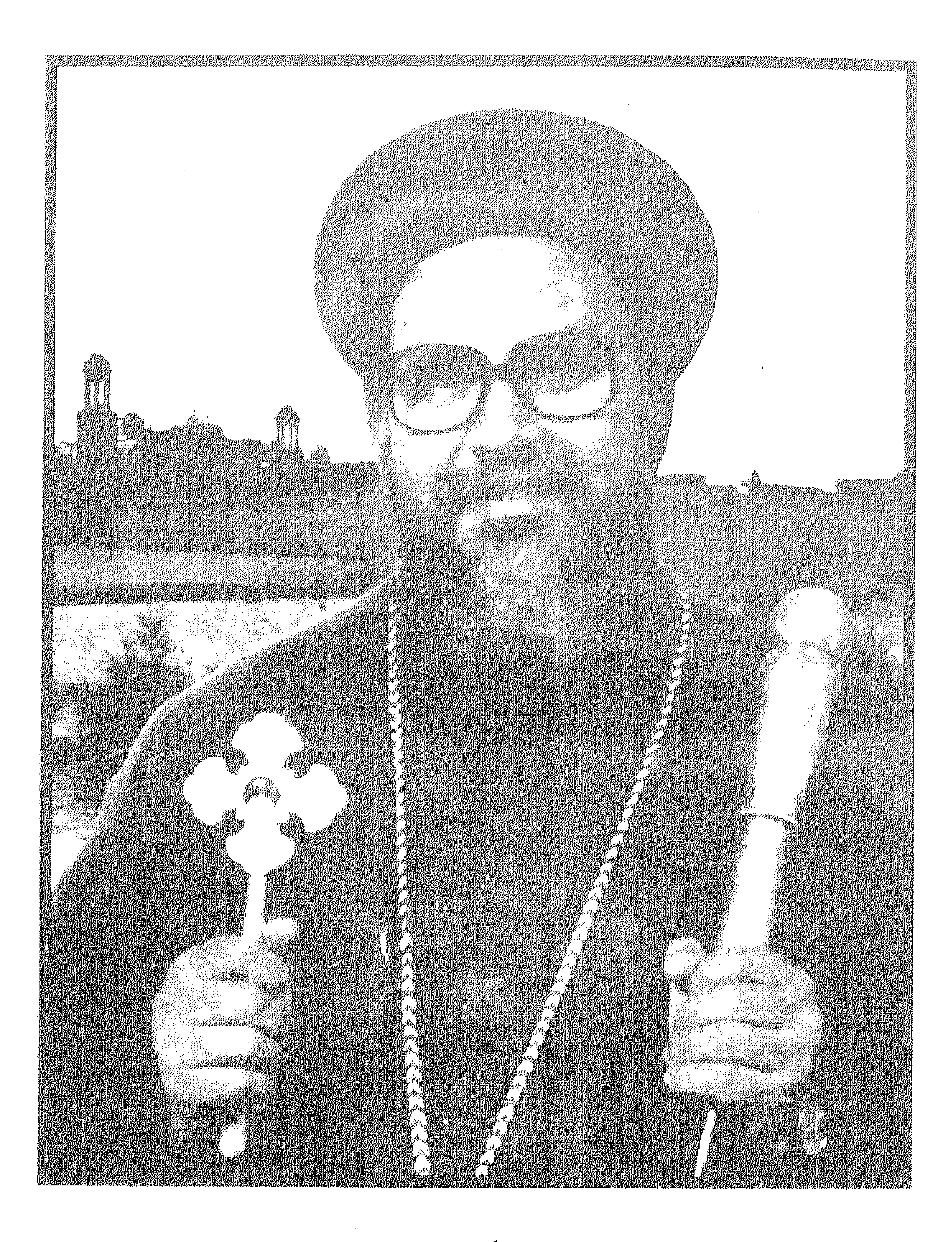
الطبـــعـــة : الأولى - ابريل ٢٠٠١

رقـم الايـداع : ٢٠٠١/٧٤٨٤

الترقيم الدولى : ٠- ٠٨٨٧- ٠٣ - ٩٧٧



قداسة البابا شنودة الثالث



نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر



بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد آمين

مقدمة

سفر إشعياء ، كان ومازال ، سفراً عجيبًا ومبهراً بالنسبة لى . ما أن أقرأ فيه ، حتى تتدفق فى قلبى أنهار من التعزيات الالهية . إنه السفر الذى بدأ ربنا يسوع المسيح له المجد خدمته الجهارية وسط الناس بالقراءة فيه . فقد ورد فى انجيل معلمنا لوقا : « ودخل (يسوع) المجمع حسب عادته يوم السبت ، وقام ليقرأ . فدفع إليه سفر إشعياء النبى . ولما فتح السفر ، وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه ، روح الرب علىّ لأنه مسحنى ، لأبشر المساكين أرسلنى ، لأشفى المنكسرى القلوب ، لأنادى للمأسورين بالاطلاق، والعمى بالبصر ، وأرسل المنسحقين فى الحرية ، وأكرز بسنة الرب المقبولة ، فابتدأ يقول لهم ، أنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم » (لو٤ : ١٦ - ٢٢) .

لقد عشت مع إشعياء النبى شهوراً عبر اصحاحات هذا السفر فى قلايتى بالدير ، أكاد لا أخرج منها إلا لرفع القرابين فى القداس الالهى على مذابح الدير ... وتعزت نفسى جداً بالتساؤلات الالهية المتناثرة عبر اصحاحاته ، التقطها ، وأتأمل فيها ، وأناجى الله عنها . ولما اكتملت ، بدأت أدون بقدر المستطاع ما أنعم الله به علىّ من أفكار وتفاسير .

فكان هذا الكتاب ، الذى أنشره لتعم الفائدة الروحية على أخوتى فى الكنيسة المقدسة .

يلقى هذا السفر ضوءاً شديداً على أعماق قلب الله ، فكل من يفهمه فهماً جيداً ، يكاد يفهم كل الانجيل ، والخطط الالهية المذهلة لخلاص البشر ، جميع البشر على كوكب الأرض .....

لقد حدد اسماء ملوك قبل مولدهم بمئات السنين ، وأحداثاً هامة ستجرى فى زمانهم - كما أنه وصف حياة الرب يسوع على الأرض ، وكأنه معاصر لها قبل ميلاد المسيح بحوالى الفى سنة - وهذا برهان ملموس على أن روح الله هو الذى أوحى بهذا السفر مع كل الأسفار الأخرى ، وصار من أكثر الأسفار النبوية التى استشهد بها الرسل الذين كتبوا أسفار العهد الجديد.

لقد ظن بعض المفسرين أن هناك أكثر من كاتب لسفر إشعياء ، وذلك لاختلاف الأسلوب فى اجزاء من السفر عنها فى الأجزاء الأخرى . فمنهم من قال أنهم كاتبان على الأقل ، ومنهم من أوصلهم إلى ستة ! ولكنى لا أميل لهذا الرأى على الاطلاق ، أما اختلاف الأسلوب فهذا يرجع إلى الموضوع الذى يتحدث عنه ، فهو حينما يصور محبة الله لقديسيه ، يفيض أسلوبه رقة وحناناً ، أما حين يتوعد الأشرار غير التائبين ، يقسو بأسلوبه جداً إلى درجة الرعب وصب الويلات ، وهذا يدل على غنى عمل الروح القدس فى هذا النبى العظيم ...

ألتمس من روح الله القدوس الذى أوحى بهذا السفر المذهل أن يضئ قلب وعقل كل قارئ بالمعانى الالهية التى قصدها ...

مجداً للمسيح ...

وسلاماً وبنياناً لكنيسة الله المقدسة ...

آمين ،

ايساك

٢٩ كيهك سنة ١٧١٧ش .

٧ يناير سنة ٢٠٠١م .

عيد ميلاد ربنا يسوع المسيح .

١- عندما لا تجدى العقوبة

على مَ تضربون بعد ؟

(اش ١ : ٥)

غاية العقوبة هى التأديب والتهذيب والاصلاح ... أما أن كانت العقوبة تزيد المعاقب زيغاناً وانحرافاً ، فقد خرجت عن غايتها ، ولذلك يكون من الأفضل ايقافها .

المربى العاقل ، هو الذى لا يستخدم المعاقبة إلا فى نطاق فائدة المعاقب وتربيته إلى الأفضل ... أما المربى المعقد ، فهو ينفعل متهيجاً وهو يوقع العقوبة ، لإثبات سلطته الغاشمة ، وهذا يؤذى من هم تحت سلطان تربيته أكثر مما يفيدهم ، لأنهم حينما لا يرتدعون من العقوبة الأولى نراه بغباء يوقع عليهم عقوبة ثانية أشد ! وذلك كى يحملهم على تنفيذ عقوبته الأولى... وهكذا يدخل فى دوامة من العنف والقسوة لا يقابلها سوى الاستخفاف واللامبالاة من الجانب الآخر ، والتغامز على تلك السلطة التى وضعت فى غير موضعها .

❖ الله جل جلاله يضع أمامنا النموذج فى هذا الاصحاح الأول من سفر إشعياء ، فطالما وجد أن العقوبة لا تجدى ، التجأ على الفور إلى أسلوب الحوار : « هلم نتحاجج يقول الرب » (١) وأوضح لهم الطريق الأفضل الذى يسلكون فيه : « أغتسلوا تنقوا . أعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى . كفوا عن فعل الشر ، تعلموا فعل الخير . أطلبوا الحق . انصفوا المظلوم ، أقضوا لليتيم ، حاموا عن الأرملة » (٢) .

ومـاذا يارب عن خطاياهم السالفة ؟ يقول الرب « أن كانت خطاياكم

---

(١) اش ١ : ١٨

(٢) اش ١ : ١٦ ، ١٧ .

كالقرمز تبيض كالثلج . إن كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف ، (١) .

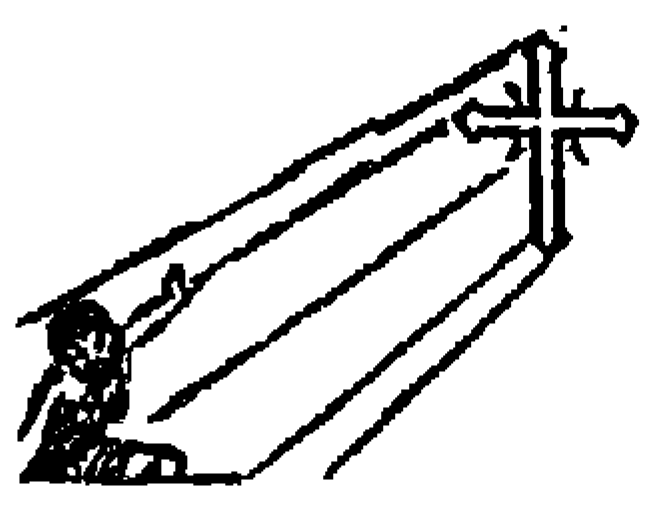
ثم يشجعهم الرب الاله بوعد ، « إن شئتم وسمعتهم تأكلون خير الأرض ، (٢) .

وهكذا تتوقف دوامة العقوبة المتفاقمة والإستخفاف المتأصل .

❖ نحن لا نجد فى حياة ربنا يسوع المسيح له المجد ، الذى هو مثلنا الأعلى ، أنه عاقب أحداً على الاطلاق ... لذلك نصلى له فى القداس الالهى : « أنت يا سيدى حولت لى العقوبة خلاصاً ... (٣) .

❖ قد تكون العقوبة طريقة قصيرة ومباشرة فى التربية ، ولكنها تُحدث دماراً نفسياً عميقاً قد لا يمحوه الزمن ، لاسيما أن استعملت قسوة مبالغ فيها ... ولكن كل المدارس الحديثة فى التربية ، تمنع الضرب فى المدارس وتوصى الآباء والمدرسين أن يفهموا الطفل خطأه عن طريق الحوار وبطول أناة (نفس أسلوب اللهّ) واستخدام أسلوب الاقناع لا أسلوب القصر ... فرغم أن هذا الأسلوب قد يستغرق وقتاً وجهداً ، إلا أنه هو الأمثل ، حتى يشب الطفل انساناً سوياً مستقراً نفسياً وخال من العقد .

❖ ليت الكنيسة تسلك كما سلك ربها وفاديها ، مستلهمة روح اللّه (٤) فى معالجة الأخطاء التى قد تتسرب فى وسطها ، ولا تتصرف كمن يسود على الأنصبة (٥) . حتى لا يفارق روح اللّه الكنيسة ، ويسودها الخراب الروحى .



---

(١) اش ١ : ١٨ . (٢) اش ١ : ١٩ . (٣) القداس الغريغورى .

(٣) ١ كو ٥ : ٤ . (٥) ١ بط ٥ : ٣ .

٢- تدين قطاع خاص

لماذا لى كثرة ذبائحكم ؟ من طلب
هذه من أيديكم ؟ (اش ١ : ١٢)

قد يستطيع انسان فاسد القلب أن يتلو صلواته كلها بالأجبية كل يوم ! ... ويستطيع حضور القداسات والتناول متواتراً ، ويحرص على الأصوام التى بالسمك والتى بدون سمك ، ويواظب على التسبحة اليومية وقانون القراءات ، ثم يشكو أن الخطيئة متفاقمة فى حياته ! أى أن الله ليس له عمل فى كيانه ... لأنه يصنع كل هذا خارجيًا ، وليس له التقاء بالله فى الانسان الباطن ... أنه متدين ولكن تدينه قطاع خاص لكبرياء ذاته ، وليس عبادة مقدمة بتواضع إلى خالقه .

الشيطان لا يمانع بل ويشجع ممارسات العبادة الشكلية ، لأن بها يضلل الانسان المسكين أنه على أفضل ما يكون للعبادة لله ، أما الخطية فتترسخ وتزداد شوكتها وسط هذا الجو من الطمأنينة الزائفة . يالها من مأساة !! .

❖ لقد فشل الناموس فى تأديب شعب اسرائيل ، وفشلت الذبائح الحيوانية أيضاً فى تقديسهم ... ولقد ذكر سفر الأمثال نموذجاً صارخاً عن هذا ... فالمرأة الزانية كانت تغوى الغلمان بأن يتنجسوا معها قائلة لهم : أنها ستدفع ثمن ذبائح السلامة (١) ! فبدلاً أن تكون الذبيحة عنصر تخشع وتوبة ، أصبحت عنصراً للسقوط فى النجاسة والزنى ! عن هذا يتسائل الله : لماذا لى كثرة ذبائحكم ؟ من طلب هذا من أيديكم ؟

❖ على كل من يصلى ويصوم ويتلو التسبحة اليومية ، ويوزع على

---

(١) أم ٧ : ١٤ .

أخوة الرب صدقات ، ويرفع ذبائح ، ويعمل أعمال بر ، ويجتهد فى معرفة ارادة اللّه ... الخ أن يقف مع نفسه لحظة صدق ، ترى ماذا فعل كل هذا فى خطاياى الساكنة فى أعضائى ... لماذا عبادتى لم تبد خطيئتى ؟ وإلا ستكون كمن أوقد ناراً ، ولم يسلطها على إناء الطهى ، فالنار موقدة بلا جدوى ، والطعام لا يطهى !

❖ هناك من يصلون ولكن اللّه يقول لهم : « حين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم وأن كثرتم الصلاة لا أسمع » (١) . « ويصرخون إلىّ فلا أسمع لهم » (٢) .

❖ وعن الاعتكاف : « لست أطيق الاثم والاعتكاف » (٣) .

❖ وعن الذهاب إلى الكنيسة : « هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص ؟ » (٤) . « والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى » (٥) .

❖ وعن الصوم : « يقولون لماذا صمنا ولم تنظر ، ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ » (٦) . « ما المنفعة أننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود » (٧) .

❖ وعن أعمال البر : « وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عده كل أعمال برنا » (٨) .

❖ وعن التسبيح يقول الرب : « أبعد عنى ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع » (٩) .

❖ وعن المواسم وأعياد القديسين : « بغضت كرهت أعيادكم. ولست

---

(١) اش ١ : ١٥ . (٢) ار ١١ : ١١ . (٣) اش ١ : ١٣ .
(٤) ار ٧ : ١١ . (٥) ١مل ٩ : ٨ . (٦) اش ٥٨ : ٣ ..
(٧) ملا ٣ : ١٤ . (٨) اش ٦٤ : ٦ . (٩) عا ٥ : ٢٣ .

التذ باعتكافاتكم » (١) . « حينما تأتون لتظهروا أمامى ... لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة . البخور هو مكرهة لى ، رأس الشهر والسبت ونداء المحفل » (٢) .

❖ وعن القرابين والذبائح : « أنى إذا قدمتم لى محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى ، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها » (٣) . « أنى أريد رحمة لا ذبيحة » (٤) .

❖ بل وحتى طلب معرفة طرق الله يقول الله لائماً : « وإياى يطلبون يومًا فيوماً ويسرون بمعرفة طرقى ... يسألوننى عن أحكامِ البر .. يسرون بالتقرب إلى الله » (٥) . « هكذا قال السيد الرب . هل أنتم آتون لتسألونى . حى أنا لا أسأل منكم يقول السيد الرب » (٦) .

ويلخص إشعياء النبى كل هذه الأحوال فى الآية :

« هذا الشعب قد اقترب إلىّ بفمه وأكرمنى بشفتيه وأما قلبه فابعده عنى » (٧) .

❖ الله يهمه الكيف وليس الكم كما يعلمنا الرسول بولس : « ولكن فى كنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهنى لكى أعلم آخرين أيضاً أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان (٨)(غير مفهوم) » . ومن تعاليم ربنا يسوع المسيح: « حينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم . فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم فلا تتشبهوا بهم » (٩) . « ولماذا تدعوننى يارب يارب وأنتم لا تفعلون ما أقوله ؟ » (١٠) . أليس الأمر يحتاج إلى وقفة مراجعة ؟

---

(١) عا ٥ : ٢١ . (٢) اش ١ : ١٣ . (٣) عا ٥ : ٢٢ .
(٤) هو ٦ : ٦ . (٥) اش ٥٨ : ٢ . (٦) حز ٢٠ : ٣ .
(٧) اش ٢٩ : ١٣ . (٨) اكو ١٤ : ١٩ . (٩) مت ٦ : ٧ .
(١٠) لو ٦ : ٤٦

٣- قـرية زانيـة

كيف صارت القرية الأمينة زانية ؟

(اش ١ : ٢١)

يحلو للاله القدير أن يشبه العلاقة بينه وبين شعبه بتشبيهات يمكننا نحن البشر أن نفهم جوانبها : كمثل الكرمة والأغصان (١) ، والأب والابناء (٢) ، والراعي والخراف (٣) ... ومن أشهر التشبيهات فى الكتاب المقدس هى كعلاقة الرجل بالمرأة ، فهى علاقة حماية ورعاية وحب وارتباط المصير حتى النهاية ... فنجد الله يخاطب شعبه فى العهد القديم : « وأخطبك لنفسى إلى الأبد وأخطبك لنفسى بالعدل والحق والاحسان والمراحم أخطبك لنفسى بالأمانة فتعرفين الرب » (٤) .

وفى العهد الجديد يقول الرسول بولس نفس المعنى : « فإنى أغار عليكم غيرة الله لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٥) ويأخذ الرسول واقعة خلقة حواء لأدم ويطبقها على العلاقة بين النفس والمسيح قائلاً : « لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه ... هذا السر عظيم ولكننى أقول من نحو المسيح والكنيسة ... » (٦) . ولقد قصد الروح القدس أن يضع سفراً بأكمله ضمن أسفار العهد القديم وهو سفر نشيد الأناشيد كى يؤكد لنا هذه العلاقة الرائعة العجيبة بيننا وبين الله !

❖ هذه العلاقة الزيجية تحتاج إلى الأمانة من كل طرف من طرفيها نحو الطرف الآخر كى تدوم وتزدهر ... فمن جهة الله فهو أمين (٧) أمانة

---

(١) يو ١٥ : ٥ . (٢) لو ١٥ : ١١ . (٣) لو ١٠ : ١١ .
(٤) هو ٢ : ١٩ ، ٢٠ . (٥) ٢كو ١١ : ٢ . (٦) اف ٥ : ٣٠ .
(٧) رؤ ٣ : ١٤ .

مطلقة ، حتى وأن كنا (نحن) غير أمناء ، فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه (١) ... فهو يحمي كنيسته (٢) ويراعاها (٣) ويحبها (٤) ، ويربط مصيرها به (٥) .... .

وأما من جهة البشر فقد يكونون أمناء من نحو عريسهم المسيح كمثل ابراهيم أب الآباء (٦) ، وخروج الشعب وراء الله فى البرية (٧) وقطعهم العهود على أنفسهم أن يسيروا فى وصايا الله (٨) ، والثبات مع المسيح أوقات التجارب العاصفة (٩) ...

وقد يتخلى البشر عن أمانتهم لله فيكونون كمثل امرأة زانية تركت أليف صباها وتطلعت إلى غرباء ... وهذا الكارثة ... ، لأنه البعداء عنك (يا الله) يبيدون . تهلك كل من يزنى عنك ، (١٠) .

❖ الزنى شر فظيع ، لأنه كسر للأمانة والعهود والالتزام بالتعهدات والمواعيد ، المرأة التى تزنى هى فى الواقع تستخف برجلها ، وتخادعه ، وتقطع الرابطة بينها وبينه ، وتجعله كما لو كان محرماً عليها !! وقد يخدع الغريب الزوجة الأمينة بأنه أكثر حناناً عليها من زوجها ... وتنسى أنه حنان الاغراء حتى إذ ما لوثها ، ويفصل بينها وبين زوجها تكتشف أنه أقسى من الثعابين والتنانيين المرعبة ، لأنه يريد اللذة بدون ارتباط رجولى والتزام طول الحياة ...

من حق الزوج أن يطلق زوجته الزانية (١١) ، ومن حق المجتمع أن

(١) ٢تى٢ : ٣ . (٢) اع ٩ : ٤ . (٣) يو ١٠ : ١٤ .
(٤) اف ٥ : ٢٥ . (٥) يو ١٧ : ٢٤ . (٦) تك ٢٢ : ١٦ ، ١٧ .
(٧) ار ٢ : ٢ . (٨) حز ٢٤ : ٣ ، يش ٢٤ : ١٦ ، ١٨ ، ١مل ١٨ : ٣٩ .
(٩) تث ٧ : ١٩ ، لو ٢٢ : ٢٨ . (١٠) مز ٧٣ : ٢٧ .
(١١) متى ٥ : ٣٢ .

يعاقبها بالرجم حتى الموت حسب الشريعة (١) ... فماذا يفعل الله حين يطلب شعبه آلهة أخرى ليتعبدوا لها؟ فى العهد القديم زنوا وراء الأصنام (٢)، وفى العهد الجديد زنوا عن الله (٣) وراء عبادة المال (٤) ، أو شهوات الجسد (٥) ، أو مجد الناس (٦) .

لقد اختار الله طريقاً مغايراً ، وهو أن يؤدب شعبه دون أن يطلقهم عنه ، كى يبقى هو أميناً فى وعوده الأبدية مع هذا الشعب الزانى عنه ...

- « وقلت لها تقعدين أياماً كثيرة لا تزنى ولا تكونى لرجل ... (٧) » .

- « ولكنى أذكر عهدى معكِ فى أيام صباك وأقيم لك عهداً أبدياً ، فتتذكرين طرقك وتخجلين ... ولا تفتحى فاك بعد بسبب خزيك حين أغفر لك كل ما فعلتِ يقول السيد الرب » (٨) .

- « هل رأيت ما فعلت العاصية اسرائيل ، انطلقت إلى كل جبل عالٍ وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك ... أرجعى أيتها العاصية اسرائيل يقول الرب . لا أوقع غضبى بكم لأنى رؤوف يقول الرب ، لا أحقد إلى الأبد . اعرفى فقط اثمك أنك إلى الرب إلهك أذنبتِ » (٩) .

- « فقال لها يسوع : ولا أنا أدينك . اذهبى ولا تخطئى أيضاً » (١٠) .

❖ نلاحظ أن اللّه فى هذا التساؤل : كيف صارت القرية الأمينة زانية ؟ ، لا ينسى أمانتها الأولى ، وكأنه يذكّر كل نفس أنه مازال يحبها ، وأن رصيد المحبة لا ينفذ بينه وبينها ، وكأن الخيانة والارتداد عنه هو

(١) تث ٢٢ : ٢٣ . (٢) حز ١٦ : ٣٠ . (٣) ١يو ٥ : ٢١ .
(٤) مت ٦ : ٢٤ . (٥) فى ٣ : ١٩ . (٦) يو ٥ : ٤٤ .
(٧) هو ٣ : ٣ . (٨) حز ١٦ : ٦٠ ، ٦٣ . (٩) ار ٣ : ٦ : ١٢ .
(١٠) يو ٨ : ١١ .

عارض طارئ وفترة محدودة صغيرة جداً ، إذ يقول : « أنا أشفى ارتدادهم. أحبهم فضلاً لأن غضبى قد ارتد عنه » (١) ، وسوف لا يهدأ الله حتى يهيئ الكنيسة لتكون كعروس مزينة لرجلها (٢) ... وأعطيت أن تلبس بزاً نقيًا بهيًا . لأن البز هو تبررات القديسين (٣) الذين سيعيشون بالأمانة معه إلى الأبد .



(١) هو ١٤ : ٤ . (٢) رؤ ٢١ : ٢ . (٣) رؤ ١٩ : ٨ .

٤- فى يد النصابين

كفو عن الانسان الذى فى أنفه
نسمة . لأنه ماذا يُحسب ؟
(اش ١ : ٢٢)

كمثل انسان وقع فى يد نصابين أفافين مخادعين ، يبتزون كل موارده ويوقعوه فى صفقات خاسرة ، الصفقة تلو الأخرى لحسابهم هم ... هكذا الانسان عندما يقع فى أيدى الشياطين ، فتتلهى به حتى يتورط فى صفقة السجن الطويل ثم الاعدام ، ولا يكتشف خداعهم وأنهم كانوا يكذبون عليه طول الوقت، إلا حين يعلق فى حبل المشنقة وسط ضحكاتهم الشامتة (!) .

وكمثل المخاتل الذى يتظاهر للانسان المغفل بأنه أوفى صديق ، حتى يستفرد به ثم يصاحبه كأنه فى نزهة جميلة وسط زهو واشجار إلى هاوية بئر مهلكة ، فيدفعه فجأة ويسقطه فيها متهشماً وهو يسمع ضحكات المخاتل وهو يستهزئ وينغض الرأس ... هكذا الأعداء الشياطين .

❖ الاصحاح الثانى من سفر إشعياء يصور كيف خاتلت الشياطين شعب الله حتى أبعدتهم عنه ، ولكن الله يرى وينظر كاشفًا كل ألاعيبهم وينتهرهم فى هذا التساؤل : كفوا عن الانسان الذى فى أنفه نسمة (حياة مثى) لأنه ماذا يحسب (بإذائكم) ؟

أثناء وفى حال خطاياهم ، تملأ الشياطين حياتهم غنى ورفاهية ، وامتلأت أرضهم فضة وذهباً ولا نهاية لكنوزهم وامتلأت أرضهم خيلاً ولا نهاية لمركباتهم ، (١) . ولكن مع كل هذا ، أمتلأت أرضهم أوثاناً .

---

(١) اش ٢ : ٧ .

يسجدون لعمل أيديهم ، (١) وهنا أخطر ما فى ضلال الشياطين ، فإنه يجعل الأشرار فى بذخ ، فى حين أن أبناء الله يعانون الضيقات والكروب ... فيصادق الانسان السطحى شياطينه التى تتسلى عليه حتى تودى به إلى مصير مشئوم ساجداً للجرذان والخفافيش (٢) .

وحين يشرق الله بمجده وبهاءه ، فينخفض تشامخ الانسان وتوضع رفعه الناس ويسمو الرب وحده ... يدخلون فى مغاير الصخور وفى حفائر التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض ، (٣) .

الله القدير المحب للبشر وهو يريد خلاص الانسان من تلك الضلالات ، يبدد عنه كل الشياطين التى تجعله ينحرف عن طرق الرب ، صارخاً فى وجوههم : كفوا عن الاستخفاف بالانسان . كفوا عن استغفال البسطاء السذج وتضليلهم ، كفوا عن التآمر عليه ... فلم تزل نسمة الحياة التى أخذها منى موجودة فيه ... لا تستغفلوا طيبة الانسان الذى يصدق أكاذيبكم بسلامة نية ، فهو ليس نداً لكم فى الشر . أيها الخبثاء الماكرون ...

❖ ومن ناحية أخرى

الانسان قد يتكبر ... أما الله فيراه تراباً (٤) فيرحمه !

وقد يأثم الانسان متجبراً ... أما الله فيعرف ضعفه فيشفيه (٥) !

وقد يتأله الانسان عاصياً ... أما الله الذى فى يده نسمة حياته ، فهو يشفق عليه (٦) !

وقد يتشامخ الانسان مذنباً ... أما الساكن فى السموات فإنه يضحك به (٧) !

---

(١) اش ٢ : ٨ . (٢) اش ٢ : ٢٠ . (٣) اش ٢ : ١٧ . (٤) مز ١٠٣ : ١٤ .
(٥) اش ٥٨ : ١٨ . (٦) دا ٥ : ٢٣ . (٧) مز ٢ : ٤ .

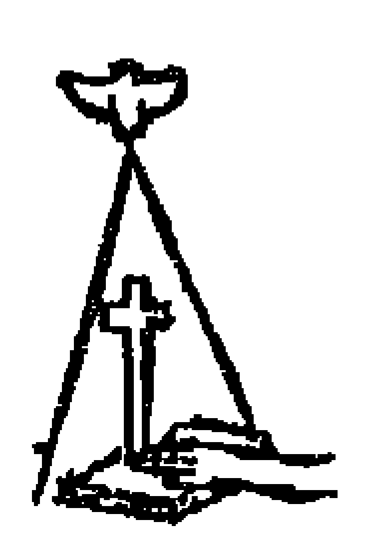
وقد يجحد الانسان متعاظمًا ... أما اللّه فمازال يشرق بشمس بره عليه (١) !

فالأولى بالانسان أن يتضع أمام الله ، ولا يسمع لفحيح الشيطان الذى يقول له أنك ستكون مثل الله ! وأن الخطية سوف لا تهلكك بل على العكس ... أفضل للانسان جداً أن يعرف ضعفه ويحتضن طينه الذى خلق منه « إنما نفخة كل انسان قد جعل إنما كخيال يتمشى الانسان ، إنما باطلاً يضجون » (٢) « لأنه ما هى حياتكم ... أنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (٣) .

فالقاعدة الروحية التى وضعها الرسول بولس : « لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى ... فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل علىَّ قوى المسيح » (٤) .

لنواجه ضعفنا ، ونعترف به ، ونذهب به إلى الله طالبين الغوث ... فضعفنا هو الذى يحنن قلب الهنا علينا ، فيسرع وينقذنا .

أما المكابرة الروحية ، فلا فائدة منها مع الله المخلص .



---

(١) متى ٥ : ٤٥ ، ملا ٤ : ٢ .　(٢) مز ٣٩ : ٦ .　(٣) يع ٤ : ١٤ .

(٤) ٢ كو ١٢ : ١٠ .

٥- مسئولية المسئولين

ما لكم تسحقون شعبى
وتطحنون وجوه البائسين
يقول السيد رب الجنود
(اش ٣ : ١٥)

فى التساؤل السابق ينتهر الرب الشياطين الذين يضلون الشعب ، أما فى التساؤل الذى أمامنا ، فهو ينتهر المسئولين الذين قد تسلطوا على الشعب بروح صبيانية ، فطوحوا بهم بعيداً عن الله .... (١) .

نكب الشعب فى أن تولى شئونهم أطفالاً (٢) ! وترأس عليهم صغار أدنياء (٣) ... والطفل ليس هو بالضرورة الصغير السن ، بل أن هناك رجالاً كباراً لم ينضجوا بعد ذهنياً (٤) وانفعالياً وعاطفياً ، فكبروا فى الجسم وسنين العمر ولكنهم ظلوا أطفالاً فى تصرفاتهم ... وقد يردع الطفل صغير السن عن أعماله الصبيانية من أجل ضعف امكانياته وعجزه واعتماده على الكبار ، ولكن الكارثة حينما يكون هناك مسئولاً له كل الامكانيات ويتصرف بروح صبيانية بدون أى رادع يردعه ... فى مثل هذا الجو يهان العاقل ، وينفى الناضج ، ويدمر الأكفاء ، حتى تخلو الساحة تماماً لأفكارهم الفجة وأعمالهم الصبيانية ... وهكذا يطحن الشعب ويسحق ... أفكار الشياطين يمكن كشفها والرد عليها وعدم الأخذ بها (٥) ، أما عندما تسود روح اللامسئولية فى المسئولين الصغار ، فإنهم يسوقون شعب الله إلى المذلة التى ما بعدها مذلة .

(١) ٢ أى ٢١ : ١١ . (٢) اش ٣ : ٥ . (٣) اش ٣ : ٤ .
(٤) ١ كو ١٤ : ٢٠ . (٥) ٢ كو ٢ : ١١ .

لهؤلاء يسألهم الله مستنكراً : « ما لكم تسحقون شعبى وتطحنون وجوه البائسين يقول السيد رب الجنود ؟ » .

❖ الطفل المسئول ، الذى أوتى قوة الرجل وسلطانه ، لابد وأن ينقلب وحشاً كاسراً ... لأن الطفل بطبيعته مخرب ، فلم تنضج بعد عنده روابطه مع البيئة ، وعلاقاته مع الحياة ، فهو لا يهتم إلا بما يحقق رغباته المباشرة ، فالمسئول الطفل سيكون بالتأكيد شخصية مخربة يميل للاتلاف والهدم ...

❖ المسئول الطفل أيضاً تعوزه الخبرة والمعرفة ، لذلك نرى أن أعماله تتسم بالغشم واللاجدوى ، والقصيرة النفع له شخصياً وليس لسواه .

❖ والمسئول الطفل ليس لديه نضج عاطفى ، فهو لا يحب إلا من يشبعون رغباته الخاصة ... لذلك فإن كل علاقاته مع الآخرين يسودها الاضطراب والأنانية .

❖ كذلك المسئول الطفل جاهل ، ولا يستطيع أن يراعى مشاعر الآخرين ، وهو يلجأ إلى الصراخ والغضب والحرد لتحقيق ذاته وفرضها على الآخرين .

❖ والمسئول الطفل لا يُقدر الجهد المبذول فى انشاء أعمال جميلة ، ولا الزمن الذى استغرق فى ترتيبات رائعة ، ولكنه بمجرد التحكم فى هذه الأمور ، يحاول أن يزيلها من تحت يده ...

❖ والمسئول الطفل لم يصل إلى التوازن فى شخصيته بعد ، فحالما يتحكم يحاول أن يهز كل الثوابت الاجتماعية بلا استقرار ولا تروى . ولأنه لم يكوّن مبادئ واضحة وثابتة لحياته ، تراه يغير كل مبادئه أسرع من تغيير ملابسه ... ويحتار من حوله ، ترى على أى درب يسير ؟

❖ والمسئول الطفل لم ينضج روحياً (بالنسبة للكنيسة) لذلك فمن السهولة أن يسقط فى التصلف ويقع فى فخاخ ابليس (١) وتتحكم فى حياته الداخلية شهوات شبابية (٢) خبيثة تغرقه هو ومن هو مسئول عنهم فى العطب والهلاك .

❋ ❋ ❋

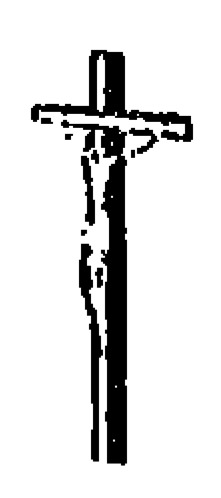
المجتمع الذى يحكمه صغار على هذا المنوال ، تتفشى فيه المظالم (٣) والأضاليل لاسيما لو كان مجتمعاً كنسياً ... ولأن الله يغار على كنيسته ، لذلك هو ينتصب لمقاومة هؤلاء الأولاد الأشرار (٤) ، ويدخل فى المحاكمة معهم (٥) ، لائماً ومبكتاً اياهم حتى لا يطوحوا شعبه بعيداً عن طرق الرب فيهلكون .

أليس بحكمة تطلب الكنيسة لأجل هذا مصلية :

نسألك أيها المسيح إلهنا   ثبت أساس الكنيسة ...

لينم بر الايمان   سهل لنا طريق التقوى ...

الشيوخ قوهم   الذين فى الحداثة أدبهم (٦) .



---

(١) ١ تى ٣ : ٦ .   (٢) ٢ تى ٢ : ٢٢ .   (٣) اش ٣ : ١٢ .

(٤) اش ٣ : ١٢ .   (٥) اش ٣ : ١٤ .   (٦) طلبة القداس الغريغورى .

٦- أيــن الثمــار

ماذا يُصنع أيضًا لكرمى وأنا لم أصنعه له ؟
لمــاذا إذا انتـظـرت أن يصنـع عـنبًا ، صنـع
عنبًا رديئًا ؟ (اش ٥ : ٤)

كنا مجموعة من الكهنة نقرأ فى الكتاب المقدس ، ولما قرئت هذه الآية علق أحدهم بسرعة قائلاً : ياه إحنا غلبنا ربنا ... وركز آخر على كلمة « أيضاً » فى الآية ... أى أن الله قد استنفذ كل وسائل اصلاح الكرمة حتى لم يبق وسيلة أخرى للاصلاح ... ويبدو أن الله هنا فى هذا التساؤل يريد أن يوضح أن الفساد الذى أصاب اسرائيل لم يكن مرجعه قصور فى الفلاحة كمثل شجرة الكرم ... فلقد اعتنى الله به جداً حتى أنه نقى الأرض من الحجارة ونقب ثم غرس الشتلة وسمد وروى وصارت تنمو ... ولكن فى أوان الاثمار فوجئ أن عنبها عنبًا رديئًا !! فالفساد هنا فساد داخلى فى طبيعة الكرمة ذاتها ... ولذلك بعدل يكف الله عن العناية بهم ، بل ويطرحهم بعيداً حتى لا يعطلوا الأرض ، ويأتى بغرس جديد بلا فساد يستحق كل هذه العناية والاهتمام ... « وأنا قد غرستك كرمة سورق (أى حمراء منتقاه) زرع حق كلها فكيف تحولت لى سروغ (أى عنب برى سام محتقر) جفنه غريبة (١) » .

❋ ❋ ❋

❖ ولنركز الآن على ما صنعه الله لبنى اسيرائيل كرمة العهد القديم ... حيث انتقى الآباء ابراهيم واسحق ويعقوب دونا عن كل قبائل الأرض

(١) ار ٢ : ٢١.

آنذاك ودعمهم بالمواعيد والعهود ... وحينما استعبدهم فرعون رأى الرب مذلتهم وأرسل لهم موسى ويشوع ، وشق أمامهم البحر الأحمر ونهر الأردن ، وعالهم أربعون سنة فى برية قاحلة ونصرهم على فرعون وعماليق وكل الممالك التى كانت منتشرة فى أرض كنعان ، وأعطاهم شرائعة ونواميسه وجعل خيمته فى وسطهم - أطعمهم ورواهم ، وظلل عليهم نهاراً وأنار لهم ليلاً ... وبعد كل هذا ، كان ينتظر منهم أن يستقيموا فى عبادته ويقدسوا شرائعه ، ولكنهم على العكس تمردوا وعصوا ، وعشقوا عبادات الأوثان . عن هذا يقول رب الجنود : « وقلتم ما هذه المشقة وتأففتم عليه (١) » . وأيضاً : « فإن للرب خصومة مع شعبه وهو يحاكم اسرائيل . يا شعبى ماذا صنعت بك وبماذا أضجرتك . أشهد علىَّ (٢) » ، وأنت لم تدعنى يا يعقوب حتى تتعب من أجلى يا اسرائيل لم تحضر لى شاة محرقتك وبذبائحك لم تكرمنى ... لكن استخدمتنى بخطاياك وأتعبتنى بآثامك (٣) » .

وفى نفس التساؤل يوضح مدى عناية الله بكرمه بنى اسرائيل :

[١] أحبه . [٢] غرسه على أكمه خصبه . [٣] نقب له الأرض . [٤] نقى أرضه من الأحجار . [٥] انتقى أفخر الشتلات . [٦] بنى برجاً فى وسطه . [٧] نقر فيه أيضاً معصرة .

فالحب حيث يقال أن الكرم يحس بصاحبه المعتنى به ، فكانت محبة متبادلة .

والأكمة الخصبة هى الشرائع والنواميس التى أعطاها الله لموسى كى يثمر الشعب ثمار التقوى .

---

(١) ملا ١ : ١٣ .   (٢) ميخا ٦ : ٣ .   (٣) اش ٤٣ : ٢٢ .

ونقّب له الأرض كى تغرس الكرمة بثبات ولا يعود بلى الاثم أن يذلله .

ونقى حجارته أى أزال فرعون بجبروته من سبيلهم ، وأيضًا عماليق وكل ملوك كنعان .

والكرمة السورق أى شتلة منتقاه هى ايمان ابراهيم ومحبة اسحق ورجاء يعقوب .

أما البرج الذى هو خيمة الاجتماع حيث تعلو النفس إلى الأجواء الإلهية العالية .

نقر فيه معصرة ، رمز لرجاء الحياة الأبدية (أنظر رؤيا ١٤ : ١٩ ، ٢٠) أنها البركات السبع الالهية ، والتى هى كمال البركات لأن رقم ٧ يرمز إلى الكمال .

* * *

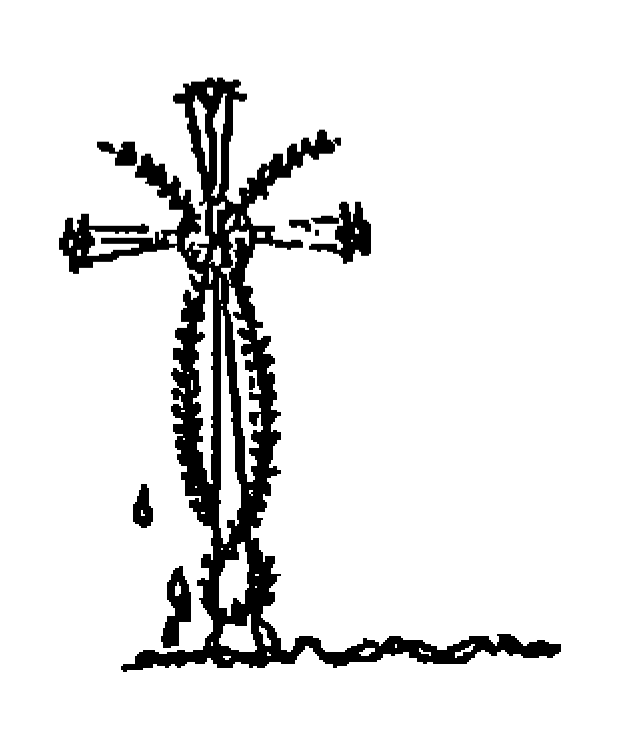
وماذا كانت النتيجة ؟ الله يتوعد : « أنزع سياجه فيصير للرعى ، أهدم جدرانه فيصير للدوس ، وأجعله خراباً لا يقضب ولا ينقب فيطلع شوك وحسك وأوصى الغيم أن لا يمطر عليه مطراً (١) » ، وبعد انتزاع الكرمة القديمة الفاسدة يتنبأ اشعياء النبى بكرمة أخرى : « فى ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاه . أنا الرب حارسها . اسقيها كل لحظة لئلا يوقع بها أحرسها ليلاً ونهاراً ... يزهر ويرفع ويملاؤن وجه **المسكونة** ثماراً (٢) » ، ولقد جاء المسيح له المجد معلناً تحقيق هذه النبوة فيه وقائلاً : « أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام ... أنا الكرمة وأنتم الأغصان الذى يثبت فىّ وأنا فيه ، هذا

---

(١) اش ٥ : ٦ . (٢) اش ٢٧ : ٢ .

يأتى بثمر كثير (١) ، .

هذا ما شرحه الرسول بولس فى رسالته الرائعة لأهل رومية اصحاح ٩ ، ١٠ ، ١١ كاشفاً أسرار هذه النبوة العجيبة . لقد نلنا فى المسيح أعظم مما ناله بنى اسرائيل نلنا دم الغفران الذكى الكريم ، فلنحرص إذن أن نثمر لله ثمار حياة أبدية بارة مقدسة وإلا سنكون فى مصير أسوء من مصير كرمه اسرائيل السامة (٢) .



(١) يو ١٥ : ١ ، ٥ .   (٢) عب ٦ : ٧ ، ٨ .

٧- هل يمكن لانسان ان يرى الله ؟

من أرسل ، ومن يذهب من
أجلنا (اش ٦: ٨)

بعد خمسة اصحاحات فى مستهل نبوة اشعياء النبى ، وصف فيهم خطايا اسرائيل ، والقوة الدافعة التى كانت وراء هذا الزيغان عن الله ... يبدأ اشعياء النبى اصحاحه السادس بالقول : « رأيت السيد الرب ... » (١) . وواضح أن الغاية وراء هذا الاستعلان الالهى لإشعياء النبى هو ارساله لهذا الشعب الفاسد لكى يتوبوا ويرجعوا ...

ونلاحظ عبر كتاب الله المقدس كله ، أن كل ظهور الله لانسان ما ، يعقبه حوار الهى مع البشرية ويستمر هذا الحوار إلى الأبد ... لأن أعمال الله وكلام الله وأفكار الله هى دائماً إلى الأبد :

فلقد ظهر الله لابراهيم (٢) ... ومازال حوار هذا اللقاء مستمراً .

وظهر الله أيضاً ليعقوب (٣) ... ومازال هذا الحوار يتردد صداه جيلاً بعد جيل .

وظهر الله لموسى (٤) ... ومات موسى واختفى قبره (٥) ومازال جوهر الحوار مستمراً .

ثم « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه (٦) (يسوع المسيح) » .

---

(١) اش ٦ : ١ . (٢) تك ١٢ : ٧ ، ١٧ : ١ ، ١٨ : ١ .

(٣) تك ٢٨ : ٣ ، ٣٢ : ٣٠ ، ٤٦ : ٤ . (٤) خر ٣ : ٦ ، ٧ ، لا ٩ : ٢٣ ، تث ٣٣ : ٢ . (٥) تث ٣٤ : ٦ . (٦) عب ١ : ١ .

ومع هذه الظهورات الالهية لأشخاص غيروا مجرى التاريخ آخذين من الرب عهوداً ومواعيد وبركات ليكون البشر بحسب فكر الله ، احتاج الأمر إلى ظهورات من نوع آخر لأنبياء يعيدون الشعب إلى طرق الله بعدما زاغوا عن معرفته ... وايليا (١) هو نموذج واضح لهذا .

ولكن اشعياء النبى يعتبر بحق هو عميد كل الأنبياء الكبار والصغار ، فمنه أخذ الجميع أسلوبه ، وبعض نصوص نبؤاته ...

وكالعادة لابد من ظهور الهى له ، ليبدأ الحوار الالهى ليس بكلمات الفم بل بتحركات القلب نحو الله يقول : « رأيت السيد جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل . السيرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة . باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير . وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض » (٢) .

لقد احتاج الأمر أن تتطهرا شفتى النبى ، فكل الشعب نجس الشفتين (ونجاسة الشفتين تعنى أن الكل يتكلم بكلام باطل بعيد عن الله ويبعد كل سامع له عن الله أيضاً) والنبى كانسان كان عائشاً وسطهم لم يستطع أن يتكلم إلا بكلام النجاسة مثلهم ، وويل لمجتمع قد تنجست شفتى كل شعبه ! فحتى رجال الدين الذين فى وسطهم تتنجس شفاههم أيضاً ...

أحس إشعياء بكل هذا حينما رأت عيناه الملك رب الجنود (٣) ، وأحس بزلزلة الأرض وسمع صراخ السماء ، وأحاطه الدخان الذى ملأ المكان ... وهى نفس عناصر الدينونة الأخيرة (٤) ... وحينما تطهرت شفتاه استطاع أن يقول للملك رب الهيكل « هانذا أرسلنى » (٥) .

---

(١) ١ مل ١٨ : ٣٦ .　(٢) اش ٦ : ١ – ٣ .　(٣) اش ٦ : ٥ .
(٤) يؤ ٢ : ١٠ ، ١١ ، رؤ ١٦ : ١٨ .　(٥) اش ٦ : ٨ .

❖ لقد تنبأ إشعياء عن أمور حدثت فى المستقبل المنظور بالنسبة له ، من ذهاب اسرائيل ويهوذا إلى سبى بابل ، ومكوثهم فيه سبعون سنة ، ثم رجوعهم منه ... والاعجاز ، هو تحديد اسماء ملوك لم يكونوا قد ولدوا بعد وفترات زمنية محددة ستحدث بها احداثاً هامة ... ثم تنبأ أيضاً عن أمور حدثت فى المستقبل البعيد بالنسبة لإشعياء أهمها مجئ المسيح الفادى الحقيقى إلى العالم ، أنه المسيا خادم الله المتألم (!) ، فرأى (الرب) أنه ليس انسان وتحير من أنه ليس شفيع . فخلصت ذراعه لنفسه وبره هو عضده ، (١) .

فمع كون أن الله أرسل إشعياء بعد هذا الظهور السمائى ، وقد قام إشعياء بتبليغ الرسالة على أحسن ما يكون ، إلا أنه مات وانضم إلى قومه فى النهاية ، لذلك احتاج الأمر أن يأتى المسيا نفسه ، أى الاله متجسداً ، لكى يعمل فداءً وخلاصاً أبدياً لكل بنى البشر ... كما نردد فى القداس الغريغورى : ، لا ملاك ، ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ، ولا نبياً أئتمنتهم على خلاصنا ، بل أنت بغير استحالة تجسدت وتأنست ... ، .

❖ فليحرص خدام الكنيسة اذن من أساقفة وكهنة وشمامسة على عفة الشفتين ، فلا تخرج كلمة ردية من أفواههم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كى يعطى نعمة للسامعين (٢) . ولا يجاروا النجسين فى أحاديثهم بحجة كسب الشعبية ، والتفاف الناس حولهم لسماع كلمات النكات والخلاعة ... لأن هذا يشكك فى أمانتهم نحو الله ، بل عليه أن يفصل كلمة الحق باستقامة (٣) ، إن سمعوا الناس وإن أبوا (٤) ، لأنه سيأتى وقت لا يحتمل فيه الناس التعليم الصحيح (٥) .

---

(١) اش ٥٩ : ١٦.
(٢) اف ٤ : ٢٩ .
(٣) ٢ تى ٢ : ١٥ .
(٤) حز ٣ : ١١ ، ٢٧ .
(٥) ٢ تى ٤ : ٣ .

٨- مشاعر إنسانية عند الله

هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا الهى أيضًا ؟ (اش ٧ : ١٣)

بعدما انقسمت مملكة اسرائيل ، بعد سليمان ، إلى مملكة السامرة فى الشمال ومملكة يهوذا فى الجنوب ، تحالف ملك السامرة مع ملك سوريا ، وتأمرا على آحاز ملك يهوذا ليحارباه ويخلعاه عن العرش ويعينا عميلاً لهما يدعى « طبئيل » « فرجف قلب آحاز وقلوب شعبه كرجفان شجر الغاب قدام الريح » (١) ، وطبعًا هذا يدل على عدم الايمان فى وعود الله حين أقسم لداود الملك جده الأكبر « أنه من نسلك أجعل على كرسيك » (٢) ، الأمر الذى قد تحقق بالنسبة لآحاز ملك يهوذا ... فهو الباقى من نسل داود ملكاً (٣) ، فلو كان مؤمنًا بالله لتأكد أن هذه المؤامرة التى ضده لا تنجح ... ولكنه خاف ورجف وأخاف معه كل الشعب وأرجفهم إلى درجة الضجر والضيق ...

❖ هنا أرسل الرب إشعياء النبى للملك آحاز يؤكد له أنه عند عهده لداود ومواعيده التى لا تكذب :

أولاً : أن ذاك التحالف بين سوريا والسامرة سوف يُفسخ ولا يقوم له قائمة .

ثانياً : وأنه سيعم الرخاء فى مملكة يهوذا كبركة الهية أكيدة : « ويكون فى ذلك اليوم أن الانسان يربى عجل بقر وشاتين ، ويكون أنه من كثرة إدرار اللبن يأكل زبداً ... وعسلاً (٤) (بركات أرض الموعد) .

---

(١) اش ٧ : ٢ . (٢) ٢ صم ٧ : ١٢ ، مز ٨٩ : ٣٥ ، ٣٦ .
(٣) ١ مل ١١ : ٣٦ . (٤) اش أية ٢١ ، ٢٢ .

ثالثاً : زوال مملكة السامرة بعد ٦٥ سنة من نطقه بالنبوة .

وعندما يكون الحاكم أو المسئول ضعيف الايمان ، يصير هو وكل محكوميه فى قلق ، لا يعرفون حياة الطمأنينة والأمان ، لذلك ختم إشعياء النبى نبوته للملك آحاز بهذه القاعدة الروحية « أن لم تؤمنوا ، فلا تأمنوا » (١) .

❖ ولكن آحاز رفض الايمان ، واستخف بالنبوة ، ربما لأنه مثل الكثيرين من أهل العالم يدّعون بأنهم عمليين ، ولهم تفكير علمى مبنى عن جمع المعلومات ثم استنتاج النتائج ... ولما كانت المعطيات ضد الايمان ، رفضوا الايمان ، وهكذا عاشوا فى مخاوف وقلق ... هنا أراد الله على فم إشعياء أن يدعم الايمان بمعجزة يطلب آحاز تحقيقها فتتحقق على الفور ، أما آحاز المعذب من هواجسه وأفكاره فقد رفض هذا الطلب الالهى ... ولست أدرى لماذا يفضل الانسان أن يحيا فى مرارة نفسه وتوقع الأمور السيئة ، رافضاً سلام الايمان وطمأنينة تصديق الله ؟! مع أن الايمان يملأ النفس شجاعة .

أما العلامة الاعجازية التى ينبغى أن تجعلنا كلنا وليس آحاز فقط ، نؤمن بخلاص الله ، وتحقيق كل مواعيده فى أرض الموعد ، فكانت هى التجسد من العذراء مريم ، حيث يقول إشعياء النبى : « يعطيكم السيد نفسه آية ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » (٢) وياله من اعجاز ! .

❖ أن عدم ايمان آحاز أضجر الله من كل بيت داود الذى كانت له مواعيد كرسى الملك ... هكذا عدم ايمان رؤساء الكنيسة يضجر المسيح ، لأن كنيسة العهد الجديد قد آل إليها كل المواعيد العظمى والثمينة التى كانت

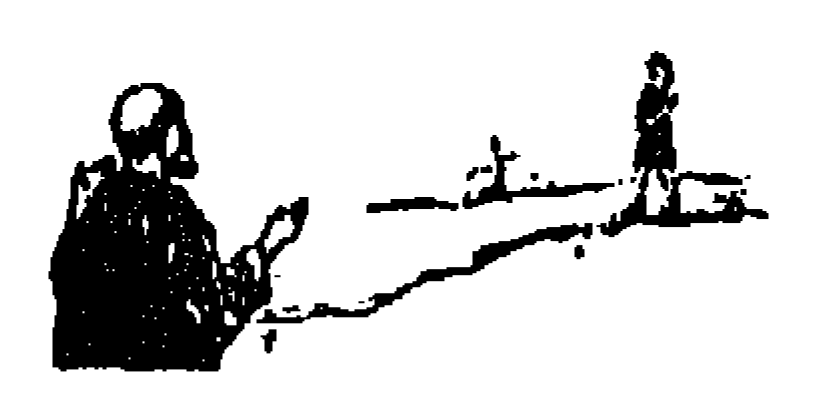
(١) اش ٧ : ٩ .   (٢) اش ٧ : ١٤ .

لآباء العهد القديم ... فالمسيح الآن هو الجالس على كرسى داود إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية ، (١) .

❖ جميل أن نرى فى الهنا نفس مشاعرنا الانسانية ... فمع مشاعر الحب (٢) ، والسرور (٣) ، والفرح (٤) ، والتهليل (٥) ، هناك أيضاً مشاعر الغضب (٦) ، والضيق (٧) ، والغيظ (٨) ، والتشفى (٩) ، والحزن (١٠) والندامة والأسف (١١) وهذا لا ينقص من كمالات الله ، بل يجعله قريبًا لفهم الانسان .

فاللاهوت ليس جماداً بلا مشاعر ، بل هو يحس بأحاسيسنا ويشعر بمشاعرنا . أيضاً جوهر البشارة المفرحة فى انجيل العهد الجديد ، هو تنازل الله وتجسده وصار فى شبه الناس (١٢) ، وإذ وجد فى الهيئة كانسان أطاع ...

فلا نعجب إذن أن نرى فى التساؤل عاليه مشاعر التضجر التى يبديها الله من الملك آحاز على عدم ايمانه ، بل علينا نحن أن نؤمن بالمسيح المولود من عذراء ، كى لا نجعل الهنا يتضجر منا .



---

(١) لو ١ : ٣٢ ، ٣٣ . (٢) ملا ١ : ٢ . (٣) ار ٩ : ٢٤ .
(٤) اش ٦٢ : ٥ . (٥) لو ١٠ : ٢٢ . (٦) قض ٢ : ٤ .
(٧) قض ١٠ : ١٦ . (٨) ٢ مل ١٧ : ١١ . (٩) حز ٥ : ١٣ .
(١٠) تك ٦ : ٦ . (١١) اصم ١٥ : ٣٥ . (١٢) فى ٢ : ٧ .

٩- عن تحضير الأرواح

الا يسأل شعب الهه ؟ أيسأل الموتى لأجل الأحياء ؟ (اش ٨ : ١٩)

بعدما جال الكاتب الكبير أنيس منصور فى رحلة حول العالم ، زار فى أثنائها بلاد الهند والتبت ، ودخل هناك الكهوف والمغارات ، وتقابل مع المنقطعين لأعمال السحر والشعوذة هناك ، عاد وكتب سلسلة مقالات عن طريقة مبسطة سهلة لتحضير أرواح الموتى فى سلة ... وانتشرت هذه الطريقة وسط الشعب المصرى انتشار النار فى الهشيم !!!

والسبب وراء انتشار مثل هذه الخزعبلات هو غياب الاحساس بالله عن الحياة اليومية للناس ، مع وجود شوق غريزى لمعرفة ما وراء الموت ، والمستقبل المجهول الذى ينتظر الانسان !

❖ من أشهر من استخدموا تحضير الأرواح فى الكتاب المقدس ، هو شاول الملك ، فبعد أن فارقه روح الرب (١) ، وصار الله عدوه (٢) ، التجأ إلى امرأة عرافة لتستحضر له روح صموئيل النبى الذى كان قد مات ، مع كونه من قبل ، حينما كان الله معه ، نفى من المملكة كل العرافين والسحرة وأصحاب الجان والتوابع (٣) ، ولكن بعدما فارقه الرب كان روح ردئ يباغته فيهيج ويجن فى قصره (٤) ... وعلى هذا الحال طلب من العرافة استحضار روح صموئيل النبى ... وأراد الله عن طريق سبل شاول المعوجة أن يبكته من خلال ضلالته ، فتوهمت العرافة ومعها شاول أن روح صموئيل تتكلم ... وكان هذا أقصى توبيخ ، لأنه وجه إلى شاول وهو

---

(١) ١صم ١٦ : ١٤ . (٢) ١صم ٢٨ : ١٦ . (٣) ١صم ٢٨ : ٣.

(٤) اصم ١٨ : ١٠ .

متلبس بجريمة الضلال والتضليل ... لذلك ، أسرع شاول وسقط على طوله إلى الأرض وخاف جداً ... وأيضاً لم تكن فيه قوة ، (١) وهكذا نرى أن تهميش الله من حياة الانسان يعطى مجالاً لكل أصناف السحر والشعوذة ، ولكن مع عودة الايمان بالله تحترق كل أعمال السحر ، وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر ، يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع ... هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة ، (٢) .

❖ ولنورد هنا بعض الشواهد من أسفار العهد القديم والعهد الجديد التى تحث كل مؤمن بالله على نبذ كل أشكال السحر وتحضير الأرواح والشعوذة ... الخ .

– لا يوجد فيك من يجيز أبنه أو أبنته في النار ، ولا من يعرف عرافة ، ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ، ولا من يرقى رقيه ، ولا من يسأل جاناً أو تابعه ، ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب (٣) .

– لا تدع ساحرة تعيش (٤) .

– إذا كان فى رجل أو أمرأة جان أو تابعه ، فإنه يُقتل ، بالحجارة يرجمونه . دمه عليه (٥) .

– لا تتفاءلوا ولا تعيفوا ... لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع ، فتتنجسوا بهم أنا الرب الهكم (٦) .

– والنفس التى تلتفت إلى الجان وإلى التوابع لتزنى وراءهم ، أجعل وجهى ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها (٧) .

---

(١) ٢صم ٢٨ : ٢٠ . (٢) أع ١٩ : ١٩ ، ٢٠ . (٣) تث ١٨ : ١٠.

(٤) خر ٢٢ : ١٨ . (٥) لا ٢٠ : ٢٧ . (٦) لا ١٩ : ٢٦ ، ٣١. (٧) لا ٢٠ : ٦.

وأيضاً فى العهد الجديد :

– وأعمال الجسد ظاهرة التى هى ... عبادة أوثان ، سحر ، عداوة ... أن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله (١) .

– من يغلب يرث كل شئ وأكون له الهًا وهو يكون لى ابناً . أما الخائفون وغير المؤمنين ... والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى (٢) .

– لأن خارجاً (عن المدينة السماوية) الكلاب والسحرة (٣) ...

❖ أن نهاية السحرة وكل من يستعملون السحر هى نهاية مرعبة ، ومصير مشئوم .

– فبلعام بن بعور مات مقتولاً بالسيف (٤) ، لأنه أراد أن يحرف ارادة الله (٥) .

– وسيمون الساحر الذى ظن أن يُفسد الكنيسة بجعل رتبها تؤخذ بالرشوة (٦) رآه بطرس الرسول فى مرارة المر ورباط الظلم (٧) .

– وحينما ناضل عليم الساحر ليمنع ايمان والى قبرص (سرجيوس) بالمسيح ، انتهره الرسول بولس ، وقال أيها الممتلئ كل غش وكل خبث يا ابن ابليس يا عدو كل بر ألا تزال تفسد سبل الله المستقيمة . فالآن هوذا يد الله عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس ، (٨) وهكذا صار ، سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً من يقوده بيده ، (٩) .

---

(١) غل ٥ : ٢٠ . (٢) رؤ ٢١ : ٨ . (٣) رؤ ٢٢ : ١٥ .

(٤) عدد ٣١ : ٨ . (٥) عدد ٢٣ : ٢١ ، ٢٣ . (٦) اع ٨ : ١٨ .

(٧) اع ٨ : ٢٣ . (٨) اع ١٣ : ١٠ . (٩) اع ١٣ : ١١ .

١٠- اليست التوبة افضل

وماذا تفعلون فى يوم العقاب ؟ حين تأتى
التهلكة من بعيد ، إلى من تهربون للمعونة
وأين تتركون مجدكم ؟ (اش ١٠ : ٣)

من أهم رسائل أنبياء العهد القديم وخدام العهد الجديد ، هى أن يُرجعوا الشعب من طرقهم الشريرة إلى طرق الرب ...

ومن أنجح الأساليب المستخدمة لتحقيق هذه الرسالة ، هى أن يبصروا الشرير بالثمن الرهيب الذى لابد أن يدفعه نظير أعماله الشريرة ... لأن الشرير قد يكون آمناً مطمئناً وهو يمارس الشر ، بل قد يكون عاتياً وارفاً ، ناعماً بالرفاهية والرخاء (١) ... فعلى الأنبياء آنذاك أن يبصروهم بالمزالق المعدة لهم والتى قد تؤدى بهم إلى الهلاك فى لحظة (٢) .

فالذين يسيرون وراء شهوات الزنى مثلاً ، قد يظنون أنهم فى ذروة السعادة والاشباع الغريزى ، غير مقدرين الثمن الذى لابد أن يدفعوه هم ونسلهم الشرير ، من صحتهم (حيث يصابون بأمراض مستعصية) ومن سيرتهم وسمعتهم (حيث الفضيحة والمهانة) ومن أرزاقهم (حيث قد يحتاجون إلى رغيف خبز ولا يجدون) .

سلوا داود الملك (٣) ، وشمشون الجبار (٤) ، ودينة ابنة يعقوب (٥) ... حيث اضطروا إلى دفع أثمان باهظة كلفتهم كثيراً ... ولماذا نذهب بعيداً ونحن قد عاصرنا الرئيس الأمريكى بل كلينتون الذى كادت هذه الخطيئة تعصف بمركزه كرئيس للولايات المتحدة ...

---

(١) مز ٧٣ : ١٢ . (٢) مز ٧٣ : ١٨ ، ١٩ . (٣) ٢صم ١٢ : ١٠-١٢.
(٤) قض ١٦ : ٢١ . (٥) تك ٣٤ : ١ ، ٢ .

هذا التساؤل يأتى وسط تشخيص إشعياء النبى للشرور المتفشية وسط المجتمع الاسرائيلى ، والتى قد تنتشر فى وسط أى مجتمع كنسى ، ومع تشخيصه للشر ، يكشف عن الثمن الباهظ الذى سيدفعه هؤلاء الأشرار ويختم كل هذا بحثهم على التوبة ، فالله مستعد أن يوقف حصاد ما زرعوه من الشرور ... ترى ما هى الشرور التى حددها إشعياء النبى ؟

١- **تبرير صنع الشر :** « ويل للجاذبين الاثم بحبال البطل والخطيئة كأنه بربط العجلة ... ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شراً ... ويل للحكماء فى أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم ... الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة ، أما حق الصديقين فينزعونه منهم » (١) .

- **الثمن :** يكون أصلهم كالعفونة ، ويصعد زهرهم كالغبار ... وصارت جثثهم كالزبل فى الأزقة (٢) .

- **وعد للتائبين :** « ولكن كالبطمة والبلوطة التى وأن قُطعت فلها ساق ، يكون ساقه زرعاً مقدساً .

٢- **الفجور والانحلال الخلقى :** « ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر للمتأخرين فى العتمة تلهبهم الخمر ، وصار العود والرباب والدف والناى والخمر ولائمهم » (٣) . « من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن » (٤) .

- **الثمن :** الفجور يحرق كالنار (٥) . يُصلع السيد هامة بنات صهيون ويكون عوض الطيب عفونة (٥) . يرفع الرب الأخصام ويهيج الأعداء

---

(١) اش ٥ : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ . (٢) اش ٥ : ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) اش ٥ : ١ ، ١٢ . (٤) اش ٣ : ١٦ . (٥) اش ٣ : ١٧ .

فيأكلون الأشرار بكل الفم (١) .

– **وعد للتائبين :** « لا يكون ظلام للتى عليها ضيق ... الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً » (٢) .

٣– **الظلم الاجتماعى :** فكل انسان يدهش فى أخيه (٣) ، والقضاه يقضون بالجور والبطل ويغتنم القوى ما عند الأرامل وينهب ما للأيتام (٤) .

– **الثمن :** يُقطع الرأس والذنب ، ويصير أطفالاً رؤساء للشعب ومرشدوه ضالون (٥) .

– **وعد للتائبين :** « لا يعودون يتوكلون على ضاربيهم بل على الرب القدوس بالحق (٦) .

٤– **الكبرياء وتعظم المعيشة :** فابدلو مبانى الطين بحجارة منحوتة ، وأشجار الجميز بأرز .

– **الثمن :** ينتزعون من الأرض تاركين كل مجدهم لأعدائهم (٧) ، ويحترق كل عملهم (٨) .

– **وعد للتائبين :** الله سيرفع النير عن بقية شعبه الأمناء (٩) .

٥– **الحماقة ونجاسة الشفتين :** فكل فم متكلم بالحماقة (١٠) ، وكل الشعب نجس الشفتين (١١) .

– **الثمن:** خراب المدن (١٢) –والشوك والحسك يأكل كل الجنات (١٣) .

– وعد للتائبين : فناء الشوك والحسك واعادة اعمار المدن (١٤) .

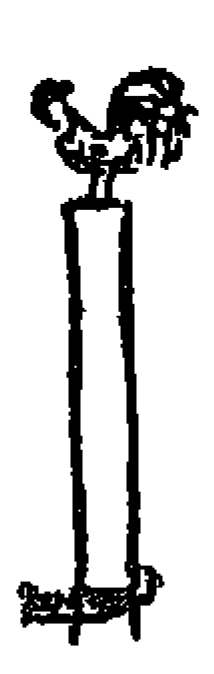
---

(١) اش ٩ : ١١ . (٢) اش ٩ : ١ . (٣) اش ٩ : ٢٠ . (٤) اش ١٠ : ٢ .
(٥) ٩ : ١٦ . (٦) اش ١٠ : ٢٠ . (٧) اش ١٠ : ٣ .
(٨) اش ٩ : ٢١ ، ١٠ : ٣٣ ، ٣٤ . (٩) اش ١٠ : ٢٧ . (١٠) اش ٩ : ١٧ .
(١١) اش ٦ : ٥ . (١٢) اش ٦ : ١١ . (١٣) اش ١٠ : ١٨ . (١٤) اش ١٠ : ١٧ .

٦- **النفاق وشكلية العبادة** : إنها عبادة الشفاة وليس القلب (١) .

- **الثمن** : غلاظة القلب ، وطمس العينين (٢) .

- **وعود للتائبين** : مجئ المسيح الذى يعيد كل الأمور إلى نصابها (اش٤ : ٢ ، ٩ : ٦ ، ١١ : ١ ، ١٢ : ٢) .



(١) اش ٢٩ : ١٣ .
(٢) اش ٦ : ١٠ .

١١- ناشر ومنشار

هل تفتخر الفأس على القاطع بها ؟
أو يتكبر المنشار على مردده ؟

(اش ١٠ : ١٥)

بعدما أوضح إشعياء النبى حيثيات اعتماده نبياً من قبل الله ، حينما رآه فى الهيكل ... ثم حدد للشعب الشرور والآثام التى أبعدتهم عن الله ، وغضب الله عليهم ، بدأ يوضح لهم الثمن الذى توجب عليهم أن يدفعوه ، إن هم لم يتوبوا ، وبالتالى ينالون الغفران ...

هذا الثمن هو تغلب ملك آشور عليهم ، إذ سيحاصرهم أولاً ، ثم يفتتح أورشليم فيقتل الناس ويهدم المبانى ويحرق القصور ... ثم ينتزع الباقين من أرضهم ، ويرسلهم إلى السبى ...

وهذا الأمر تم بحذافيره بعد حوالى مئة وثلاثون سنة من النبوة ، حيث أنهم رفضوا أن يتوبوا ، بل تمادوا فيما يغيظ الله ...

الشيطان هنا قد يبلبل أفكار الناس : كيف لنا نحن بنو اسرائيل ، الذين منا الآباء – ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وداود ، ولنا مواعيد صريحة من الله ، وقد عاهدنا الله عبر تاريخنا القديم وتعاهد الله معنا ، كما أن الله لم يعط شريعته إلا لنا دوناً عن كل شعوب الأرض (١) ... كيف تنذرنا يا إشعياء أننا سنساق إلى السبى ، وننتزع من أرضنا التى ملكنا الله اياها ؟

والشيطان أيضاً قد يبلبل أفكار ملك آشور مع كل جيوشه ، حيث يجعله لا يدرك أن اسرائيل التى تغلب عليها هى تحت التأديب الالهى ، وما هو

---

(١) رو ٩ : ٤ ، ٥ .

إلا عصا التأديب التى فى يد الله ، بل قد يفتخر ويتباهى بأن اله اسرائيل لم يستطع أن ينقذهم من يده ، تماماً كما قال ربشاقى رئيس جيوش ملك آشور : « هل أنقذ الهة الأمم كل واحد أرضه من يد ملك آشور . أين الهة حماة وأرفاد ؟ أين الهة سفراويم ؟ هل أنقذوا السامرة من يدى . من من كل ألهة هذه الأراضى أنقذ أرضهم من يدى حتى ينقذ الرب أورشليم من يدى ؟ » (١) .

الشيطان يحاول أن يستبعد الله تماماً فى كلا الجهتين ، من عناصر التجارب التأديبية التى قد يوقعها عليهم الله لتأديبهم ! وعندما يحذف الله من حسابات هذه المعادلة ، يبدو الشيطان وكأنه هو الأقوى من الله ...

لذلك أراد الله من خلال النبى إشعياء أن يوضح الحقائق قبل وقوع عملية التأديب بعشرات السنين ، كى لا يهتز ايمان البقية المخلصة لله فى كون أصبع الله هو وراء كل العملية . وأن الأحداث لم تخرج ، ولا يمكن أن تخرج ، وسوف لا تخرج عن سيطرة الله .

❖ أن الفأس (أو البلطة) تستخدم فى قطع الشجرة من أصولها ، أما المنشار ، فهو يستخدم فى تهذيب الأغصان والبروزات الغشيمة فى الكتلة الخشبية ، ليجعل منها قطعة خشبية مفيدة وصالحة لأغراض شتى بحسب ما يريد النجار ... فكأن الله بهذا التشبيه أراد أن يفهم بنى اسرائيل أن تجزية السبى ، هى لكى ما يرجعوا صالحين لتنفيذ المشيئة الالهية ... ولعل هذا ما جعل المسيح له المجد يختار مهنة النجارة (٢) دوناً عن المهن الأخرى ليعمل فيها ، قبل خروجه إلى خدمته الجهارية ...

❖ مع ما أعلنه إشعياء النبى ، تنبأ يوحنا المعمدان أيضاً قائلاً: « والآن

(١) اش ٣٦ : ٢٠ . (٢) مر ٦ : ٣ .

قد وضعت الفأس على أصل الشجرة . فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتلقى فى النار ، (١) . ولقد استخدم الله آشور طبقاً لنبوة إشعياء ، وبعد المسيح له المجد ، استخدم الرب الرومان طبقاً لنبوة يوحنا المعمدان لينتزع شجرة اسرائيل عن أرضهم ... فعلى الاشوريين أن لا يفتخروا ، وعلى الرومانيين أن يعرفوا أن يد الله هى التى تحرك التاريخ ، وما هم إلا أدوات فى يده .

المنشار ينشر ، ولكن يستحيل أن يعمل المنشار بدون يد تمسكه وتوجهه، تردده وتتحكم فى مساره داخل الخشب ... هذا ما يؤمن به كل انسان متدين ... ويفهمه كل شخص له علاقة مع الله ، فحين يحصل فى رخاء وعزه وعلو ... ينسب كل هذا إلى الله شاكراً ، وحين يحصل فى عوز وشدة وضنك ، يتفحص طرقه بسرعة ليدرك ما هو قصد الله من جعله هكذا .

فيصلح طرقه ، ويعود بسرعة إلى الله .



(١) مت ٣ : ١٠ .

١٢- هل هو الشيطان ؟

كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح ؟ كيف قطعت من الأرض يا قاهر الأمم ؟ (اش ١٤ : ١٢)

يعتقد اللاهوتيون ومعظم مفسرى الكتاب المقدس على نطاق واسع أن الآيتين موضوع التساؤل يتحدثان عن سقوط الطغمة العليا من الملائكة وتحولهم إلي شياطين ... حيث بدأ توما الأكوينى فى كتابه الخلاصة اللاهوتية أن يضع هذه الفكرة ، وقد أخذها عنه معظم من فسروا هذه الآيات ...

وملخص رأى توما الأكوينى هو أن الطبقة العليا من الملائكة التى كان يرأسها ليسفور ، كانت تجمع كل التسابيح التى كانت تصعدها كل الطغمات الأخرى إلى الله ويقدمها ليسفور رئيسها إلى الله مباشرة .

وعندما أراد الله أن يختبر أمانة ليسفور حجب نفسه عنه ليرى ماذا سيفعل ، وسقط ليسفور فى هذا الاختبار ، إذ بدلاً من أن يبقى مؤمناً بديمومة الله إلى الأبد ، وأنه حتى وأن كان لم يعد يراه ، إلا أنه مازال موجوداً ، بدأ يجمع كل تسابيح الملائكة الأخرى لنفسه قائلاً بأن يجعل كرسيه هو فوق كرسى العلى (١) ، ولكنه فوجئ أنه ينحدر هو وطغمته كلها إلى الهاوية وصاروا هم الشياطين . وعندما أراد الله أن يسد هذه الفجوة فى خليقته بسقوط الشيطان ، خلق الانسان ... ولذلك هناك حرب مستمرة بين ابليس وأعوانه ، وبين الانسان وكل نسله .

---

(١) اش ١٤ : ١٤ .

❖ التساؤل الأول يحكى عن سقوط ليسفور مشبهاً اياه بزهرة متفتحة فى صباح النهار ، ولكنها سرعان ما انحسمت وذبلت ، وفى التساؤل الثانى يحكى عن ابادة الشيطان من الأرض عند ديدونة الله النهائية ... « إذا زها الأشرار كالعشب وأزهر كل فاعلى الاثم ، فلكى يبادوا إلى الدهر » (١) و « جرفتهم كسنة يكونون ، بالغداة كعشب يزول . بالغداة يزهر فيزول . عند المساء يجز فييبس » (٢) .

❖ بالرغم أن رأى توما الأكوينى السابق ذكرة هو رأى منطقى ومعقول، حيث يفسر ألغازاً وطلاسم بالنسبة للحياة الروحية مع الله مثل :

- ما هو أصل الشيطان ولماذا خلق ؟
- لماذا يقاوم الشيطان الله ويحارب القديسين ؟
- ولماذا يعيش رجال الله بالايمان وليس بالعيان ؟
- ولماذا أختارنا الله منذ انشاء العالم لنحيا إلى الأبد مع المسيح ؟

إلا أن إشعياء النبى كتبه ببساطة فى نبوءته قاصداً أنه ينطبق على ملك آشور ، فحتى النبى نفسه لم يكن يعلم أنه يتنبأ عن أمور أكبر من محدودية الزمان والمكان ، لأنه يتكلم عن السماويات الأزلية والأبدية ... وهذه روعة النبوة وعلامتها .

❖ قال الله لإشعياء النبى : « قليل أن تكون لى عبداً لاقامة أسباط يعقوب ورد محفوظى اسرائيل . فقد جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض » (٣) وهكذا جعل الله إشعياء النبى يتنبأ عن ممالك مجاورة لاسرائيل :

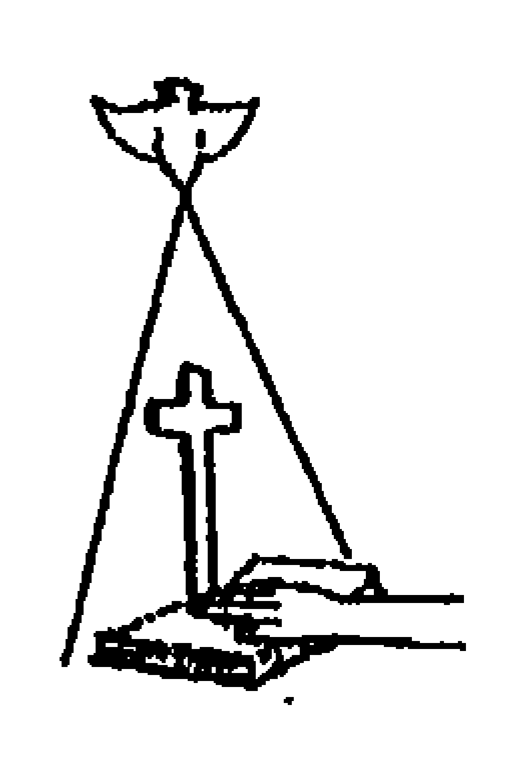
---

(١) مز ١٠٣ : ١٥ .   (٢) مز ٩٠ : ٦ .   (٣) اش ٤٩ : ٦ .

بابل أشور (١) – فلسطين (٢) – موآب (٣) – دمشق (٤) – كوش (٥) – مصر (٦) – مادى وفارس (برية البحر) (٧) – دومة (السعودية) (٨) – بلاد العرب (٩) – أورشليم (١٠) (وادى الرؤيا) – صور (١١) (لبنان) .

ونلاحظ أنه حتى أمور النبى الخاصة دخلت فى البعد الالهى النبوى ، كمثل اسماء أولاده بالجسد . فقد طلب الله من إشعياء النبى أن يسمى ابنه « لمهير شلال حاش بز » (١٢) أى عجل بالغنيمة وأسرع بالنهب . وكان هذا نبوة على خراب السامرة وآشور . حتى أن إشعياء قال : « هانذا والأولاد الذين أعطانيهم الله آيات وعجائب من عند رب الجنود » .

وعلى نفس المنوال ، اتخذ من سقوط ملك آشور نبوة على سقوط الشيطان فى النهاية ، كما فهمنا الآن أن خلاص اسرائيل من سبى بابل لم يكن إلا مجرد رمزاً لخلاص شعب الله ، من كل الأرض ، خلاصاً أبدياً من سبى الشيطان وذلك بمجئ المسيا .



---

(١) اش ١٣ ، ١٤ . (٢) اش ١٤ : ٢٩ . (٣) اش ١٥ ، ١٦ . (٤) اش ١٧ .
(٥) اش ١٨ . (٦) اش ١٩ ، ٢٠ . (٧) اش ٢١ : ١ – ١٠ .
(٨) اش ٢١ : ١١ . (٩) اش ٢١ : ١٣ – ١٧ . (١٠) اش ٢٢ .
(١١) اش ٢٣ . (١٢) اش ٨ : ٣ . (١٣) اش ٨ : ١٨ .

١٣- هامش لتغيير القدر

فإن رب الجنود قد قضى فمن يبطل ؟

ويده هى الممدودة ، فمن يردها ؟

(اش ١٤ : ٢٧)

راسلت أحد الآباء الروحيين لأستشيره فى اختيار مسار لحياتى ، حينما كنت فى نقطة مفترق طرق ... وقد رد هذا الآب المبارك بجمل الهية لا أنساها ... منها : « أن الذى يلتمس وجه الله عليه أن لا يأخذ طريقه من أفواه الناس ... وطوبى للنفس التى اكتشفت ارادة الله فى حياتها وتمسكت بتنفيذ هذه الارادة إلى الأبد ... » .

❖ حينما يكون انسان ما عائشًا فى بلد معين ، فإنه لا يحاكم ، ولا يصدر عليه أحكام سجن أو غرامة أو جلد أو اعدام ، طالما هو يراعى القوانين الدستورية لهذا البلد ... إنه يعيش فى حرية فى ظل هذه القوانين أما أن فعل ما هو ضد قوانين هذا البلد فإنه يفقد تلك الحرية ويزج به فى قفص الاتهام منتظراً أحكام القضاة عليه ...

هكذا تمامًا فى عالم الله ، طالما يراعى الانسان شرائعه ووصاياه فهو فى حرية « وحيث روح الرب هناك حرية » (١) .

الذى يصدر عليه أحكاماً وقضايا فى عالم الأرض ، يستأنف الحكم ، أو يعارض فيه حتى يصل إلى أعلا محاكم القضاء من نقد وابرام .

أما فى عالم الله ، فإن الذى يخطئ ويحكم عليه الله ، فكل أحكام الله غير قابلة للطعن أو الاستئناف أو النقد ، لأن أحكام الله كلها أحكام مبرمة

---

(١) ٢كو ٣ : ١٧.

« فإن رب الجنود قد قضى فمن يُبطل ؟ » .

ولما كان جميع البشر خطاة (١) ، والحكم المبرم من الله على كل خطيئة هو الموت (٢) ... وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع (٣) ... ارتأى الله أن يبرئ كل من يؤمن بيسوع المسيح ويمنحه الحرية من القيود والعتق من الموت (٤) « فإثبتوا إذاً فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها » (٥) .

وهكذا بالرغم من أن قدرنا نحن البشر الخطاة هو الموت المحتم ، إلا أن الله فى مراحمه أعطانا هامشاً لتغيير هذا القدر المحتوم ، وهو ايماننا الحقيقى بيسوع المسيح (٦) .

❖ قضاء الله بالنسبة لرجال الله القديسين ، لا يخيف ، بل هو مدعاة للهتاف والتسبيح « عادلة وحق هى طرقك يا ملك القديسين ... لأن أحكامك قد أُظهرت » (٧) فالله « يقضى لمساكين الشعب . يخلص بنى البائسين ويسحق الظالم » (٨) و « أما الرب فإلى الدهر يجلس . ثبت للقضاء كرسيه وهو يقضى للمسكونة بالعدل » (٩) ... كما أن يد الله الممدودة لا ترعب الأبرار ، لأنها ممدودة بالخير والخلاص والحماية : « تفتح يدك فتشبع كل حى رضى » (١٠) وأيضاً « تمد يدك وتخلصنى يمينك » (١١) « ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص » (١٢) وأيضاً « خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها ، ولا يخطفها أحد من يدى » (١٣) .

---

(١) مز ١٤ : ٣ . (٢) رو ٦ : ٢٣ . (٣) رو ٥ : ١٢ .
(٤) رو ٥ : ١ . (٥) غل ٥ : ١ . (٦) يو ٣ : ١٦ .
(٧) رو ١٥ : ١٣ . (٨) مز ٧٢ : ٤ . (٩) مز ٩ : ٨ .
(١٠) مز ١٠٤ : ٢٨ . (١١) مز ١٣٨ : ٧ . (١٢) اش ٥٩ : ١ .
(١٣) يو ١٠ : ٢٨ .

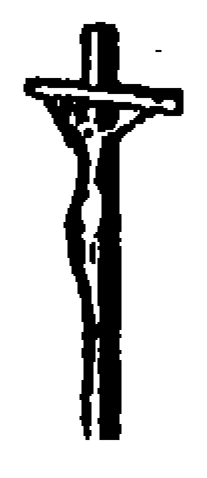
❖ وهكذا ، لا حرية ولا سلام للأشرار بل ضيق واضطراب ، ولكن من أطلع على الناموس الكامل ، ناموس الحرية ، وثبت وصار ليس سامعاً ناسياً بل عاملاً بالكلمة . فهذا يكون مغبوطاً فى عمله ، (١) ، فهكذا تكلموا وهكذا أفعلوا كعتيدين أن تحاكموا بناموس الحرية ، (٢) .

إن المسيح ، هو المحرر الحقيقى لكل انسان آمن به لذلك فى أول ارساليته قرأ فى المجمع : ، روح الرب علىّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى ... وأرسل المنسحقين فى الحرية ، (٣) .

ومن المفاهيم المغلوطة التى يضلل بها الشيطان بنى البشر ، أن يفهموا الحرية على كونها حرية ارتكاب الخطايا والتعدى على نواميس الله وشرائعه، الأمر الذى معه يفقد الانسان حرية حياته الحقيقية ... ينبهنا الرسول بطرس لهذا قائلاً : ، كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر ، (٤).ويحذرنا ، واعدين اياهم بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد ، (٥) ويؤكد الرسول بولس هذا المعنى قائلاً : ، فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الأخوة . غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد ، (٦) ، لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله ، (٧) .

فهل نخرج من قدر الموت المحتوم إلى حرية الحياة الأبدية ؟

يـا ربـت ،



(١) يع ١ : ٢٥ . (٢) يع ٢ : ١٢ . (٣) لو ٤ : ١٨ .
(٤) ١بط ٢ : ١٦ . (٥) ٢بط ٢ : ١٩ . (٦) غل ٥ : ١٣ .
(٧) رو ٨ : ٢١ .

١٤- اسرائيل والأمم

فبماذا يجاب رسل الأمم ؟

(اش ١٤ : ٣٢)

يطلق بنو اسرائيل على كل ما هو ليس اسرائيلى من سائر شعوب الأرض اسم أمم ، فهم يعتقدون أن الرب لا يهتم بأى شعب آخر على وجه الأرض غير الشعب الاسرائيلى ... الله لهم وحدهم أما سائر البشر الآخرين فهم لا يتميزون فى نظرهم عن الكلاب !! وعندما بنى سليمان الهيكل ظنوا أنهم قد ملكوا الله لهم وحدهم وحبسوه لحسابهم فى ذاك الهيكل ...

رغم أن الله منذ كان اسرائيل شعباً خاصاً ... أوضح لهم بشتى الطرق أنه اله الكون كله وهو مهتم بكل البشر بلا استثناء ... ولم يكن اختيار اسرائيل فى البداية إلا من أجل مجئ مخلص العالم كله منهم أعنى الرب يسوع المسيح ...

❖ عندما أتت المرأة الكنعانية إلى يسوع طالبة شفاء ابنتها رد عليها المسيح بما يعتقده اليهود قائلاً : « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » (١) ولكنه شفى ابنتها مادحاً إيمانها الذى لم يجده حتى فى اسرائيل (٢) ، وهكذا أوضح أن علاقة الله باسرائيل والتى أساسها الايمان ، لم ترقى إلى علاقة من يعتبرونهم كالكلاب ، بالله ! ... لأن ايمان الأمم أقوى من ايمان اسرائيل فى الله ...

فالمسألة اذن ليست فى كونهم من نسل ابراهيم ، كما قال يوحنا المعمدان : « ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابراهيم أباً . لأنى أقول لكم

---

(١) مت ١٥ : ١٦ .　　(٢) لو ٧ : ٩ .

أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لابراهيم » (١) بل فى كون أن يكون فيهم ايمان ابراهيم (٢) حتى أن الرسول بولس يقرر أن كل من عنده ايمان بالله كمثل ايمان ابراهيم ، فهو ابن لابراهيم وأن لم يكن من نسله (٣) ، وهذا يعطيه المسيح .

التساؤل عاليه يحمل معنى زمنى قصير الأمد ومعنى أبدى طويل الأمد : أما المعنى الزمنى ، فهم رسل ملك آشور وهو يتوعد اسرائيل ثم حماية الله لهم (٤) ولهذا وعد من الرب يسوع أيضًا يقول لنا : « ومتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون . لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به » (٥) « لأنى أنا أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها » (٦) و « لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب أن تقولوه » (٧) .

أما عن المعنى الأبدى ، فإن الأمم حينما يرون جماعة يعمل الله فى وسطها مع وجود ميل فطرى يجعلهم يبحثون عن الله ، فإنهم سرعان ما يتوجهون إلى تلك الجماعة طالبة أن تعرفها طرق الرب ، حين يطلبونه بكل قلوبهم . « ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه شعوب وتسير أمم كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت اله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك فى سبله » (٨) .

❖ وهذا أيضًا هو منظر الكنيسة الأولى « وكانوا ... مسبحين الله ولهم

---

(١) متى ٣ : ٩ . (٢) يو ٨ : ٣٩ . (٣) غل ٣ : ٢٩ .
(٤) اش ٣٦ ، ٣٧ . (٥) متى ٩ : ١٩ . (٦) لو ٢١ : ١٥ .
(٧) لو ١٢ : ١٢ . (٨) ميخا ٤ : ١ ، ٢ .

نعمة لدى جميع الشعب » (١) و « كان الشعب يعظمهم » (٢) .

وهناك فقرة هامة من سفر أعمال الرسل توضح أن اله اسرائيل هو هو مسيح كل الأمم : « فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين . فجاهر بولس وبرنابا وقالا كان يجب أن تكلموا أنتم أولاً بكلمة الله . ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية . هوذا نتوجه إلى الأمم . لأن هكذا أوصانا الرب قد أقمتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض . فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب . وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية » (٣) .

ويشرح الرسول بولس هذا الوضع متسائلاً : « ألعل الله رفض شعبه ؟ حاشا » (٤) ومرة أخرى « ألعلهم عثروا لكى يسقطوا . حاشا » (٥) بل « أن القساوة قد حصلت جزئياً لاسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم » (٦) « فماذا أن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته أحتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك . ولكى يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد . التى أيضاً دعانا نحن اياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً » (٧) .

ترى هل يفهم اسرائيل أن الله هو اله البشر جميعاً ؟

***

---

(١) اع ٢ : ٤٧ . (٢) اع ٥ : ١٣ . (٣) اع ١٣ : ٤٤ - ٤٨ .
(٤) رو ١١ : ١ . (٥) رو ١١ : ١١ . (٦) رو ١١ : ٢٥ .
(٧) رو ٩ : ٢٢ ، ٢٣ .

١٥- مجلس الشورى

كيف تقولون لفرعون أنا ابن حكماء ،
ابن ملوك قدماء ، فأين هم حكماؤك ؟
(اش ١٩ : ١١)

سئل الرئيس الأميركى چون كندى عقب فوزه فى انتخابات الرئاسة ، ما هو أهم عمل ستبدأ أن تعمله فور توليك السلطة وتضعه على قمة أولوياتك ؟ فرد كندى : أن أول وأهم عمل هو اختيار المستشارين الذين سيعملون معى ، فلابد أن أختار أعلا الكفاءات ، لكى نكون على مستوى المسئولية ...

أن المستشارين الذين يعملون مع الحاكم ، هم طغمة فى منتهى الخطورة . فالحاكم يرى كل شئ ، ويقرر قراراته الحاسمة من خلالهم ... فلو كانوا من الأشخاص المخلصين الصادقين المنزهين عن الهوى ... تكون فترة حكم الحاكم فترة ازدهار وبناء وعدل ... أما أن كانوا أشراراً ، فحتى لو كان الحاكم نفسه ممتازاً ، يلطخون عهده بأبشع الأعمال . لأنهم منافقون ومتسلقون وانتهازيون ... بلا صدق ولا اخلاص ... يضعون للحاكم السم فى العسل ويرونه الخير شراً والشر خيراً ، ويوهمون الحاكم أنه لا بقاء له فى السلطة بدونهم ، فهم حراسه الأوفياء ... وكل هذا كى يضمنوا بقاءهم فى مراكزهم حول الحاكم !! وقد تتدهور حال المحكومين من أخطاءٍ قاتلة للكيان ، ولكن المستشارين الأشرار لا ينقلوا للحاكم إلا الصور الوردية مع جرعات مكثفة من أقوال النفاق ... وهكذا ، حتى الخراب الشامل، وأول من ينفضون من حول الحاكم هم مستشاروه الأشرار.

❖ لقد كان كل فرعون من فراعنة مصر يحيط نفسه بأحكم الحكماء ، ليكونوا مستشاريه ، وكان هذا فخراً لمصر حيث كُتب عنها فى الكتاب

المقدس : « فتهذب موسى بكل حكمة المصريين . وكان مقتدراً فى الأقوال والأعمال » (١) وأيضًا كان فرعون يقرب إليه من هم من نسل الملوك ، لأنهم كانوا يعتقدون بالوهية الملك ، وبأن الدم الذى يجرى فى عروق الملك هو من دماء الألهة ، وليس كمثل دماء عامة الشعب .

ولكن ها هو إشعياء النبى يُحمّق مشورة البلاط الفرعونى فى التساؤل عاليه ، لأن الله يستطيع أن يبطل حكمة الحكماء وفهم الفهماء ، ويبطل مشورتهم (٢) تماماً كمثل ما فعل مع مشورة أخيتوفل أيام تمرد أبشالوم على ابنه داود الملك وحلت محلها مشورة حوشاى الأركى (٣) التى أهلكت أبشالوم وأنقذت داود .

لقد كان اختيار فرعون ليوسف العفيف قائلاً : « هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله ... » (٤) نموذجاً لاختيار الفراعنة لبلاطهم .

مبادئ الشورى من الكتاب المقدس

أهميتها : « طريق الجاهل مستقيم فى عينيه . أما سامع المشورة فهو حكيم » (٥) و « مقاصد بغير مشورة تبطل وبكثرة المشيرين تقوم » (٦) و « حيث لا تدبير يسقط الشعب . أما الخلاص فبكثرة المشيرين » (٧) .

خطورة مشورة الأشرار : « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ... لكن فى ناموس الرب مسرته » (٨) « فقال لى يا ابن أدم هؤلاء هم الرجال المفكرون بالاثم المشيرون مشورة رديئة فى هذه المدينة » (٩) . « بل ساروا فى مشورات وعناد قلبهم الشرير » (١٠) . أيضًا عندما تبع

---

(١) اع ٧ : ٢٢ . (٢) ١كو ١ : ١٩ . (٣) ٢صم ١٧ : ٧ .
(٤) تك ٤١ : ٤٦ ، ٤٧ . (٥) أم ١٢ : ١٥ . (٦) أم ١٥ : ٢٢ .
(٧) أم ١١ : ١٤ . (٨) مز ١ : ١ . (٩) حز ١١ : ٢ . (١٠) أر ٧ : ٢٤.

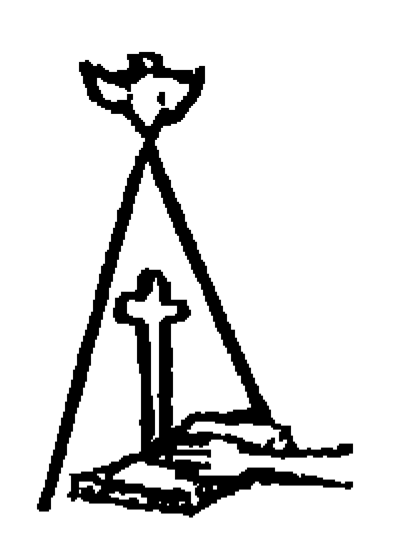
رحبعام ابن سليمان مشورة الأحداث الفجـة ، تاركًا عنه مشورة الشيوخ الحكيمة ، انقسمت المملكة على يديه (١) . « نور الأشــرار ينطفئ ... وتصرعه مشورته » (٢) . « لتبعد عنى مشورة الأشرار » (٣) .

مواصفات المشورة الحسنة :

١- اجماع الكثرة عليها - « مع المتشاورين حكمة » (٤) .

٢- صادرة من شيوخ ذوى خبرة - فمجالس الشورى فى بعض البلاد يسمونهم مجلس الشيوخ ، والرتبة الثانية فى الكنيسة بعد الأسقفية هى رتبة القسيسية (أى الشيوخ) « أما الشيوخ المدبرون حسناً فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة » (٥) لأن « قدام شيوخه مجد » (٦) وحول العرش السمائى « أربعة وعرشين شيخًا جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من دهب » (٧) .

٣- لابد أن نتأكد أنها مشورة الرب « فى قلب الانسان أفكار كثيرة لكن مشورة الرب هى تثبت » (٨) فيسوع المسيح هو « رجل مشورتى » (٩) حيث يحل عليه روح الرب « روح المشورة والقوة » (١٠) . فعلينا أن نسعى فى جيلنا بحسب مشورة الله الصالحة (١١) ، ولا نكن كالفريسين الذين رفضوا مشورة الله تجاه أنفسهم (١٢) .



(١) امل ١٢ : ١٣ ، ١٩ . (٢) اى ١٨ : ٧ . (٣) اى ٢١ : ١٦ .
(٤) ام ١٣ : ١٠ . (٥) ١تى ٥ : ١٧ . (٦) اش ٢٤ : ٢٣ .
(٧) رؤ ٤ : ٤ . (٨) أم ١٩ : ٢١ . (٩) اش ٤٦ : ١١ .
(١٠) اش ١١ : ٢ . (١١) اع ١٣ : ٣٦ . (١٢) لو ٧ : ٣٠ .

١٦- عندما نحتاج إلى النجدة والمعونة

هوذا هكذا ملجأنا الذى هربنا إليه
للمعونة لننجو من ملك آشور
فكيف نسلم نحن ؟ (اش ٢٠ : ٦)

عندما تداهم المخاطر حياة انسان ، فإنه يبحث عن النجدة والمعونة كى يحتمى . والذكى هو الذى يبحث بسرعة عن نجدة فعّالة كى يلوذ بها ، أما أن كانت النجدة نفسها نجدة خاطئة ، فإن المخاطر تبقى مهددة للانسان حتى وهو محاط بالنجدة الهايفة التى اختارها !

هذا بالضبط ما تنبأ به إشعياء النبى كظاهرة ستصاحب محنة السبى ، فهو هنا يتنبأ أنه عندما يسبى اسرائيل سيفكرون أن يستنجدوا بمصر فيحذر : « ويل للذين ينزلون إلى مصر للمعونة ويستندون على الخيل ويتوكلون على المركبات لأنها كثيرة وعلى الفرسان لأنهم أقوياء جداً ولا ينظرون إلى قدوس اسرائيل ولا يطلبون الرب » (١) . ذلك لأن ملك آشور الذى سيسبى اسرائيل سيتقدم بجيوشه نحو مصر وكوش (الحبشة) ويهزمهم ويسبيهم أيضاً وهذا ما تنبأ به أيضاً إشعياء النبى بصريح العبارة إذ قال : « هكذا يسوق ملك آشور سبى مصر وجلا كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة ومكشوفى الإستاه خزياً لمصر ، فيرتاعون ويخجلون من أجل كوش رجائهم ومن أجل مصر فخرهم » (٢) .

❖ أنها مصر التى قال عنها ربشاقى رئيس جيوش آشور حين حاصر أورشليم مخاطباً ملك اسرائيل : « والآن على من اتكلت حتى عصيت علىّ. إنك اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة على مصر التى إذا

---

(١) اش ٣١ : ١ .   (٢) اش ٢٠ : ٤ .

توكأ أحد عليها دخلت فى كفه وثقبتها . هكذا فرعون ملك مصر لجميع المتوكلين عليه » (١) .

❖ والذى حدث أثناء السبى فعلاً أمراً يدعو للعجب ، من هذا الشعب الغليظ الرقبة ! فكان إشعياء النبى قد مات ، وجاء أرميا النبى من بعده معاصراً لحوادث السبى ... حيث أتى الباقون من سبى نبوخذنصر إلى أرميا طالبين معرفة مشيئة الرب هل ينزلون إلى مصر أم لا ، فلما نبههم أن السيف الذى هم خائفون منه سيلحقهم فى مصر أيضاً أن ذهبوا (٢) ، حملوا أرميا النبى عنوة وذهبوا جميعاً إلى مصر (٣) ! وهناك عاد أرميا وتنبأ أن ملك آشور سيأتى ويضرب مصر ويجلس هو على عرش فرعون (٤) الأمر الذى حدث بحذافيره ...

❖ كان بنو اسرائيل قد أوقفوا عبادة الله من حياتهم بل بخروا لملكة السموات وسكبوا لها سكائب ، ودخلوا فى محافل عبادات المصريين ... لذلك توقفت أيضاً المعونة القوية والحماية الحقيقية التى يضمنها الله لمحبيه، تلك التى يعيش كل قديسى العلى فى كنفها كما فى الآيات :

- بك يارب احتميت فلا أخزى إلى الدهر (٥) .

- أنت يارب تنجينا وتحفظنا من هذا الجيل وإلى الأبد (٦) .

- الرب يحفظك من كل شر يحفظ نفسك (٧) .

- ولكن الرب وقف معى وقوانى لكى تتم بى الكرازة ويسمع جميع الأمم فأنقذت من فم الأسد ، وسينقذنى الرب من كل عمل ردئ ويخلصنى

---

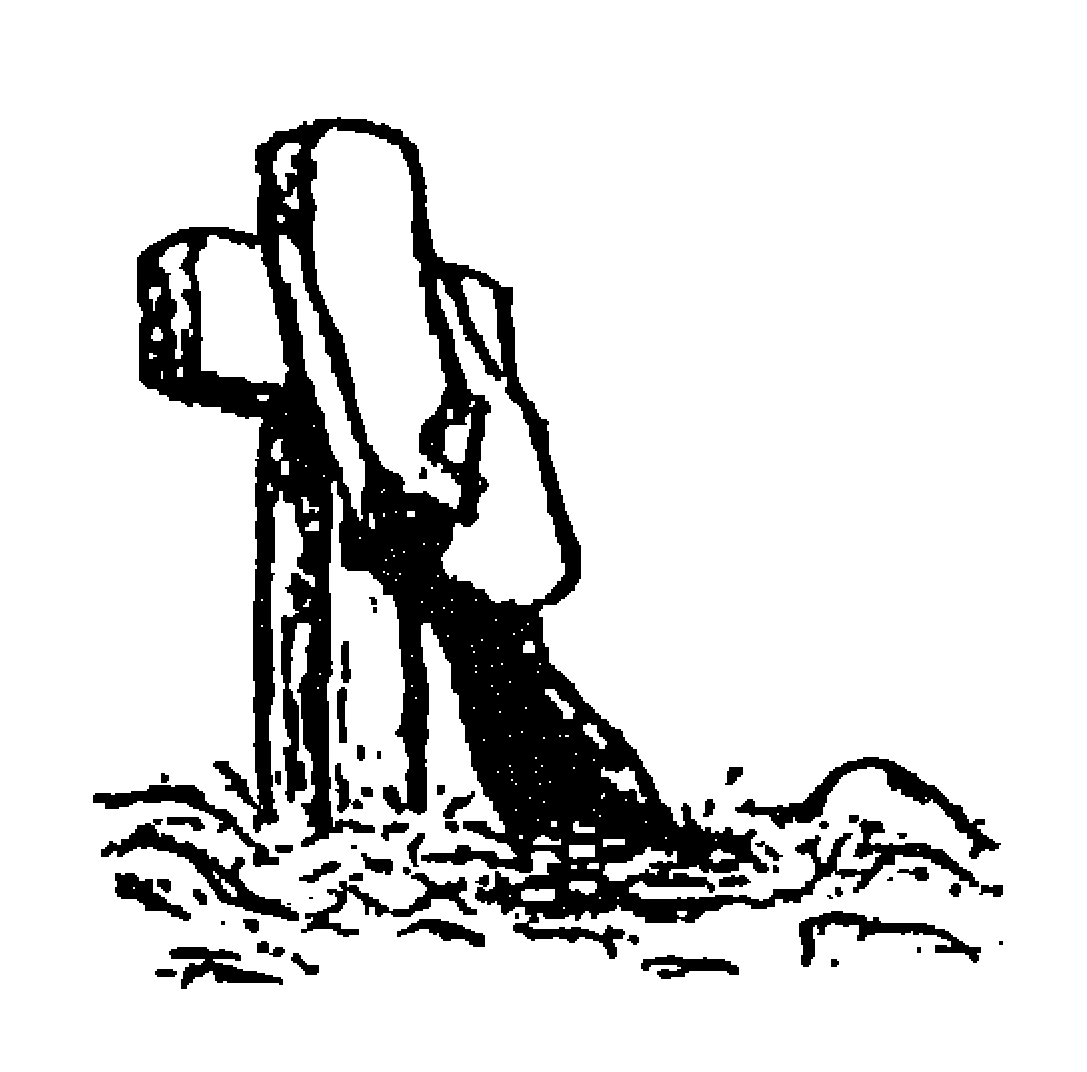
(١) اش ٣٦ : ٦ . (٢) أر ٤٢ : ١٨ . (٣) أر ٤٣ : ٤ - ٧ .
(٤) أر ٤٣ : ١٠ - ١٣ . (٥) مز ٧١ : ١ . (٦) مز ١٢ : ٧ .
(٧) مز ٢١ : ٧ .

لملكوته السماوى . الذى له المجد إلى دهر الدهور آمين (١) .

– يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة (٢) .

– الله لنا ملجأ وقوة عوناً فى الضيقات وجد شديداً. لذلك لا نخشى (٣).

– أحبك يارب يا قوتى . الرب صخرتى وحصنى ومنقذى . الهى صخرتى به أحتمى . ترسى وقرن خلاصى وملجأى . أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائى (٤) .



(١) ٢تى ٤ : ١٧ ، ١٨ . (٢) ٢بط ٢ : ٩ . (٣) مز ٤٦ : ١ .

(٤) مز ١٨ : ١ .

١٧- ولكـــن ...

يا حارس ما من الليل ؟
يا حارس ما من الليل ؟
(اش ٢١ : ١١)

كثيرون يقرأون هذا التساؤل « ما من ليل » والصحيح « ما من الليل » وهذا الخطأ فى القراءة قد يذهب بنا إلى الكثير من المعانى المغلوطة ، ونبنى تأملاتنا عليها ...

❖ أنها نبوة قصيرة جداً قالها إشعياء النبى : « وحى من جهة دومة » (١) ودومة هو سادس ابن أنجبه اسماعيل ابن ابراهيم (٢) . وقد يكون هو أب عشيرة الأدوميين (٣) وكان جبل ساعير هو ضمن أرضهم حيث سكن عيسو توأم يعقوب ، ولا شك أن بلادهم على حدود اسرائيل ، لذلك وجه إشعياء النبى نبوة لهم كى يرجعوا ويأتوا إلى الله طالبين نوره من كل قلبهم (٤) ، وفى نفس الوقت كى يثير فى اسرائيل الغيرة كى يأتوا هم أيضاً إلى نور الله .

❖ « صرخ إلىّ صارخ من سعير » (٥) صراخ سعير سمعه إشعياء رجل الله . وحسناً قالوا له « يا حارس » فالأنبياء هم رقباء وحراس على الشعوب فيما يخص الارادة الالهية . وهذا ما أعلنه الله لحزقيال النبى : « وأنت يا ابن أدم فقد جعلتك رقيباً لبيت اسرائيل فتسمع الكلام من فمى وتحذرهم من قبلى » (٦) .

---

(١) اش ٢١ : ١١ . (٢) تك ٢٥ : ١٣ . (٣) تك ٣٢ : ٣ .
(٤) اش ٢١ : ١٢ . (٥) اش ٢١ : ١١ . (٦) حز ٣٣ : ٧ .

❖ شعب سعير يسألون بصراخ إشعياء النبى « ما من الليل ؟ » وهذا التساؤل يحمل معنى مزدوجاً ... ما من الليل ؟ = أى متى يأتى نور الفجر ؟ وأيضاً يعنى فى نفس الوقت ما من الليل ؟ = أى هل يبقى الليل ويطول لنا ؟ ... أنهم يريدون بقاء الليل وفى نفس الوقت يريدون مجئ الصباح ! وقد ينطبق عليهم قول المسيح له المجد : « وهذه هى الدينونة . أن النور قد جاء إلى العالم . وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة » (١) .

فيرد الحارس : « أتى صباح وأيضاً ليل » . والصباح هو مجئ المسيح له المجد الذى قال : « أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة » (٢) . فهو كوكب الصبح المنير (٣) الذى يشير إلى انبثاق نور الفجر على الأرض ، ويطلع فى القلوب (٤) فيفعمها نوراً ...

ولكن المحزن بالنسبة لجيل سعير أن نور الصباح بعدما سيكون قد أشرق هناك ، سيعود ليل الابتعاد عن المسيح هناك حيث لا يكون مسموحاً بتسرب أى شعاع من النور إلى هناك !

❖ ولكن إشعياء النبى يختم نبوته لهم بأن يحددوا ما يطلبونه بالضبط هل يطلبون الليل أم يطلبون النور والعودة إلى الله « إن كنتم تطلبون فاطلبوا . ارجعوا ، تعالوا (إلى المسيح الرب) فكل من يقبل إليه لا يخرجه خارجاً (٥) .

❖ هذه عبرة وعظة لكل من يريدون أن يجمعوا بين ظلمة العالم ونور المسيح فى آنٍ واحد ... يجمعون بين ملذات الدنيا ، وقداسة السماء ،

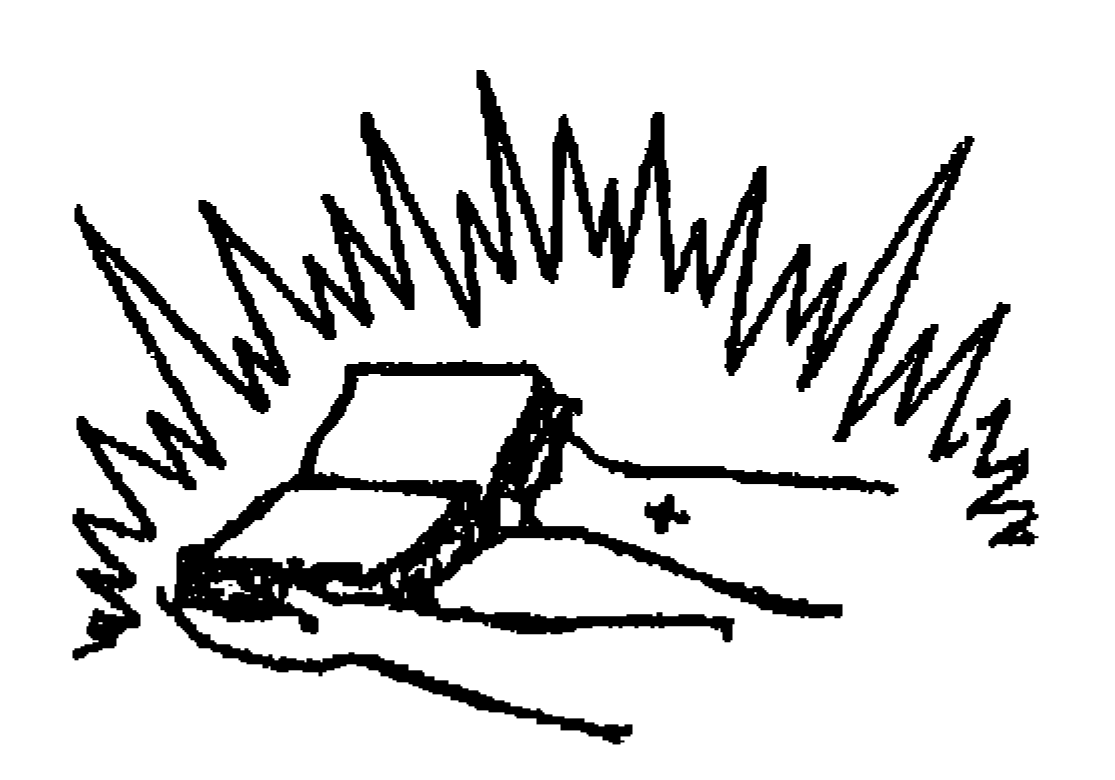
---

(١) يو ٣ : ١٩ . (٢) يو ٨ : ١٢ . (٣) رؤ ٢٢ : ١٦ .
(٤) ٢بط ١ : ١٩ . (٥) يو ٦ : ٣٧ . (٦) رو ١٣ : ١١ – ١٤ .

بين ملائكة النهار وشياطين الليل .

الخطايا المظلمة قد تعطى لذة فورية ولكن عاقبتها مرارة الأفسنتين أما سبل المسيح المنيرة فهى حياة أبدية .

« هذا وأنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا . قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور . لنسلك بلياقة كما فى النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد . بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات » (١) .



(١) رو ١٣ : ١١ - ١٤ .

١٨- هــروب غير مجد

فما لكِ صعدت جميعًا على
السطوح ؟ (اش ٢٢ : ١)

عز على إشعياء النبى ، وهو يرى بروح النبوة ، ما الذى سيحدث فى أورشليم من تخريب عند افتتاحـها ! حتى أنه بكى بمرارة وأبى أن يتعزى : « لذلك قلت أقتصروا عنى فأبكى بمرارة . لا تلحوا بتعزيتى عن خراب بنت شعبى » (١) .

سيدخل نبوخذ نصر بجيوشه إلى أورشليم ، ويعمل فيها قتلاً وسبيًا ويمشطها من شارع إلى شارع ومن حارة إلى حارة ومن زقاق إلى زقاق ، وسيكون مع الجنود الغازية أداة حرب فتاكة تدك البيوت وتحرق القصور ، فيحصدون الناس فى الشوارع للقتل أو السبى ، دون أن يلقوا أى مقاومة لأن الرؤساء والقواد المدافعين عن المدينة قد هربوا (٢) ... وسيصعد بعض الناس إلى أسطح منازلهم طلباً للهرب والنجاة ولكن ما فائدة الصعود على أسطح منازل قد تشققت الجدران تحتها وبدأت تنهار ... وهذا ما استهل به إشعياء النبى نبوته عن خراب أورشليم حين يتسائل الروح القدس على فمه « فما لكِ (يا أورشليم) أنك صعدت جميعًا على السطوح ؟ » فما جدوى الهرب إلى سطح منهار ؟

ولقد عز روح الله القدوس نفسه أن يسميها باسمها أورشليم أى مدينة السلام ، لأنها سوف لا تنعم آنذاك بالسلام ، بل أسماها « وادى الرؤيا » (٣) . فكل رؤيا إشعياء تدور حولها وكما أن الوادى يمتلئ بكل مياه الأمطار المحيطة به ، هكذا معانى كل الرؤى تصب فى النهاية فى أورشليم حيث

---

(١) اش ٢٢ : ٤ . (٢) اش ٢٢ : ٣ . (٣) اش ٢٢ : ١ .

سيأتى المسيح إلى هناك ويحيا ويتألم ويُصلب ثم يقوم ... ولذلك قال يوحنا المعمدان : « كل وادٍ يمتلئ » (١) .

❖ لقد وصلت نبوات إشعياء النبى إلى ذروتها ، فبعد أن تنبأ عن معظم الممالك المجاورة لاسرائيل ، ها هو يتنبأ عن أورشليم نفسها ... أورشليم ستخرب !! أورشليم المحبوبة جداً من الله وكل الناس ! أورشليم المدينة المقدسة ! بيت المقدس ، أو القدس ، مدينة السلام ! ستخرب . أنها المدينة العزيزة جداً لدى الله والناس بكل ما ترمز إليه ، حتى أن الرسول بولس وصفها بأنها « أمنا جميعاً » (٢) .

❖ ولكن لماذا سيحل كل هذا الخراب بأورشليم ؟

لأنه قد صعد شرهم أمامى (٣) (يقول الرب) ... والله ينذرهم على فم إشعياء النبى لعلهم يتوبوا كمثل ما تاب أهل نينوى ، فيرجع الرب عن الشر الذى قال أن يصنعه بهم « دعا السيد رب الجنود فى ذلك اليوم إلى البكاء والنوح والقرعة والتنطق بالمسح » (٤) . ولكنهم لم يصنعوا بحسب ما قال إشعياء النبى ، بل كان رد الفعل عندهم هو العكس تماماً بمنطق غريب ! إنه منطق فلسفة شيطانية سارية للأسف بين العديد من البشر وهو أنه طالما الغد يتوعدنا بموت وخراب وسبى ، فلننعم باليوم ، وبدلاً من الخوف والهلع من الآتى ، علينا أن نستمتع بكل ما يمنحه لنا اليوم « فهوذا بهجة وفرح ، ذبح بقر ونحر غنم أكل لحم وشرب خمر ... (قائلين لبعضهم) لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت (٥) أنها نفس فلسفة أبى نواس ، وعمر الخيام عند العرب ، والابيقوريين فى اليونان ... فبدلاً من أن يتلافوا مصائب المستقبل

---

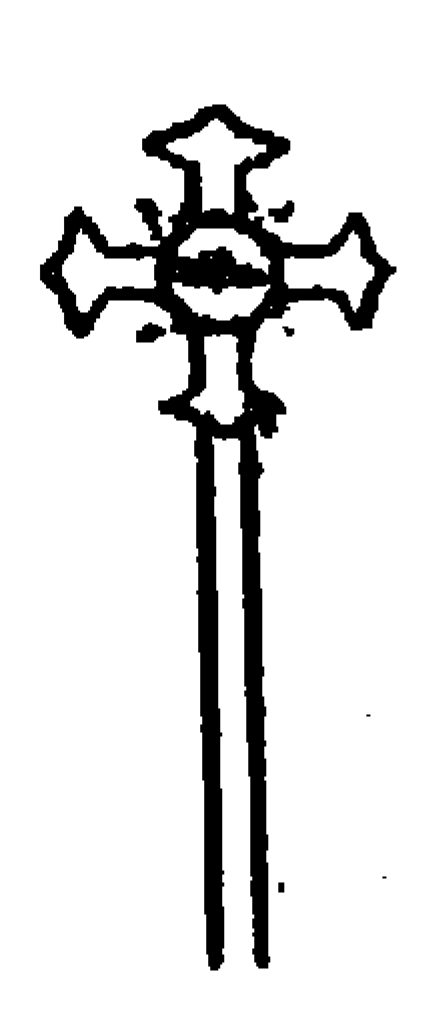
(١) لو ٣ : ٥ . (٢) غل ٤ : ٢٦ . (٣) يونان ١ : ٢ .

(٤) اش ٢٢ : ١٢ . (٥) اش ٢٢ : ١٣ .

بالتوبة ، يضاعفونها عليهم بسيرة الانحلال ، غير مصدقين ما يتوعدهم به الله من أجل شرهم ... لذلك يعلن إشعياء النبى بما يهمس به الرب الاله فى أذنه : « فأعلن فى أذنىّ رب الجنود لا يغفرن لكم هذا الاثم حتى تموتوا يقول السيد رب الجنود » (١) لأنه أى اثم أفظع من اثم الاستهانة بأقوال الله الصادقة ، فإن مثل هؤلاء يجعلون الله كاذباً ! وهل من اثم أشنع من هذا الاثم « حاشا ، بل ليكن الله صادقاً وكل انسان كاذباً » (٢) .

❖ ولقد استخدم الرسول بولس نفس الآية التى دان بها إشعياء النبى سكان أورشليم ، ليدين بها هو بدوره كل من ينكرون قيامة الأموات قائلاً : « أن لم تكن قيامة للأموات فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت » (٣) .

فهل نتعقل ونؤمن ونتوب ...



(١) اش ٢٢ : ١٤ . (٢) رو ٣ : ٤ . (٣) ١كو ١٥ : ٣٢ .

١٩- البكش الدينى

ما لك ههنا ، ومن لك هنا ؟

(اش ٢٢ : ١٦)

سمعت عن أحد الأثرياء ، توفيت ابنته الوحيدة وهى فى ريعان الشباب وكانت بكراً ، فحزن عليها حزناً عظيماً حتى أنه أبى أن يدفنها فى تراب القبر كباقى الناس وبقيت على فراش موتها ، حتى اقترح عليه أحد الأصدقاء حلاً لهذا الاشكال أن يبنى لها مقبرة من رخام ترتفع عن الأرض بأربعة أعمدة ، وبذلك يحفظها بعيداً عن تراب الأرض ... وقد تم هذا بالفعل . لقد كان هذا حلاً وسطاً ، ولكن النتيجة واحدة ، فالجثة ستتحلل فى قبرها الرخامى العالى تماماً كما تتحلل وهى على تراب الأرض ، فما الفرق ؟

❖ تذكرت هذه الواقعة حين قرأت هذا التساؤل الموجه إلى شخص يدعى « شُبنة الكاتب » وكان بمثابة رئيس الديوان الملكى فى اسرائيل . فقد خاطبه الرب هكذا : « أيها الناقر قبره فى العلو » (١) فما هى قصة هذا الرجل ؟ وما هى الفوائد الروحية من النبوة التى وجهها له الله ؟

❖ كان شبنه وخليفته الياقيم ذا مركز مرموق فى اسرائيل فكان كلّ منهما يعتبر الرجل الثانى بعد الملك ، هذا ادارياً ، أما من الناحية الدينية ، فكان مفتاح بيت داود على كتفهما (٢) ، لهما ثياب فاخرة ، ومناطق مميزة ، وكان لهما سلطان واسع فى كل الشئون ، وكل منهما يعتبر أباً لسكان أورشليم ولبيت يهوذا فيفتح ولا أحد يغلق ويغلق وليس من يفتح (٣) ،

---

(١) اش ٢٢ : ١٦ . (٢) اش ٢٢ : ٢٢ . (٣) اش ٢٢ : ٢١ .

ثم كان كل منهما رمزاً لمجد (١) اسرائيل وبيت يهوذا ، فيعلق كل مجد الكيان عليهما ... قد يكون مركزهما كمثل مركز البطريرك فى زماننا هذا مضافاً إلى مهامه الدينية مهام أخرى سياسية ...

عندما سمع شبنه Shebna ، ومعنى اسمه ليت الله يقيم ، نبوة إشعياء عن خراب أورشليم ، لم يفكر إلا فى بناء مقبرة له ، مع أن الغاية من النبوة هى احداث توبة جماعية وسط الشعب ، فهو لم يستغل مركزه وسلطانه ، كما فعل ملك نينوى ، فى المناداة بالتوبة ، بل فكر فى مصير جثته ، ولم يفكر فى مصيره الأبدى ! لذلك توعده الله بالآتى :

١- أن الله سيطرحه طرحاً (٢) .

٢- الله سيغطيه تغطية (٣) .

٣- الله سيلفه لف لفيفة كالكرة فى أرض واسعة حيث يموت (٤) .

٤- سيكون خزياً لبيت الله (٥) .

٥- الله سيطرده من منصبه ويحطه من مقامه (٦) .

٦- الله سيولى الياقيم Eliakim = ومعنى اسمه ليت الله يرفع ... عوضاً عنه .

ولكن الشعب نفسه سيكون قد تثقل عن التوبة ، لذلك سينفذ القضاء الالهى على الملك وثانيه وكل الشعب ...

لقد كان شبنه ذا سلطة ونفوذ ، ولكنه لم يوظف هذا السلطان للمهمة التى وضعه الله من أجلها ، بل وظفها كلها لما يعود عليه هو شخصياً

---

(١) اش ٢٢ : ٢٤ . (٢) اش ٢٢ : ١٧ . (٣) اش ٢٢ : ١٧ .

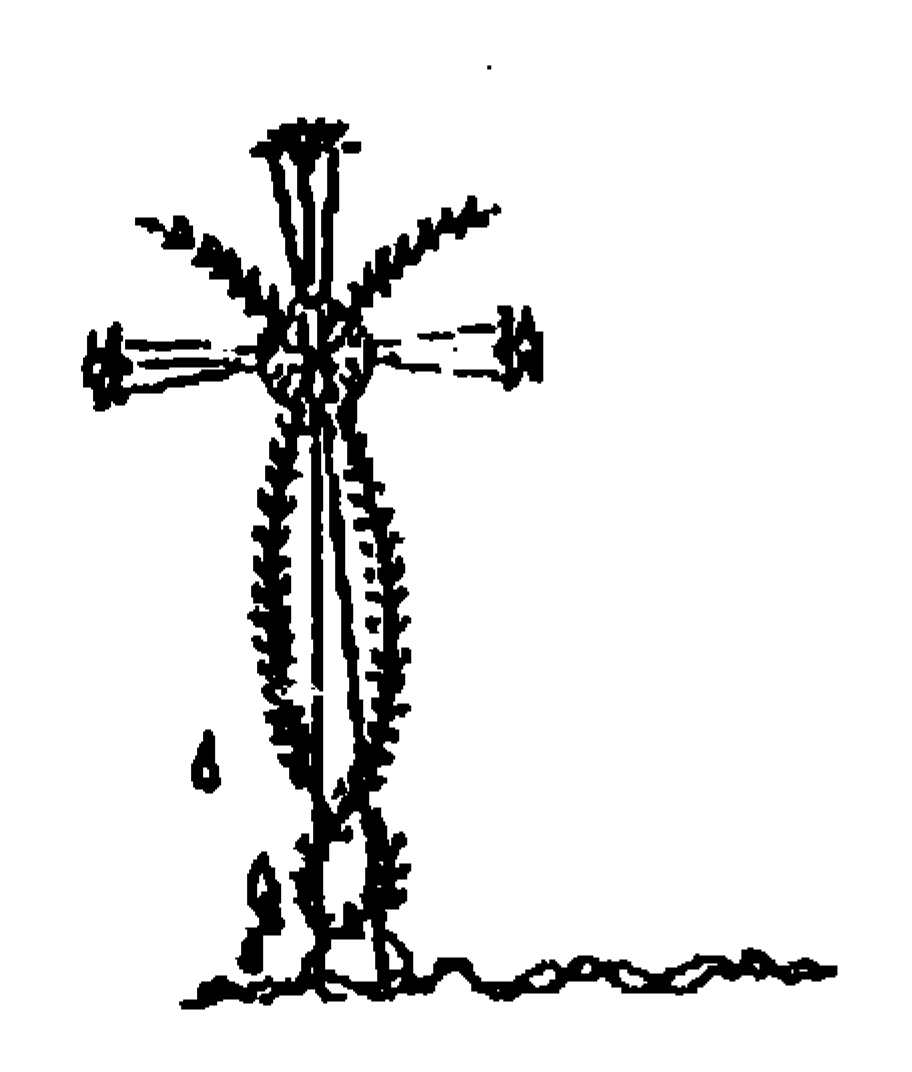
(٤) اش ٢٢ : ١٨ . (٥) اش ٢٢ : ١٨ . (٦) اش ٢٢ : ١٩ .

وحتى جثته بعد الموت ، بالفائدة والنفع ... لذلك حكم عليه الله أن لا يدفن فى ذلك القبر الذى نقره فى العلاء ، بل تطرح جثته فى خلاء وتحبط كل أعماله التى فاخر بها ، وكان يبكش بها على الشعب المضلل .

ويالها من عبرة ...

فالسلطة ليست كرامة للذات ...

ولكنها مسئولية أمام اللّه .



٢٠- مدينة الازدهار الاقتصادى

أهذه لكم المفتخرة ؟ التى منذ الأيام القديمة قدمها تنقلها رجلاها بعيداً للتغرب ؟ من قضى بهذا على صور المتوجة ؟ التى تجارها رؤساء ، متسببوها موقروا الأرض ؟

(اش ٢٣ : ٧ ، ٨)

إنها مدينة صور التى على الساحل الغربى لدولة لبنان ، المدينة المحصنة (١) ذات الحضارة العريقة ... ولكونها جزيرة قريبة من شاطئ البحر المتوسط لذلك اشتهرت ببناء السفن الضخمة ، وكانت فى أوقات سلامها سيدة البحار وأهم ميناء فى الشرق الأوسط للتجارة على أعلى مستوى .

لقد صادق ملكها ، الملك داود وعزى فى وفاته (٢) ... كما ساعد ملكها الملك سليمان فى اجتلاب الأخشاب عن طريق البحر لبناء الهيكل فى أورشليم (٣) ... وأيضاً أتخذ آخاب ، ملك اسرائيل ، ايزابل ابنة ملك صور آنذاك زوجة له (٤) .

❖ هذه الصورة المبهرة للرخاء الاقتصادى التى كانت لمملكة صور ، بهرت بالأخص مملكة اسرائيل الذين يعبدون المال ويحاولون اقتناءه بشتى الطرق ...

ها اسرائيل ستدخل فى تجربة السبى المريرة ، وهذا قد يدعم من

---

(١) يش ١٩ : ٢٩ . (٢) امل ٥ : ١ . (٣) امل ٩ : ١٠ . (٤) امل ١٦ : ٣١.

ترجيح كفة نظرتهم الخاطئة إلى المال ، قائلين لو كان لدينا المال الوفير مثل مملكة صور ، لاستطعنا أن نقاوم الغزاة ... وبدلاً من اتكالهم على الله يتحسرون بأنه ليس لديهم المال الذى يظنون أن كل من اتكل عليه لا يخيب ! وهذه النظرة قد تفوت عليهم فرصة التوبة والرجوع إلى الله ، حيث قال يسوع : « لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (١) .

من أجل ذلك تنبأ أنبياء كثيرون مع إشعياء النبى عن تخريب مملكة صور أيضاً ، ويرفعون مرثاة على ملك صور ، ويصفون بالتطويل تفاصيل مظاهر غناهم وعراقة حضارتهم وعظمة ملوكهم ومن أسسوها ، كل هذا كى يستبعد شعب الله فكرة الاعتماد على الغنى الفانى حين يرى مملكة صور أيضاً مع ملكها يساقون إلى السبى بصورة أفظع ...

❖ لقد شمتت صور أولاً فى بنى اسرائيل حين أخذوا فى السبى لذلك تنبأ عنهم عاموس النبى « من أجل ذنوب صور الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهم سلموا سبياً كاملاً إلى آدوم ولم يذكروا عهد الأخوة . فأرسل ناراً على سور صور فتأكل كل قصورها » (٢) .

❖ وكذلك زكريا النبى : « وصور وصيدون وأن تكن حكيمة جداً ، وقد بنت صور حصناً لنفسها وكومت الفضة كالتراب والذهب كطين الأسواق هوذا السيد يمتلكها ويضرب فى البحر قوتها وهو توكل بالنار » (٣) .

❖ أما أرميا النبى فيصف حكمة الله فى القضاء على صور وكل الممالك المجاورة قائلاً : « لأنه هكذا قال لى الرب إله اسرائيل . خذ كأس خمر هذا السخط من يدى وأسق جميع الشعوب الذين أرسلك أنا إليهم اياها فيشربوا ويترنحوا فيتجننوا من أجل السيف الذى أرسله أنا بينهم ... وكل

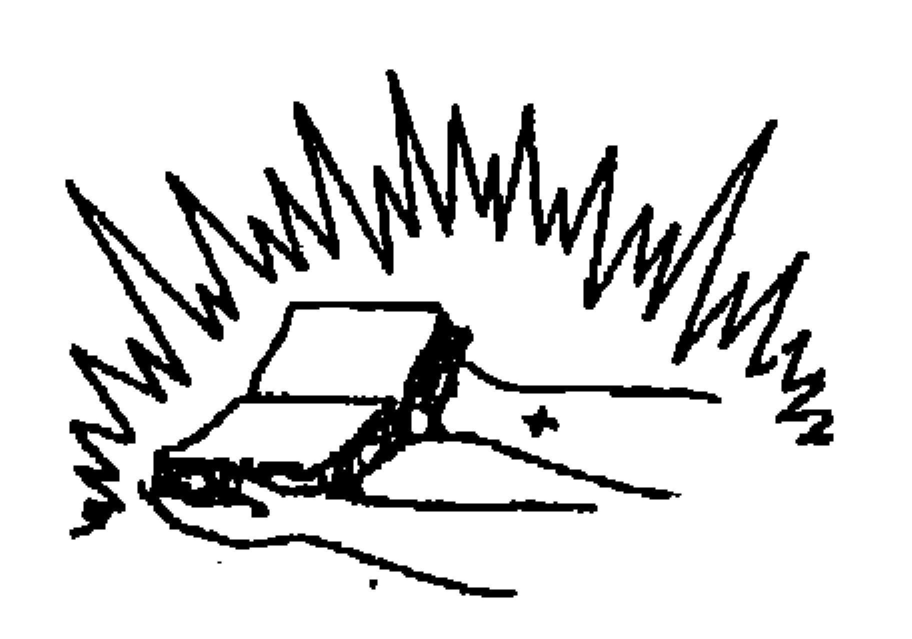
(١) متى ٦ : ٢٤ . (٢) عا ١ : ٩ . (٣) زك ٩ : ٤ .

ملوك صور ... لأنى هانذا أبتدئ أسئ إلى المدينة التى دعى اسمى عليها فهل تتبرأون أنتم . لا تتبرأون ، (١) .

❖ كذلك حزقيال النبى فى ثلاثة اصحاحات كاملة (٢) يشرح هجمات المغيرين المتتالية على صور واصفاً انهيار كل ازدهارها الاقتصادى .

❖ وها هو إشعياء النبى أبو الأنبياء قد بدأ بالتنبؤ على خراب صور فى التساؤلات عاليه كى يعتبر الاسرائيليون ، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع ، (٣) .

ملاحظة أخيرة قالها المسيح له المجد وهى أن صور وصيدا ستكون لهما حالة أكثر احتمالاً من مدن اسرائيلية هى كورزين وبيت صيدا لأنهما لم يؤمنا بآيات المسيح وعجائبه (٤) ... فرغم أن صور تملقت هيرودس أغريباس قائلة أن صوته هو صوت اله لا صوت انسان (٥) ، إلا أن بولس فى طريق عودته من آسيا الصغرى إلى أورشليم مكث بصور سبعة أيام إذ وجد بها تلاميذ (٦) (مؤمنين بالمسيح) .



(١) أر ٢٥ : ١٥ - ٢٩ . (٢) حز ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ . (٣) اتى ٦ : ١٧ .

(٤) مت ١١ : ٢١ ، ٢٢ . (٥) اع ١٢ : ٢٠ . (٦) اع ٢١ : ٧ .

٢١- ضرب الحبيب

هل ضربة كضربة ضاربيه ؟

أو قتل كقتل قتلاه ؟

(اش ٢٧ : ٧)

الكون هو بستان الله ، عندما ينبت فيه الشوك والحسك وكل نبت شيطانى ، فإن الله يجمع كل هذا للحريق ... أما الأشجار المثمرة فإن الله يهذبها بأن يقضب منها الأغصان الجافة الميتة ، كى لا تعوق الأغصان الحية عن الأثمار ويجمع تلك الأغصان الجافة للحريق أيضاً .

❖ وإشعياء النبى فى اصحاحه السابع والعشرون يوضح هذه الحقيقية لشعب الله ... فمعاملة الشجرة المثمرة ليست مثل معاملة الشوك والحسك والأعشاب الضارة ، فالشرور ينبغى أن تستأصل من فردوس الله ، فهناك شرور متجذرة ينبغى أن تقلع من جذورها ، وهناك شرور تعوق الحياة ينبغى أن تهذب ، كى تنطلق الحياة بعد هذا بلا شر وإلى الأبد .

هناك تمايز ، رغم أن المظهر واحد وهو الجمع للحرق ، فالحشائش الضارة تقتلع وهى فى أوج حياتها زاهية ومترعرعة ... أما تهذيب الشجر المثمر فهو لا يأتى إلا على الفروع الجافة اليابسة من الشجرة .

إشعياء النبى يطمئن الشعب ، أن التأديب الذى سيجريه الله عليهم ليس لاستئصالهم ، ولكنه تأديب جزئى كى يتخلصوا من شرور عدم ايمانهم بالله، وبعد ذلك سينطلقون فى نموهم السريع نحو الله بمجئ المسيح وايمانهم به .

أن ضربة اسرائيل سوف لا تكون كالضربات التى سيضرب بها الله الأشرار من الأمم ، فالله مازال يحب شعبه ، وكقول المثل الشائع : « ضرب

الحبيب مثل أكل الزبيب ، . فبالنسبة لكنيسة الله أيضًا هناك الرحمة التى دائمًا يمزجها الله بالعدل (١) ، والصرامة مع اللطف (٢) ، والقسوة مع الاشفاق (٣) ، فيعقوب سيتأصل فى المستقبل ويزهر ويفرع ويملأ وجه المسكونة أثمارًا (٤) (فى المسيح) ولكن البعض الآخر سيضرب ويقتل (٥) .



(١) مز ١٠١ : ١ . (٢) رو ١١ : ٢٢ . (٣) رو ١١ : ٢١ .
(٤) اش ٢٧ : ٦ . (٥) اش ٢٧ : ٧ .

٢٢- هذه حفظتها منذ حداثتى

لمن يُعَلِّمُ معرفة ؟ ولمن يُفَهِّمُ تعليماً ؟
أللمفطومين عن اللبن ؟ للمفطومين
عن الثدى ؟ (اش ٢٨ : ٩)

هناك طغمة من المتدينيين يتحدثون فى غوائص اللاهوت والتفاسير ، ولكنهم لا ينفذون وصية المحبة السهلة ، ولا يدققون فى كلامهم العادى بل يكذبون ! ولا يراعون أبسط الممارسات الدينية كحضور القداس الالهى كل أحد أو كالصلاة صباحاً ومساءً الأمور التى نعلمها لأطفالنا كى يشبوا مسيحيين ... وعدم الشتيمة وعدم الحلفان ودفع العشور ... الخ ... الخ .

ما الفائدة أن كنت أناقش بدقة عن حلول الروح القدس إلى درجة معاداة أخوتى ، فأصبح مرفوضاً من الروح القدس ؟ وما جدوى أن أصنف مؤلفات ضخمة عن الافخارستيا وأنا لا أمارسها لشهور وسنوات ! وما جدوى أن ألقى محاضرات مؤثرة عن التوبة وأنا نفسى عندى خطايا محبوبة ولا أريد أن أتوب عنها .

إن الحديث والمناقشة والجدل والوعظ والتأليف عن الأمور الدينية العالية، دون تنفيذ أساسيات الدين ، وألف باء السلوكيات المسيحية ، يدل على كبرياء شديد وقساوة فى القلب ....وويل لمن يدخل الكبرياء قلبه عن طريق الدين .

❖ هذا بالضبط ما لاقاه اشعياء النبى حين ابتدأ ينادى للناس بالأساسيات الأولى للحياة مع الله ، فاستخفوا قائلين : هل تظن يا اشعياء إننا أطفال صغار حتى تعلمنا وتفهمنا على نفس طريقة تعليم الأطفال وتفهيمهم ؟ واحتار النبى معهم لذلك أوصاه الله : أنهم طالما رفضوا التعاليم

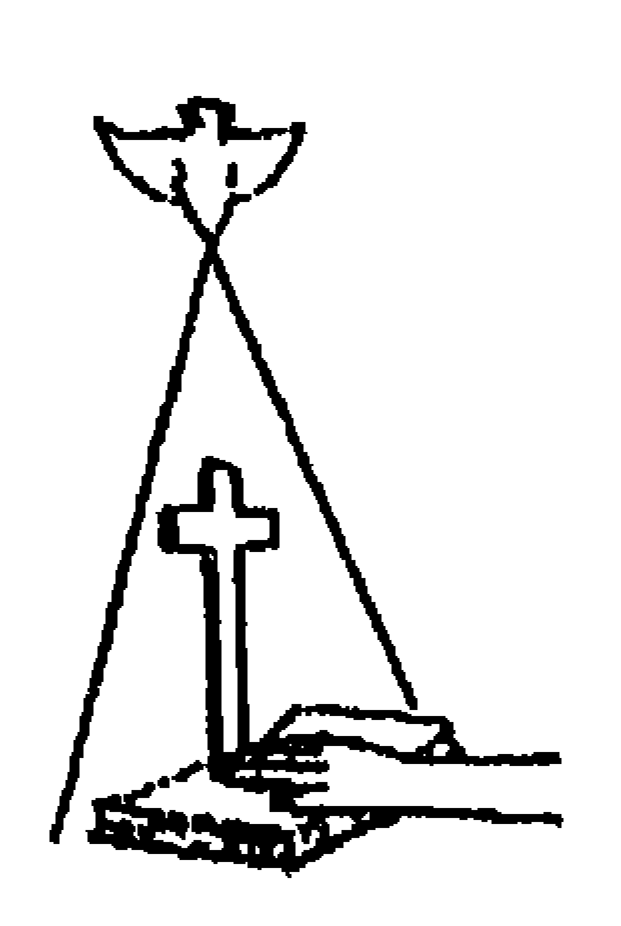
الأساسية « إنه بشفة لكناء وبلسان آخر يكلم هذا الشعب (١) » .

إن الانسان الروحى الذى يبغى الحياة مع الله ، عليه أن يراجع نفسه من آن لآخر على أساسيات الكنيسة والوصايا العشر والانجيل ... طالباً أن يتعلم ويظل طول عمره مشتاقًا إلى التعليم الالهى بكل اتضاع وبذلك لن يزل أبداً .

– لقد أعطانا القديس أنبا أنطونيوس مثالاً حين استمع متعلماً من شماس صغير .

– وهكذا القديس أرسانيوس حين تعلم الألفا فيتا من راهب مصرى أمى .

– وكذلك البطريرك ديمتريوس الكرام الذى تتلمذ وهو بطريرك على يد معلم فى الكنيسة .



(١) ١ ش ٢٨ : ١١.

٢٣- دروس من الكمون وحبة البركة

هل يحرث الحارث كل يوم ليزرع ؟

(اش ٢٨ : ٢٤)

الله الذى وضع تأديبًا على الشعب الخاطئ ، هو هو نفسه الذى يُعزيهم حقاً إنه يجرح ويداه هو نفسه تعصبان الجروح (١) ! فهو يبدأ هذه الفقرة «اصغوا واسمعوا صوتى انصتوا واسمعوا قولى » (٢) فالله يطلب من شعبه وهو تحت التأديب خمس مرات أن يسمعوا ويصغوا إلى أقواله وصوته ... أى أن يقدس الانسان كل حواسه الخمسة استعداداً لاستماع صوت الله ... ثم يورد الرب بهم مثلاً من خبرتهم الحياتية الزراعية تمامًا كعادة المسيح له المجد(٣) فى التعليم : « هل يحرث الحارث كل يوم ليزرع ويشق أرضه ويمهدها . أليس أنه إذا سوى وجهها يبذر الشونيز (حبة البركة) ويذرى الكمون . ويضع الحنطة فى اتلام ، والشعير فى مكان معين والقطانى فى حدودها . فيرشده بالحق يعلمه إلهه . أن الشونيز لا يدرس بالنورج ولا تدار بكرة العجلة على الكمون بلْ بالقضيب يخبط الشونيز والكمون بالعصا . يدق القمح لأنه لا يدرسه إلى الأبد فيسوق بكرة عجلته وخيله . لا يسحقه(٤) » .

ولقد قصد الرب من هذا المثل أن يُفهم شعبه وهو تحت التأديب أمران :

١- أن التأديب محدود ، وليس مستمراً إلى الأبد . وهو لغاية هامه حين تتحقق يتوقف التأديب على الفور كمثل الفلاح الذى يشق الأرض ، فهو لا يحرثها كل يوم ، ولكن بعد شقها وتقليبها ، تكون مجهزة لاستقبال أنواع

---

(١) اى ٥ : ٨.   (٢) اش ٢٨ : ٢٣ .   (٣) مت ٢٣ : ٣ .

(٤) اش ٢٨ : ٢٣ - ٢٨ .

الزروع المختلفة ، وكل نوع من البذار له تمهيد خاص من الأرض .

٢- التجربة التأديبية لا تكون إلا على قدر الاحتمال ، ولغرض نبيل أيضاً ، فكل هذه المزروعات حين تنضج لا يتبع نفس الطريقة مع الكل فى فصل الحبوب المفيدة عن قشرة التبن التى تغلفها ، فبينما يدرس القمح بالنورج ويطحن فى الرحى ، تكفى عصا رهيفة للكمون ، وقضيب لخبط الشونيز . أى أن التأديب على قدر الاحتمال ، فكما أن الفلاح لا يدرس الكمون بالنورج هكذا الله يتعامل مع كل نفس بقدر احتمالها ولغاية فرز الحسيات الرديئة عنها ، ليستخلص الجوهر الثمين لأنه « ما للتبن مع الحنطة يقول الرب (١) » والمسيح يسوع قال عنه يوحنا المعمدان : الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه . وأما التبين فيحرقه بنار لا تطفأ (٢) » .

❖ وعن هذه المعانى يقول معلمنا بولس : « لم تصبكم تجربة إلا بشرية، ولكن الله أمين الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون ، بل سيجعل مع التجربة أيضًا المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا (٣) » وأيضًا « يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ، ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين(٤) » .

❖ نلاحظ أن التبن يصون الحنطة وهما ينميان معًا فى سنابل ... أما بعدما ينضج القمح ويصلب عوده ، فإنه يتخلص من التبن ... هكذا الجسد على الأرض هو تبن الروح ، وقتما تنضج الروح وتؤهل أن تحمل للاهراء الأبدية لابد وأن تتخلص من هذا الجسد ... كذلك الأبرار والأشرار فى هذا

---

(١) أر ٢٣ : ٢٨.   (٢) لو ٣ : ١٧ .   (٣) ١ كو ١٠ : ١٣ .

(٤) ٢ بط ٢ : ٩ .

العالم ، فقد يكون للأشرار دور فى صيانة الأبرار حتى يكملوا حينئذ ينفصل الأبرار كقمح ناضج عن الأشرار كتبن زهيد .

❖ ومن الجميل أن نتأمل فى الأصناف التى ذكرها الرب فى هذا المثل :

١- **الشونيز (حبة البركة)** : وهى دواء ناجح لأداء الجهاز الهضمى للانسان وزيادة كفاءة الكبد ، والقلب ...

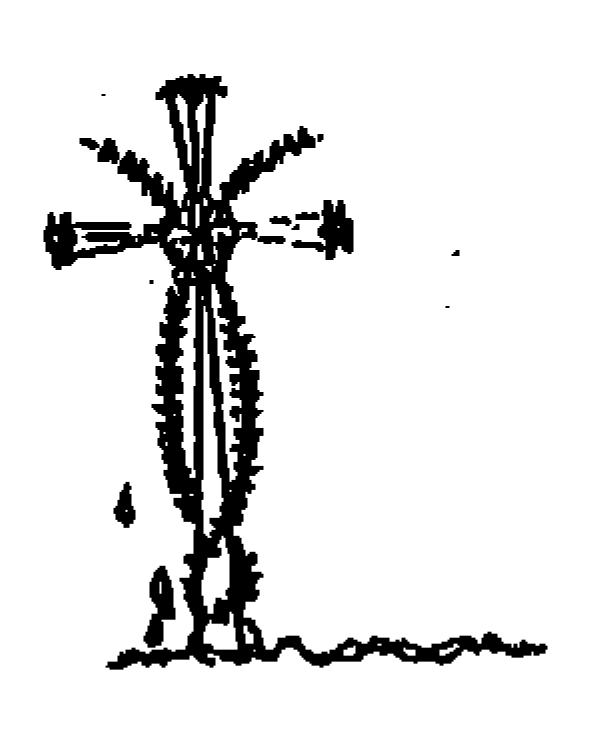
٢- **الكمون** ، وهو يساعد الجسم على التخلص من السموم ويزيد كفاءة الكلى ، لافراز السموم خارج الجسم .

٣- **الحنطة** ... ومنها خبز الحياة الذى لا غنى عنه .

٤- **الشعير** ... ومنه المشروبات التى تساعد على الهضم .

٥- **القطانى** ... أى البقوليات ... وهى التى طلب دانيال والثلاثة فتية القديسين أن يأكلوها عوضاً عن أطاييب الملك نبوخذ نصر . حيث ظهرت مناظرهم أحسن وأسمن لحماً من كل الفتيات الآكلين من أطاييب الملك (١) .

وهكذا تنطبق كل عناصر المثل على المفاعيل الروحية ، فالمسيح هو خبز الحياة وعلينا أن نتخلص من سموم الخطية ولا نتنجس بأطاييب العالم ، ونسعى فى رفع كفاءة هضمنا للروحيات ... إلخ ... إلخ ...



(١) دا ١ : ١٥ .

٢٤- وانا تراب ورماد

أ- مـــن يبصـــرنـا ومـــن يعـــرفـنـا ؟
هل يُحسب الجابل كالطين ، حين يقول
المصنوع عن صانعه لماذا يصنعنى ؟
أو تقول الجبلة عن جابلها لم يفهم ؟
(اش ٢٩ : ١٥ ، ١٦)

يُشّبه الكتاب المقدس علاقة الله بشعبه بعلاقة الآب مع الابن (١) ، وأيضاً بعلاقة الزوج بزوجته (٢) كما فى التساؤل رقم (٣) فى هذا الكتاب ، والراعى بالخراف (٣) والكرمة بالأغصان (٤) ....

هنا فى آيات التساؤل عاليه ، يضيف الكتاب المقدس تشبيهاً جديداً لهذه العلاقة فيجعلها كمثل علاقة الخزّاف بالطين الذى يشكله . فالله هو الذى يشكل الانسان بحسب ما يترآى له ...

❖ للتساؤل عاليه أهمية قصوى حينما يكون الانسان فى تجارب التأديب ، لأن الانسان آنذاك يميل أن ينسب إلى الله جهالة (٥) ، وكأن تصرفات الله معه هى تصرفات عشوائية ، بل أنه كان يفضل أن الله لم يخلقه من الأصل (٦) ... ولكن حينما يعرف الانسان أنه تراب ورماد وطين فى يد خزّاف حاذق ... وكل ما يمر عليه من تجارب هو لتخليقه على ابدع ما يكون ، حينئذ يفهم ويحيا حياة التسليم ...

لذلك يؤكد إشعياء النبى أيضاً هذا المعنى قائلاً : « ويل لمن يخاصم

---

(١) ١يو ٣ : ١ ، مز ١٠٣ : ١٣ . (٢) أف ٥ : ٣٠ . (٣) يو ١٠ : ١٠ .
(٤) يو ١٥ : ٥ . (٥) أى ١ : ٢٢ . (٦) أى ٣ : ١١ .

جابله خزف بين أخزاف الأرض . هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع ، أو يقول عملك ليس له يدان » (١) .

وما أروع أن يبدأ الانسان صلاته لله بهذه المشاعر كمثل ابراهيم أب الآباء الذى قال : « أنى شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد » (٢) ويختمها كمثل إشعياء النبى القائل : « والآن يارب أنت أبونا . نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك » (٣) فأيوب لم يسترح فى تجربته إلى بعد أن عاد بأفكاره إلى الطين والتراب والرماد الذى أُخذ منه (٤) .

❖ ولأرميا النبى وحى بنفس هذا المعنى ، إذ يشرح الله أن سبب التجارب التأديبية هى انتزاع الفساد الذى كان فى إناء الفخار ... قال « ... فنزلت إلى بيت الفخارى وإذا هو يصنع عملاً على الدولاب ... ففسد الوعاء الذى كان يصنعه من الطين بيد الفخارى . فعاد وعمله وعاءً آخر كما حسن فى عينى الفخارى أن يصنعه . فصار إلىّ كلام الرب قائلاً ، أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخارى ... هوذا كالطين بيد الفخارى أنتم هكذا بيدى » (٥) .

❖ وهذه الصورة قد ترسبت فى ذهن بولس الرسول ، إذ قال فى رسالته لأهل رومية : « بل من أنت أيها الانسان الذى تجاوب الله ، ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا ؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناءً للكرامة وآخر للهوان ؟ » (٦) .

وعندما نعود إلى خلق الانسان نجد نفس هذه الصورة : « وجبل الرب

---

(١) اش ٤٥ : ٩ . (٢) تك ١٨ : ٢٧ . (٣) اش ٦٤ : ٨ .
(٤) أى ٤٢ : ٦. (٥) أر ١٨ : ١ – ٦ . (٦) رو ٩ : ٢٠ ، ٢١ .

الاله آدم تراباً من الأرض . ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية » (١) .

وبعد المعصية قال الرب لآدم : « لأنك تراب وإلى تراب تعود » (٢) .

❖ تواضع الانسان منحصر فى هذا ، كما يقول الآباء الروحانيون ، فى أن يحتضن الانسان طينه ، وفى أن يعلم البشر « أن الرب هو صنعنا وليس نحن ، ونحن شعبه وغنم رعيته » (٣) .

❖ يستهل إشعياء النبى هذا الاصحاح (٢٩) باعطاء الويل لأورشليم ولكنه لا يذكرها بالاسم من شدة حنانه ، بل ذكرها بالكناية ، إذ قال « ويل لاريئيل لاريئيل قرية نزل عليها داود » (٤) وكلمة أريئيل معناها = شعلة الله ... لأنه يتنبأ عليها بضجيج أعداء كالزوبعة وزلازل ونيران ضخمة ! « لأن الرب ... أغمض عيون الأنبياء ، وعيون رؤساؤكم الناظر ، غطاهم . وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم » (٥) .

ليتنا نستفيق لنرى كم يحنو علينا الاله الذى يؤدبنا بالتجارب بدلاً من أن يتسرب إلينا روح التذمر واليأس والتجديف .



(١) تك ٢ : ٧ .	(٢) تك ٣ : ١٩ .	(٣) مز ١٠٠ : ٣ .
(٤) اش ٢٩ : ١ .	(٥) اش ٢٩ : ١١ .

ب- هـل يقـول الطـين لجابله ماذا تصنع ،
او يقول عملك ليس له يدان ؟ (اش ٤٥ : ٩)

ويتميز هذا التساؤل عن سابقه (أ) بأن المخلوق غير راضى عن خلقته وينتقد الخالق الذى خلقه على ذلك النحو ... فهو يشعر بأنه ليس له يدان ، وهذا عيب وقصور من الخالق فيه ...

وقد يكون هذا الشعور هو نفس الاحساس الذى يحس به الخاطئ الأثيم :
- فهو لا يقاوم الخطيئة لأن الخالق جعله هكذا بلا يدان للمقاومة .
- وكان بوده أن يعمل كل شئ لنفسه ولكن ليس له يدان .
- وكان يريد أن يخلص نفسه من الشر ولكن ليس له يدان .
- ويريد أن يعمل بالوصايا والفرائض والفضائل والأوامر الالهية ولكنه عاجز بلا يدان .
- أنه يريد أن يكون سيد قراره ، والمتحكم فى كل ظروف حياته ولكنه أيضاً بلا يدان ...

ولابد أن هذه المشاعر كانت لبنى اسرائيل حين كان أنبياء الله يبكتونهم على خطاياهم ، وكأنهم يبررون سقطاتهم الفظيعة بأن يقولوا : لا حيلة لنا ، فنحن نخطئ ونحن مسلوبى الارادة بلا يدان ، والذنب لا يقع علينا بل على الله الذى خلقنا هكذا : عندنا ميول طبيعية لارتكاب الشر .

ولكن الله أحكم من الانسان ، كما أن الخزاف أحكم من الطين ... فكل ما فى الأمر أن الله حينما خلق آدم الأول من تراب الأرض كانت له ارادة ليفعل الوصية الالهية أو لا يفعلها ، وكان هو وحواء لهما يدان (أى ارادة حرة) ولكنهما مدا هاتين اليدين نحو شجرة المعصية ، وهكذا تغلغل الموت حتى فى ارادتهما الحرة وفقداها وصارا بلا يدين أمام جبروت الشر والخطيئة ، الكاسح .

الله فى حنانه لم يتركهما عنه إلى الانقضاء ، كما يصور أرميا النبى بل أخذ الوعاء الفخارى الذى فسد من جديد (١) ، وأعاد تشكيله على الدولاب ليخرج إناءً جديداً رائعاً صالحاً بأن يحمل كنوزاً ثمينة فى داخله : « ولكن لنا هذا الكنز فى أوان خزفية . ليكن فضل القوة لله لا منا » (٢) .

أن جوهر الدين المسيحى كله كائن فى هذا : **أن الله يخلقنا خليقة جديدة فى المسيح** ... « الأشياء العتيقة مضت ، هوذا الكل قد صار جديداً » (٣) . « إذا أن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة » (٣) .

« ثم رأيت سماء جديدة وأرضًا جديدة ، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا » (٤) .

« لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها » (٥) .

« لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (٦) .

وهذا ما يشرحه الرسول يوحنا العميق فى علاقته مع المسيح ، وتردده الكنيسة كل يوم فى انجيل باكر ، يقول : « وأما كل الذين قبلوه (المسيح) فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنين باسمه . الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » (٧) .

فهل تشعر بهذا الامتياز أيها المسيحى ، امتياز الخليقة الجديدة ... ؟

أم أنك مجرد شقفة فى التراب من الخليقة العتيقة ...

---

(١) أر ١٨ : ٤ . (٢) ٢كو ٤ : ٧ . (٣) ٢كو ٥ : ١٧ .

(٤) رؤ ٢١ : ١ . (٥) اف ٢١ : ١٠ . (٦) فى٢ : ١٣ .

(٧) يو ١ : ١٢ ، ١٣ .

٢٥- فى كور التنقية

من منا يسكن فى نار آكلة ؟

من منا يسكن فى وقائد ابدية ؟

(اش ٣٣ : ١٤)

مازلنا فى مثل الطين الذى يتحول إلى خزف جميل (أى الانسان) بيدى خزاف ماهر (أى الله) ، فالطين يشكَلْ ، وإن فسد يعاد تشكيله ، كما رأى أرميا النبى (١) ، حتى يستقر على الشكل الذى فى ذهن الله ، ثم يدخل إلى كور أتون النار ذى الحرارة العالية جداً .

والنار ترمز إلى القداسة الالهية ، حيث هى ذروة التنقية ، وأكثر المطهرات فاعلية . النار تزيل كل الملوثات ، ولا تستطيع أى نجاسة أن تلبث أمام النار ، وفى نفس الوقت هى تجعل العناصر الأصلية (الجليز - فى حالة وعاء الخزف) تتلألأ وتزداد صلابة وتماسكاً ، فيتحول الاناء من حالة الليونة وسهولة الانحلال إلى حالة دائمة من الصلابة والبهاء ...

الأشرار لا يحتملون الصمود أمام قداسة النار الالهية أما الأتقياء الأبرار ، فإنهم يسعدون بتواجدهم وسط هذه النيران لأنها تزيدهم تألقاً ...

قال أحد الروحانيين فى شعر منثور عن هذا :

❖ يا للهيب الحب الالهى الحى .

يا من تجرح نفسى بغاية الرقة فى أعماقها .

طالما أنت لا تعمل بطريقة قصرية ، بل بقدر ما نطلب .

أسألك أن تضرمنى الآن ، وتتأجج لكمالى .

---

(١) أر ١٨ : ١ - ٦ .

أن كان فى هذا ارادتك ...

وأحرق كل هذه الأشواك ، فى تلك المواجهة العذبة .

❖ يا لذلك الحريق الرائع !

يا للجروح المملوءة رقة !

يا لتلك الأيدى الالهية الحنونة !

ويا لتلك اللمسة الحلوة !

أنها تخلص إلى حياة أبدية ، وتسدد كل دين .

ففى ذبيحة الصليب ، حولت الموت إلى حياة .

❖ يا لمشاعل النيران المتأججة !

التى مست أعمق تحركات الحواس .

فبعد أن كانت عمياء مظلمة ،

أنبعث منهما ضياء وبريق وحرارة .

نحو المسيح المحبوب .

❖ برقة ولطف ، قد أيقظت فى قلبى ،

حيث تسكن سرياً فيه أنت وحدك

كل مشاعر الأحاسيس المقدسة

ومع نسمات أنفاسك العذبة

الممتلئة من كل مجد وبركة

جعلتنى أبادلك حباً بحب .

❖ لا عجب أن الاله القدوس يعلن عن ذاته فى الكتاب المقدس

متسربلاً بالنار وحوله لهب النيران ، لأن الهنا نار آكلة ، (١) فكان آخر منظر رآه آدم وحواء بعدما طردا من جنة الله هو الكاروب الملتهب وبيده سيف نار متقلب (٢) وكل افتقاد الهى بعد ذلك لم يكن يستعلن إلا بنار .

- فقد دشن العهد بين الله وابراهيم هكذا ، وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع (ذبائح ابراهيم) فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً ، (٣) .

- ثم عليقة موسى التى كانت تزيدها النار اخضراراً ، (٤) .

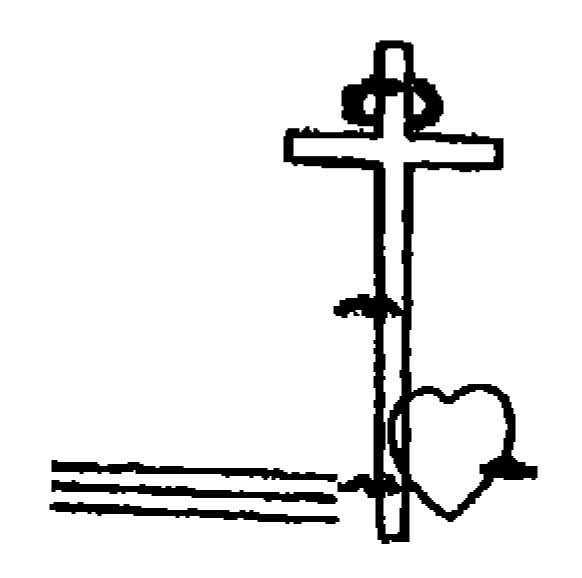
- ثم جبل النار الذى منه أعطى الرب الشريعة على لوحى حجر (٥) .

- وكان عمود لهيب النار (الشاكيناه) هو الدال على الحضرة الالهية فى خيمة الاجتماع (٦) .

- ولقد تطهر إشعياء نفسه بواسطة جمرات نار المذبح (٧) .

- أما كنيسة العهد الجديد فقد خُلقت خليقة جديدة من ألسنة نار الروح القدس (٨) .

- ويقول الرسول بولس عن نهاية الأزمنة : ، لأنه بنار يُستعلن ، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو . أن بقى عمل أحد . فسيأخذ أجره . أن أحترق عمل أحد فسيخسر ، (٩) .



(١) عب ١٣ : ٢٩ . (٢) تك ٣ : ٢٤ . (٣) تك ١٥ : ١٧ .
(٤) خر ٣ : ٤ . (٥) خر ١٩ : ١٨ . (٦) لا ٩ : ٢٤ .
(٧) اش ٦ : ٦ ، ٧ . (٨) أع ٢ : ٣ . (٩) ١كو ٣ : ١٣ - ١٥ .

٢٦- يمسح الله كل دمعة من عيونهم

أين الكاتب ؟ أين الجابى ؟
أين الذى عد الأبراج ؟
(اش ٣٣ ، ١٨)

❖ أعرف شخصاً تجاوز الستين من عمره ، كان يقود سيارته فى طريق سريعٍ وفجأة تصادمت عربتان أمامه مباشرة واشتعلت فيهما النيران وكاد أن يصدم بهما هو الآخر ، ولكنه استطاع أن يتفادى موت محقق وتماسك وظل يقود سيارته حتى وصل إلى بيته ، ولما تقابل مع أفراد أسرته أنفجر فى البكاء قائلاً لهم أنه رأى الموت بعينيه ولكنه نجى ... وشكر الجميع الرب .

❖ يقول الأطباء أن الانسان وهو يواجه أى خطر ، تفرز غدة الكلى عنده هرمون الادرينالين الذى يجعل القلب يضخ كميات ضخمة من الدم إلى جميع الأعضاء فيكون فى حالة استعداد لمواجهة أى احتمال ... وهكذا حتى يزول الخطر ... وعندما تهبط حالة الاستعداد الذاتية هذه من الذروة إلى الصفر ... يميل الانسان إلى التفكر ورثاء الذات ، لأنه تعرض لمداهمة المخاطر .

هذا بالضبط ما يتنبأ به إشعياء النبى ، فالله هنا لا يعزيهم فقط فى الضيقة العظيمة (١) التى سيمرون بها ، بل يشجعهم أن يخوضوها بفرح لأنها الطريق الذى سيؤدى بهم إلى رؤية الله ! حيث يمسح الله كل دمعة من عيونهم وهو يقتادهم إلى ينابيع الماء الحى (٢) . فإشعياء النبى يقول

---

(١) رؤ ٧ : ١٤ .   (٢) رؤ ٧ : ١٧ .

مشجعاً : « الملك ببهائه تنظر عيناك ... » (١) فالسبى سيكون كنفق مظلم ، ولكن فى نهايته نور الله البهى « عيناك تريان أورشليم مسكناً مطمئناً ... هناك الرب العزيز لنا ... ولا يقول ساكن أنا مرضت . الشعب الساكن فيها مغفور الآثم » (٢) . حتى أنهم حينما يتذكرون أيام الرعب يبكون فيمسح الله بنفسه كل دمعة من عيونهم مطمئناً اياهم أيضاً : « الشعب الشرس لا ترى » (٣) ... أين الكاتب أين الجابى ، أين الذى عد الأبراج ... اشارة إلى قوات المستعمر حين عينوا كاتباً حاكماً غريباً عليهم ، وعينوا جباة ضرائب فرضوا عليهم ضرائب باهظة وعدوا أبراج المدينة مستولين عليها وبدلاً من كونها قلاع حماية صارت ثكنات للمستعمر ... وكأن الله يقول للنفس المفزوعة من ذكرياتها المرهبة : أنظرى لم يعد حولك من يقهرك ، بل « أنا أنا هو معزيكم يقول الرب ... » (٤) .

أن مجرد رؤية الملك المسيح ، تحرر النفس من الشيطان الغاصب وتنهى استعباده وهوانه وذله ، فهو الكاتب الذى يحصى علينا خطايانا ليشكونا بها أمام الله ، وهو الجابى الذى يضع علينا ضرائب باهظة تخدم أغراضه الشريرة فى تدميرنا ، وهو الذى يعد كل قوانا الروحية التى ندافع بها عن نفسنا ونتحصن فيها من هجماته الشرسة ، محاولاً هد هذه الأبراج (أى كل مصادر القوة الروحية من حياتنا وبالأخص المناداة باسم الرب ، لأن « اسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع » (٥) . يحاول أن يجعلنا نبطل الصلاة والعبادة والتسبيح والصوم ، وقراءة الانجيل ، والتمتع بالكنيسة ، وأعمال الرحمة ... الخ وأن لم يستطع أن يجعلنا نبطلها تماماً ، فهو يحاول أن يفسد أداءنا لها ، ويفرغ هذه الممارسات من جوهرها الالهى

(١) اش ٣٣ : ١٧ . (٢) اش ٣٣ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ . (٣) اش ٣٣ : ١٩ .
(٤) اش ٥١ : ١٢ . (٥) أم ١٨ : ١٠ .

كى نؤديها آلياً ومظهرياً بلا روح ... يا للشقاء .

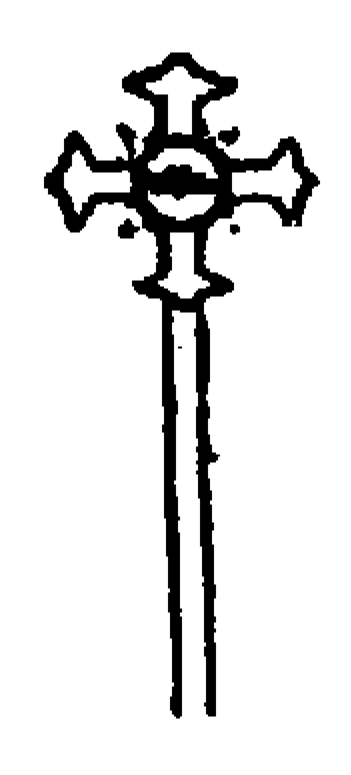
❖ أما عند رؤية النفس للمسيح فعلى الفور تحس بالحرية كما أختبر معلمنا بولس قائلاً : « ألست أنا رسولاً ، ألست أنا حراً ، أما رأيت يسوع المسيح ربنا ؟ » (١) . « فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (٢) .

« لأن بولس الرسول انعتق أولاً من الشر ، وثانيًا لم يتعبد لشئ من الشهوات لكونه صار ناسكاً . وفى الآخر تحرر برؤية السيد المسيح . فعندما نظره للوقت تبع أقواله بلا تأخير وصار فى غاية الكمال والاتضاع ... » .

أنبا أنطونيوس الكبير

وللقديس أنطونيوس قول آخر عن تأثير رؤية السيد الرب على إشعياء النبى نفسه « ومكتوب عن إشعياء النبى أن الرب ما عاد يظهر له لكونه لم يبكت الملك عزيا ، ومنع من النبوة ، وبعد وفاة عزيا ، ظهر له السيد الرب فى الهيكل ، وملاك الرب طهره بجمرة النار التى من على المذبح ... فأعلموا اذن يا أحبائى أن الانسان إذا ماتت منه الخطية فإن الله يظهر للنفس ويطهرها مع الجسد أيضاً » .

أنبا أنطونيوس الكبير



(١) ١كو ٩ : ١ .   (٢) يو ٨ : ٣٦ .

٢٧- اخرج من ذاتك

من كال بكفه المياه وقاس السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان ؟

(اش ٤٠ : ١٢)

أرفعوا إلى العلأ عيونكم وانظروا من خلق هذه ؟ من الذى تخرج بعدد جندها ؟ يدعو كلها بأسماء .

(اش ٤٠ : ٢٦)

من يقرأ اصحاحات ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ من سفر إشعياء يجد أنها تكرار حرفى لما جاء فى سفر ملوك الأول اصحاحات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ وهذه الاصحاحات تحكى محاولة ملك آشور ثلاث مرات أن يهاجم حزقيا ملك أورشليم ، ويتدخل الهى لا يستطيع ولا يقوى ... وهذا قد تم التعليق عليه فى الجزء الثانى من هذه السلسلة « تساؤلات الله فى الأسفار التاريخية ... » .

ولكن لماذا قصد الروح القدس أن يكررهم بحذافيرهم هنا فى سفر إشعياء ؟

❖ لقد جعل الرب إشعياء النبى يتنبأ عن أمور ستحدث فى اسرائيل :

أولاً : فى المستقبل المنظور ، كما هو واضح من الاصحاحات الأربعة .

ثانيًا : فى المستقبل القريب وهذا تم بالسبى الفعلى لأورشليم بعد ١٣٠ سنة .

ثالثًا : فى المستقبل البعيد عن مجئ المسيا الذى سيفدى ويخلص

خلاصاً أبدياً ، ليس بنى اسرائيل فقط بل كل البشرية .

وتعتبر الاصحاحات من ١ إلى ٣٩ من سفر إشعياء خاصة نبوءات المستقبل المنظور والمستقبل القريب ، أما الاصحاحات من ٤٠ إلى ٦٦ فإنهم يتحدثون عن المستقبل البعيد حيث سر المسيح والملكوت الآتى ...

❖ فسفر إشعياء على هذا ينقسم قسمان :

القسم الأول : ويتحدث عن خلاص شعب اسرائيل فى المستقبل المنظور ، والمستقبل القريب ، كمثال ونموذج لخلاص البشرية كلها ... فحينما جاءت جيوش ملك آشور لمحاصرة أورشليم أيام حزقيا الملك ، التجأ إلى الله فخلص آنذاك ثم بعد مئة وثلاثون سنة أتى ملك آشور مرة أخرى وهزم أورشليم وافتتحها وقتل من قتل وسبى من سبى ، ولكن بعد سبعين سنة خلص الله اسرائيل من نير السبى مرة أخرى ، وهكذا نالت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها (١) .

والقسم الثانى : يبدأ بأمر الرب مرتين أن يعزوا شعبه (٢) ...

ولذلك كان من المناسب أن يضع الأحداث التاريخية التى عاصرها (إشعياء النبى) كفاصل بين القسمين ... فطالما تحققت كلمة الله فى المستقبل المنظور فلابد لها وأن تتحقق فى المستقبل البعيد إلى منتهى الأجيال وإلى أبد الدهور .

ينتهى القسم الأول بالآية الرائعة : « وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة ... يسلك المفديون فيها . ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم . ابتهاج وفرح يدركانهم

---

(١) اش ٤٠ : ٢ .   (٢) اش ٤٠ : ١ .

ويهرب الحزن والتنهيد ، (١) . فمن هؤلاء المفديون سوى الذين سيؤمنون بالمسيح الرب ؟

ثم يبدأ القسم الثانى هكذا ، عزوا عزوا شعبى يقول الهكم ، (٢) وهل تتعزى النفس إلا بمجئ المسيح الرب إلى الحياة ...

❖ فى التساؤلين عاليه يدعو الله كل انسان بصفة عامة وبنى اسرائيل بصفة خاصة أن يخرجوا عن الشخوص فى ذواتهم والتأمل فى كون الله وخطة الله ككل ، فإنه كلما حصر الانسان نظره ذاته فى ذاته فإنه سيتعطن داخلياً ، أما إذا تطلع إلى كون الله من سماء وأرض ونجوم وأفلاك سيدرك عظمة الخالق واتقانه لخلقه ، وسيبتهج ويفرح حتى بذاته لأنها خليقة الله أيضاً ... لا ترى ذاتك إلا على ضوء أنها خليقة الله ، وأن الله مازال يعمل فيها لكمالها ، واستكمالاً لكون الله الجميل الرائع .

❖ إن الله هو وحده العارف بالضبط وزن اليابسة من الكرة الأرضية ، ومقدار المياه عليها ، وأبعاد السماء ومساحتها ، وحتى أجناد السماء غير المنظورة لنا ... فليخرج الانسان اذن من أفقه وعالمه الضيق إلى رحابه عالم الله الفسيح الواسع ، وليعلم أنه جزء من كون الله ، وليس هو كوناً قائماً بذاته ، وبذلك يدرك المقاصد الالهية البعيدة المدى ، ولا ينحصر فى محدودية أيامه التى له على الأرض .

❋ ❋ ❋

---

(١) اش ٣٥ : ١٠ . (٢) اش ٤٠ : ١ .

٢٨- أترك الله يعمل فى حياتك

من قاس روح الرب ؟ ومن مشيره يعلمه ؟ من استشاره فأفهمه وعلمه فى طريق الحق ؟ وعلمه معرفة وعرفه سبيل الفهم ؟ (اش ٤٠ : ١٣)

الانسان هو الذى يوقع نفسه فى ضيقة حينما يضيق قلبه وأفكاره على ذاته بمعزل عن خطة الله الشاملة فى الكون كله . وهذا ما قاله الرسول بولس لأهل كورنثوس « لستم متضيقين فينا ، بل متضيقين فى أحشائكم » (١) وأفضل علاج للضيقات والمحن هو حياة التسليم الكامل للمشيئة الالهية ...

فنحن البشر لا نستطيع أن نشير على الله ماذا يفعل .

ونحن البشر لا نستطيع أن نُفهم الله ، لأنه كلى المعرفة .

ونحن البشر لا نستطيع أن نُعلم الله طرق الحق ، لأنه هو الحق .

كذلك لا نستطيع أن نريه سبل الفهم ! ... لأنه كيف ؟!

وطالما أن الله لا يعلوه أحد فى المعرفة والفهم ، فعلى كل واحد أن يتقبل طريقه من يدى الله الطوباوية .

❖ المؤمنون الحقيقيون بالله يعرفون « أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله ، الذين هم مدعون حسب قصده » (٢) يؤمنون بأن « كل الاشياء » كنص الآية ، حتى لو بدت بعضها فى غير صالحهم ، هى أيضاً للخير ... وما عليهم إلا أن يملأوا قلبهم حباً لذلك الخالق متبهرين من

---

(١) ٢كو ٦ : ١٢ . (٢) رو ٨ : ٢٨ .

عمق غلى حكمة الله وعلمه ...

❖ ولقد وقف الرسول بولس وهو فى حالة دهشة من حكمة الله الأزلية وعلمه الأبدى وهو يكتب رسالته إلى أهل رومية ، فهو آنذاك كان يتأمل كيف أغلق الله على الجميع سواء يهوداً أم الأمم فى العصيان ، كى يخلص الجميع بالمسيح مخلص العالم واقتبس هذا التساؤل ليلخص كل الفكرة إذ قال : « يا لعمق غلى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء . لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً . أو من سبق فأعطاه فيكافأ . لأنه منه وبه وله كل الأشياء . له المجد إلى الأبد آمين » (١) .

فكمن يهدم بيتًا متداعى آيلاً إلى السقوط وينتزعه من أساسه كى يبنى مكانه قصراً فخماً متين البناء ... هكذا عمل الله معنا فى المسيح ، حسب نعمة الله المعطاة لى كبناء حكيم » (٢) . « وأنتم ... بناء الله » (٣) .

❖ أثناء الهدم للقديم قد يبدو الأمر قاسياً وتخريبياً ... ولكن بالنظر إلى الخطة المستقبلية ، ومنظر القصر الجديد الذى سيحل محل البيت المتهالك الشديد الخطورة ، نعرف أن الأمور ينبغى أن تكون هكذا ... فنمجد الله .

❖ بطرس الرسول أيضًا لم يكن يفهم مغزى غسل المسيح له المجد لقدميه فتمنع قائلاً : « لن تغسل رجلىّ أبداً (٤) ، غير عالم أنه باتضاعه هذا المحدود ، قد يضيع على الكنيسة غرس الاتضاع الحقيقى الذى ينبغى أن يكون فى قلب العاملين فيها نحو بعضهم بعض ، وأيضًا سر التطهير بالسعى فى الخدمة عند غسل القدمين . فالخدمة الطاهرة، تحتاج باستمرار

---

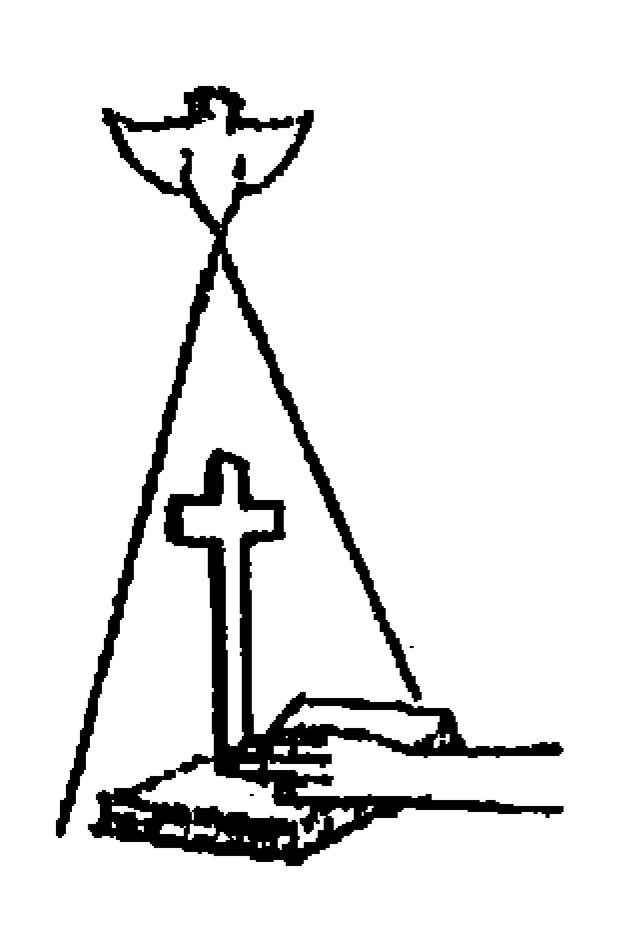
(١) رو ١ : ٣٣ - ٣٦ . (٢) ١كو ٣ : ١٠ . (٣) ١كو ٣ : ٩ .

(٤) يو ١٣ : ٨ .

أن يراجع الخادم نفسه ويغسل ما علق بقدميه وهو يسعى فى درب الخدمة، لأن أتربة الدنيا الفانية قد تعلق بالخادم وعليه أن يتطهر منها متواتراً فى حضرة المسيح له المجد فى الصلاة ... ، أجاب يسوع وقال له لست تعلم الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد ، (١) .

❖ ملحوظة أخيرة – أن الانسان مهما كان ، يحتاج إلى مشيرين كى يبلوروا معه القرار السديد ، لأنه لا يستطيع النظر من كل الزويا إلى الموضوع المطلوب اتخاذ القرار فيه ، أما الخلاص فبكثرة المشيرين ، (٢) لأن المشيرين الحكماء ينظرون مع صانع القرار من كافة الزوايا .

الله وحده هو الذى لا يحتاج إلى مشيرين لأنه مطلق المعرفة بكل شئ فلذلك : ، ليس حكمة ولا فطنة ولا مشورة تجاه الرب ، (٣) .



(١) يو ١٣ : ٧ . (٢) أم ١١ : ١٤ . (٣) أم ٢١ : ٣٠ .

٢٩- ليس مثل الله

فبمن تشبهون الله ، وأى شبه تعادلون به ؟
(اش ٤٠ : ١٨)
فبمن تشبهوننى فأساويه يقول القدوس ؟
(اش ٤٠ : ٢٥)
من مثلى ؟ فليُخبر بذلك ؟ (اش ٤٤ : ٧)
بمن تشبهوننى وتسوؤننى وتمثلوننى لنتشابه ؟ (اش ٤٦ : ٥)

سمعت فى أحد اجتماعات الشباب (قبل رهبنتى طبعًا) محاضرة عن التثليث والتوحيد ، وشبه المحاضر الله بقرص الشمس الذى له حرارة وضوء واستنتج أنهم ثلاثة فى شمس واحدة ، ثم تشبيه آخر بثلاثة عقل فى أصبع واحد كناية أنهم ثلاثة فى واحد ، وأيضًا التفاحة التى تعرفها من مذاقها ورائحتها وملمسها رغم كونها تفاحة واحدة ... وبينما أنا أجادل أحد الزملاء غير المسيحيين فى هذا الموضوع معجبًا جدًا بالتشبيهات التى قالها المحاضر ، انفعل الأخ الذى كنت أتجادل معه قائلاً : أتشبهون الله بعقلة الأصبع ، أو تفاحة أو حتى الشمس ؟ أن هذا كفر !!!

ويبدو أن زميلى على حق ، ليس لأن عقيدة التثليث خاطئة ، ولكن لأنه لا يصح أن « نشبه اللاهوت بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع انسان » (١) .

ويخطئ من يظن أنه يمكنه أن يتعرف على الله من خلال مصنوعاته وخلائقه ، لأنه يكون كمن يحاول أن يتصور هيئة النجار من شكل الكرسى

(١) أع ١٧ : ٢٩ .

أو المنضدة الخشبية التى صنعها ، فالجوهر مختلف تماماً وحتى المظهر أيضاً .

❖ نحن نؤمن بكل عقائدنا المسيحية من تجسد وتثليث ، وكفارة ، وأسرار وملكوت أبدى ... الخ لأن الكتاب المقدس هو الذى أعلنها لنا هكذا ، وليس على الاطلاق من أى منطق بشرى مشوش قائم على مشابهة الله لأى شئ حولنا ، لأن النظريات البشرية دائماً تمر عبر منظور الخطية ، وأفكارنا نحن البشر بعيداً عن الاستعلان الالهى ، هى أفكار خطيرة وآروَنا فظيعة لأن الجسد الترابى يثقل الروح الخالدة . فالانسان الذى يتجاهل من جبله ، قلبه رماد ورجاءه أخس من التراب وحياته أحقر من الطين ، (١) .

❖ لقد استغل الشيطان حماقة الانسان أسوء استغلال فصور له الاله ، آلهة عديدة ، أصناماً يمكنه أن يصنعها بيديه من ذهب وفضة وحجارة وطين ، على أشكال مختلفة ، كمثل صقر أو ثعبان أو سمكة (٢) أو عجل أبيس ! ، ولقد كان شعب آشور يعبدون أصناماً تسمى ، بيل ، ونبو ، (٣) .

وقد يتسرب فى أفكار بسطاء الشعب أن أصنام الآشوريين قد تغلبوا فى صراع الألهة على يهوة اله اسرائيل ، ولذلك ساق الآشوريين بنى اسرائيل إلى القتل والسبى .

هنا فى هذه التساؤلات يُصلح الله من أفكار الشعب ، أننى أنا الاله الأوحد ، وليس غيرى ، بل وليس من يماثلنى أو يشبهنى ...

قداسة الله تعنى أنه متفرد بالمجد والبهاء والقوة والسلطان وكل شئ عن

---

(١) حكمة ١٥ : ١٠ . (٢) اصم ٥ : ٤ . (٣) اش ٤٦ : ١ .

باقى الخليقة مهما عظمت ... لذلك تدوى تسابيح السماء والأرض بالثلاث التقديسات :

قـدوس قـدوس قـدوس

❖ رئيس الطغمات الملائكية ميخائيل (١) ، اسمه يعنى « من مثل الله » استطاع أن ينتهر رئيس الشياطين ابليس حينما أراد هذا الأخير أن يظهر جسد موسى كى يعبد بنى اسرائيل جسد موسى تاركين عبادة الله (٢) .

❖ كذلك الملك حزقيا ملك يهوذا البار الذى شهد له الله بالتقوى ، سحق حية النحاس التى عملها موسى لأن اسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها (الاله) نحشان ، (٣) . فرغم أن الحية النحاسية كان لها مفعولاً فى ابطال لسعات الحيات المحرقة فى البرية ... إلا أنها ليست هى الاله الذى أمر موسى بصنعها .

❋ ❋ ❋

(١) دا ١٠ : ١٣ ، ٢١ ، ١٢ : ١ . (٢) يه ٩ ، رؤ ١٢ : ٧ .

(٣) ٢مل ١٨ : ٤ .

٣٠- قانون الزرع والحصاد

❖ ألا تعلمون ؟ ألا تسمعون ؟ ألم تخبروا من البداءة ؟ ألم تفهموا من أساسات الأرض ؟ (اش ٤٠ : ٢١)

❖ أما أعلمتك منذ القديم وأخبرتك ؟ هل يوجد إله غيرى ولا صخرة لا أعلم بها ؟ (اش ٤٤ : ٨)

❖ من أعلم بهذه منذ القديم ؟ أخبر بها منذ زمان . أليس أنا الرب ولا إله غيرى ؟ (اش ٤٥ : ٢١)

من المهن التى مارسها الانسان منذ أيام قايين وهابيل (١) ، بل منذ كان آدم فى الجنة (٢) ، هى مهنة الزراعة ... حيث يتعلم الانسان منها ذلك القانون الالهى :« الذى يزرعه الانسان اياه يحصد أيضاً » (٣) . فحصاد الحاضر هو زرع الماضى ، وجذور الحاضر تحمل ملامح المستقبل . أيضاً البذار المزروعة فى هذا الموسم هى نتاج بذار زرعت وحصدت فى الماضى « دور يمضى ودور يجئ والأرض قائمة إلى الأبد ... ولا جديد تحت الشمس » (٤) .

ولننتقل فوراً إلى المعنى الروحى الذى وراء هذه الحقيقة ، ثم علاقتها بنبوة إشعياء . فعلى المستوى الفردى يكمل الرسول بولس القاعدة على هذا النحو : « لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً . ومن يزرع

---

(١) تك ٤ : ٢ . (٢) تك ٢ : ١٥ . (٣) غل ٦ : ٧ . (٤) جا ١ : ٤ .

للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية ، (١) . وعلى مستوى الأمم ، الأمة التى تصنع الخير وتعمل على الازدهار والرقى لشعبها ولشعوب أخرى ، فإنها تكون مقبولة عند الله (٢) ، أما أن تفشت فيها الخطايا الاجتماعية كالظلم والزنى والخطف والقتل ، فهذا يجلب العار والشنار لهذه الأمة لأن ، البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية ، (٣) .

أما على مستوى الكنيسة (المؤسسة الالهية على الأرض) فإن هى أحبت المسيح بصدق ، وشهدت له بأمانة فإنها تجد نعمة وسلاماً وبنياناً وانتشاراً ، أما إن هى عبدت المال ، وتراخت باذاء الشهوات الدنيوية وسط الاكليروس والشعب ، يفتر عمل الروح القدس فيها وينطفئ ، ويزحزح الرب منارتها فتنهار (٤) ، ويسلمها فى يد الشيطان لتؤدب (٥) .

هذا قانون الهى راسخ لا يتغير ، والخطورة تكمن فى أن الحصاد قد يكون أكبر مئة ضعف مما زرع ... فمن يزرع خطية ، يحصد موتاً ، لا مرة واحدة بل مئات المرات ، أنهم يزرعون الريح ويحصدون الزويعة ، (٦) . والعكس أيضاً ، من يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد ، (٧) .

❖ عندما يزرع الله زرعاً مقدساً على الأرض ، فإن هذا الزرع يثمر جيلاً بعد جيل ، فحينما دعى ابراهيم كى تتبارك فى نسله جميع قبائل الأرض، أراد الله أن يثمر ايمان ابراهيم وحتى زمان الحصاد فى الملكوت الأبدى .

لأن الله قال لابراهيم أولاً : ، أجعلك أمة عظيمة ، وأباركك وأعظم

---

(١) غل ٦ : ٨ .　(٢) أع ١٠ : ٣٥ .　(٣) أم ١٤ : ٣٤ .

(٤) رؤ ٢ : ٥ .　(٥) ١كو ٥ : ٥ .　(٦) هو ٨ : ٧ .

(٧) ٢كو ٩ : ٦ .

اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (١) . ويفسر الرسول بولس هذه البركة : « اعلموا اذن أن الذين هم من الايمان أولئك هم بنو ابراهيم » (٢) . « لتصير بركة ابراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالايمان موعد الروح » (٣) إلى أن يحين موعد الحصاد كما جاء فى سفر الرؤيا « أرسل منجلك وأحصد لأنه قد جاءت الساعة للحصاد . إذ قد يبس حصيد الأرض » (٤) .

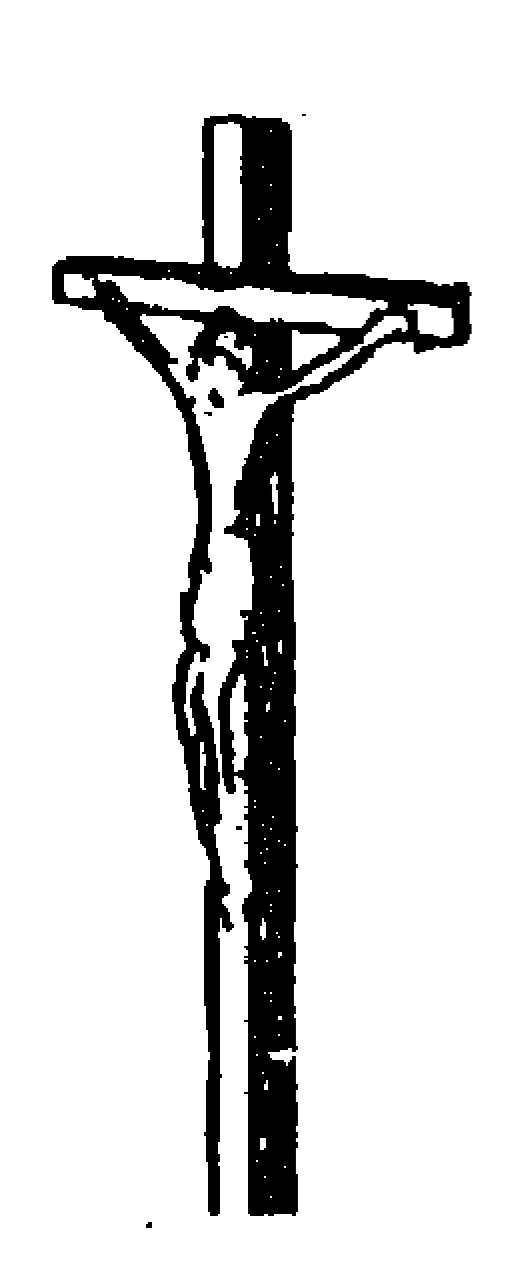
❖ وعلى نفس المنوال نجد تقبل الله لذبيحة هابيل (٥) ، ثم خروف الفصح الذى سبق تحرر الشعب من العبودية (٦) ، ثم صليب المسيح له المجد (٧) ، ثم افخارستيا العهد الجديد (٨) ، نجد صدى كل هذا فى سفر الرؤيا الذى يتحدث عن المناظر السماوية وفى وسطها خروف قائم كأنه مذبوح ، وحوله جموع المفديين يسبحون « مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة » (٩) . وكل خليقة يقولون هذا التسبيح بصوت عظيم ...

قس على هذا خيمة الاجتماع (١٠) – وهيكل سليمان (١١) – والرب يسوع (١٢) ثم تابوت العهد فى العرش السماوى (١٣) ... كنمو لعلاقة الله مع الانسان ، أيضاً التحرر من عبودية فرعون (١٤) ثم الدخول إلى أرض الموعد (١٥) ، وأورشليم الأرضية (١٦) ، ثم أخيراً أورشليم السماوية التى هى أمنا جميعاً (١٧) .

---

(١) تك ١٢ : ٣ . (٢) غل ٣ : ٧ . (٣) غل ٣ : ١٤ . (٤) رؤ ١٤ : ١٥.
(٥) تك ٤ : ٤ . (٦) خر ١٢ . (٧) اكو ٥ : ٧ . (٨) اكو ١٠ : ١٦.
(٩) رؤ ٥ : ١٢ . (١٠) خر ٢٥ : ٨. (١١) امل ٩ : ٣ . (١٢) يو ٢ : ٢١ .
(١٣) رؤ ١١ : ١٩. (١٤) خر ١٤ : ١٣. (١٥) يش ٢٤ : ١٣ .
(١٦) مز ٤٨ : ١ . (١٧) رؤ ٢١ : ١٠ .

❖ عن كل هذا يلفت إشعياء النبى نظر الشعب أن الاله يهوه هو وراء كل ما يحدث من تغيرات فى حياتهم ، وليس آخر سواه لأنه هو الكائن من جيل إلى جيل .



٣١- علاج الشعور بالاعياء

لماذا تقول يا يعقوب ، وتتكلم
يا اسرائيل . قد اختفت طريقى
عن الرب ، وفات حقى الهى ؟
أما عرفت ؟ ألم تسمع ؟
(اش ٤٠ : ٢٧ ، ٢٨)

أن كثرة الجهاد والعمل سواءً على المستوى المادى أم على المستوى الروحى لابد وأن يعقبه احساس بالاجهاد والاعياء ، فكيف نواصل جهادنا وعملنا الروحى مع الله ؟

نحن البشر نُجهد ونخور ونشعر بالاعياء وهذا احساس طبيعى أما الهنا الذى نعمل معه وبه ولأجله فهو « لا يكل ولا يعيا » (١) وليس هذا فقط فى ذاته بل أنه هو « يعطى المعى قدرة ، ولعديم القوة يكثر شدة » (٢) . وعلى هذا نؤمن بالوعد الثمين الذى وعدنا به الله « الغلمان يعيون ويتعبون ، والفتيان يتعثرون تعثراً وأما منتظرو الرب فيجددون قوة . يرفعون أجنحة كالنسور . يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون » (٣) .

علاج الاعياء الروحى اذن ، هو انتظار الرب حتى نجدد قوة ونرفع أجنحة كالنسور ...

❖ فى سيرة أب الآباء يعقوب ، أنه بعدما أخذ البركة من أبيه ، هدده أخوه عيسو على الفور بأنه سيقتله (٤) ! وقد يعجب يعقوب ويسأل نفسه أهذه نتيجة البركة التى جاهدت لكى آخذها ؟ ثم بعد أن أخذتها ، ها حياتى نفسها معرّضة للموت ... أين ترى هذه البركة وما مدى مفعولها فى

---

(١) اش ٤٠ : ٢٨ . (٢) اش ٤٠ : ٢٩ . (٣) اش ٤٠ : ٣٠ ، ٣١.
(٤) تك ٢٧ : ٤١ .

حياتى ؟ لقد كنت مطمئناً فى بيت أبى اسحق ، والآن ها أنا أخرج لأعيش مشرداً خوفاً من ملاحقة أخى عيسو لى ...

والأكثر من هذا أنه بعدما وصل بالجهد عند خاله لابان ، احتال خاله عليه (١) وعاش عنده عشرين سنة ... ولنا أن نتصور معيشة انسان مع شخص آخر محتال هذه المدة الطويلة ... وعندما عاد إلى بيت أبيه ، انهلع قلبه حين سمع بأن أخاه عيسو قادم على رأس أربعمائة رجل (٢) ... وحتى بعدما استقر فى شكيم عانى من حماقة ابنيه شمعون ولاوى (٣) . وأخيراً عانى يعقوب من محنة ادعاء افتراس الوحوش لابنه يوسف (٤) .

ولكن هل أثرت كل هذه المصائب على مفاعيل البركة التى أخذها يعقوب ؟ كلا ... فنحن نجد أنه حتى هذه المصائب عينها كانت سبباً فى بركة حياة يعقوب ... فهروبه إلى خاله لابان جعله يغتنى وينجب أسباط اسرائيل الاثنى عشر ، والأروع من هذا ، تقابله مع الله مرتين مرة فى الذهاب (٥) وأخرى فى الاياب (٦) ، وتقابله مع ملائكة الله (٧) ، وكان ذهاب يوسف إلى مصر نجاة لبيت يعقوب كله من الجوع ... (٨) .

❖ بنو اسرائيل الذين أصابهم الاعياء والتعب والتعثر ، روحياً ومادياً وسياسياً يذكرهم الله على فم إشعياء النبى بمواقفه مع جدهم الكبير يعقوب، وكأنه يقول لهم أننى أنا الله الذى أنقذت جدكم يعقوب من كل ضيقة (٩) ، فلا تظنوا انى لم أعد أهتم ، لماذا تقول يا يعقوب وتتكلم يا اسرائيل ، قد اختفت طريقى عن الرب وفات حقى الهى؟ أما عرفت ؟ أم لم تسمع ؟ ، .

ما أروعك يا الله ، فإنك تخرج أولادك من عمق الضيقات ...
إلى تعزيات أبدية ...

---

(١) تك ٣١ : ٤١ . (٢) تك ٣٢ : ٦ . (٣) تك ٣٤ : ٣٠ .
(٤) تك ٣٧ : ٣٤ ، ٣٥ . (٥) تك ٢٨ : ١٢ . (٦) تك ٣٢ : ٣٠ .
(٧) تك ٣٢ : ١ . (٨) تك ٤٥ : ٧ . (٩) تك ٤٨ : ١٦ .

٣٢- السر المكتوم منذ الدهور

من أنهض من المشرق الذى يلاقيه
النصر عند رجليه ؟ (اش ٤١ : ٢)

هذا السر هو : أن الله (يهوه اله اسرائيل) هو اله البشر جميعاً - أفريقيين وآسيويين وأوربيين ، وأمريكيين (شمالاً وجنوباً) واستراليين ... أنه اله كل الشعوب على القارات الست وكل الجزر وكل أطراف الأرض بلا استثناء « سر المسيح ... أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه (ومنهم إشعياء النبى) بالروح - أن الأمم شركاء فى الميراث والجسد ونوال موعده فى المسيح بالانجيل » (١) .

من أجل هذا يبدأ إشعياء النبى اصحاحه الحادى والأربعون بالآية : « أنصتى إلىّ أيها الجزائر » (٢) ثم يقول « نظرت الجزائر . أطراف الأرض ارتعدت اقتربت وجاءت » (٣) أن الله هو « اله الدهر الرب خالق أطراف الأرض » (٤) .

كل اسرائيلى يصاب بصدمة حين يسمع أن الهه هو إله كل انسان أيضاً ، لأنه لا يريد أن يفهم أن الله كما هو يهتم بشعب اسرائيل ، يهتم أيضاً ، وعلى قدم المساواة ، بكل الشعوب الأخرى (كمثل الأطفال الذين عندهم حب ملكية انفرادية لكل شئ فأب الأسرة هو أبوه له وحده وليس لأخوته معه) .

يظنون أن الله ساكن فى أورشليم ، وليس له شأن مع أى بلد آخر من

---

(١) أف ٣ : ٣ - ٩ . (٢) اش ٤١ : ١ . (٣) اش ٤١ : ٥ .
(٤) اش ٤٠ : ٢٨ .

بلاد الدنيا ، وهو يحابيهم دوناً عن أى أمه أخرى ، فالأمم الأخرى يسمع الله بوجودها فقط لكى تخدمهم ، والأمة التى لا تخدمهم يلعنها الله ويقرضها من الأرض ... أنها النظرة الدينية المتعصبة والتى للأسف قد تسود فى كل الأديان والمذاهب ... فكل دين وكل مذهب يدّعى أن عنده الحق ، وكل الآخرين هم هراطقة أنجاس يحل ابادتهم !!!

وقد تُشجع الكيانات الدينية الرسمية أتباعها على تبنى هذه الفكرةالضيقة والخطيرة ، وتذكى روح التعصب فيهم ، ويصدرون الفتاوى بتكفير غيرهم ، وبالتالى تصفيتهم ! كل هذا لفرض عقائدهم على غيرهم، فيتسع حدود الكيان ويكثر الاتباع ، ويغتنمون الغنائم ! ... أما الاله المحب لكل البشر فإنه ينظر من السماء ، ويحزن على تلك العدوات والتحزبات التى سادت بين أولاده ...

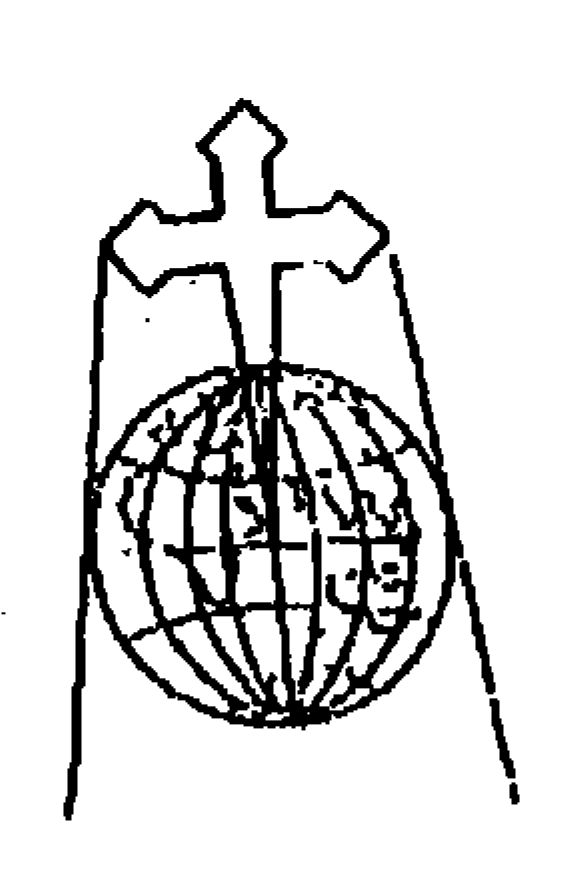
الله الذى ظن الاسرائيليون أنهم حبسوه فى هيكل حجرى وسط مملكتهم، يبين لهم هنا ، فى التساؤل عاليه من نبوة إشعياء ، أنه يهتم أيضًا بمملكة تقع شرق اسرائيل ، أن الله سينهض ملكها وينصره على ممالك أخرى بما فيها اسرائيل ذاتها ! ومن شدة محبة الله له سيلاقيه النصر عند رجليه (أى بدون بذل مجهود) وكما فعل الله مع يشوع بن نون ، حيث طرد أمماً أمامه وأسكن اسرائيل ، هكذا تماماً سيفعل مع ملك المشرق هذا ، دفع أمماً أمامه وعلى ملوك سلطه جعلهم كالتراب بسيفه وكالقش المذرى بقوسه . طردهم ومر سالمًا فى طريق لم يسلكه (من قبل) برجليه ، (١) ثم يؤكد الله لبنى اسرائيل أنه هو الذى سيفعل هذا ، هو نفسه الله يهوه اله اسرائيل ، من فعل وصنع داعيًا الأجيال من البدء . أنا الرب الأول ومع الآخرين **أنا هو** ، (٢) .

---

(١) اش ٤١ : ٢ ، ٣ . (٢) اش ٤١ : ٤ .

❖ وفى نفس الاصحاح يؤكد الله مرة أخرى أنه سينصر ملكاً آخر تقع مملكته شمال اسرائيل ، قد أنهضه من الشمال فأتى ، من مشرق الشمس يدعو باسمى . يأتى على الولاه كما على الملاط ، (١) تماماً كما جاء فى المزامير ، هلموا أنظروا أعمال الله ، كيف جعل آيات فى الأرض ، الذى يرفع الحروب من أقاصى الأرض . يكسر القوس ويقطع الرمح . المركبات يحرقها بالنار . ثابروا وأعلموا أنى أنا هو الله أرتفع بين الأمم وأتعالى فى الأرض ، (٢) .

❖ كل هذا قاله الله قبل أن يحدث ، حتى إذا كان ، يؤمنون ويتعلمون السر المكتوم قبل كل الدهور ... فملك الشرق هو ملك آشور (أى العراق) الذى سيتغلب على كل الممالك المجاورة ، أما ملك الشمال فهو ملك الفرس (أى ايران) الذى سينتصر حتى على ملك آشور ... وكل هذا بترتيب الهى محكم كى يتأدب اسرائيل بواسطة سبى آشور ثم يعودون أثناء حكم ملوك الفرس وهذا ما تم ، استعلاناً للسر المكتوم .



(١) اش ٤١ : ٢٥ .　　(٢) مز ٤٦ : ٨ - ١٠ .

٣٣- العقيدة النامية

❖ من فعل وصنع داعيا الأجيال من البدء .

(اش ٤١ : ٤)

❖ ما هى الأوليات ؟ أخبروا .

(اش ٤١ : ٢٢)

❖ من أخبر من البدء حتى نعرف ؟ ومن قبل حتى نقول هو صادق ؟

(اش ٤١ : ٢٦)

❖ من منهم يخبر بهذا ويعلمنا الأوليات ؟

(اش ٤٣ : ٩)

التساؤلات الأربعة يتحدى الله فيها الأصنام التى أختارها اسرائيل ليعبدوها عوضاً عن يهوه الاله الحقيقى ... يتحدها من حيث المعرفة ، والقدرة ، والفهم والمعونة والنجدة التى يمنحونها للانسان ... والأهم من كل هذا أنها ليست أزلية ولا قديمة الأيام ، بل كلها ألهة مستحدثة من صنع الانسان ، أنها صناعة النجار والصائغ ، فكيف يدعونها ألهة ! « شدد النجار الصائغ الصاقل بالمطرقة الضارب على السندان قائلاً عن الالحام هو جيد ، فمكنه بمسامير حتى لا يتقلقل » (١) .

قد يكون التنبؤ بالمستقبل أمر صعب ، لأن المستقبل فى علم الغيب ، أما ما مضى وما حدث من البدء فهو أمر يسهل لكل أحد أن يخبر به ، وهذا جوهر التحدى ، فالأصنام لا تستطيع أن تخبر حتى بالأوليات ، فعلى أى أساس تتعبدون لها يا بنى اسرائيل ؟

---

(١) اش ٤١ : ٧ .

❖ ولقد كان فى خطة الله الأزلية أن يخلص كل الأمم وكل الشعوب من خطاياهم عن طريق اختياره لاسرائيل كى يأتى منهم المسيح الكائن على الكل الهاً مباركاً إلى الأبد (١) .

– ففى اختيار الله لابراهيم وسارة ليكونا هما الجدين الأولين لقبيلة بنى اسرائيل يقول الله فى حزقيال النبى : « أبوك أمورى وأمك حثية » (٢) .

– كما أن ابراهيم اقترن بهاجر المصرية وأنجب منها اسماعيل (٣) ، ثم عاد واقترن بأمرأة أخرى بعد وفاة سارة هى قطورة وأنجب منها رؤساء دول الخليج (٤) .

– ثم قال لهم يوحنا المعمدان : « ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابراهيم أبًا . لأنى أقول لكم أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لابراهيم » (٥) . فأين الافتخار اذن بكبر الجد ؟

– أما الرب يسوع فقد قالها لهم بكل وضوح : « لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ... أنتم من أبٍ ابليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » (٦) .

– الاثنى عشر سبطاً الذين يتكون منهم بنو اسرائيل ، أربعة منهم هم من سرارى غريبة هما بلهة وزلفة (٧) ، واثنان أبناء يوسف (أفرايم ومنسى) وهما من ابنة كاهن مصرى .

– أما موسى فقد تزوج أولاً من ابنة كاهن مديان ، ثم عاد وتزوج امرأة

---

(١) رو ٩ : ٥ . (٢) حز ١٦ : ٣ . (٣) تك ١٧ : ٢٠ .
(٤) تك ٢٥ : ١ ، ٢ . (٥) متى ٣ : ٩ . (٦) يو ٨ : ٣٩ ، ٤٤ .
(٧) تك ٣٠ . (٨) تك ٤١ : ٥٠ .

حبشية ، وقد سمح الله بكل هذا ليوضح اقتران الله بالأمم وليس لاسرائيل فقط .

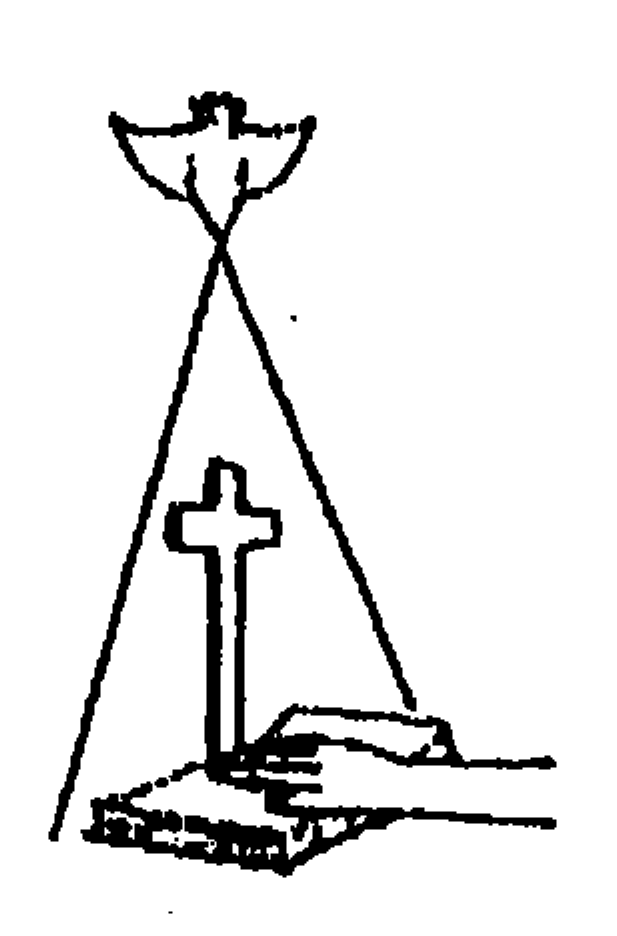
– ولقد علم موسى اسرائيل نشيداً يتردد على مدى الأزمان على أفواههم يقول فيه : « تهللوا أيها الأمم شعبه » (١) .

– ولداود أيضاً شواهد كثيرة فى المزامير توضح هذه العقيدة الراسخة : « الرب حنان ورحيم ، طويل الروح وكثير الرحمة . الرب صالح للكل ومراحمه على كل أعماله » (٢) .

– واقترن سليمان بابنة فرعون وملكة سبأ وجنسيات أخرى كثيرة (٣) .

***

فكون الله هو اله كل الأمم ، عقيدة تمتد جذورها منذ البدء ، وكان ينبغى أن تكون من البديهيات الأولية خصوصاً عند اسرائيل ، ولكن الله أراد أيضاً أن يستعلنها قليلاً قليلاً ، حتى كشفها على العلن فى العهد الجديد وقت أن جاء المسيح له المجد فصاعداً ...



(١) تث ٣٢ : ٤٣ . (٢) مز ١٤٥ : ٩ . (٣) امل ١١ : ١ .

٣٤- درجة الكمال الروحى

من هو أعمى إلا عبدى ؟ وأصم كرسولى الذى أرسله ؟ من هو أعمى كالكامل ؟ وأعمى كعبد الرب ؟ (اش ٤٢ : ١٩)

الانسان الطبيعى يهتم جداً بمظهره أمام الآخرين فى العالم الخارجى ، فهو يدرس كيف يؤثر ، ولهذه الغاية يتقن الكلام والحركات التى يرسل بها رسالة إلى الآخرين ، غالباً ما تكون بالكذب ولا تعبر عن حاله تماماً ... أنه يتظاهر بالحب والاهتمام وباطنه كراهية واهمال ، قد يتظاهر بأنه غنى ومن الطبقات الراقية والواقع أنه فقير من الطبقات الكادحة ... الخ ... الخ.

أما عندما يتقابل هذا الانسان بالمسيح ، تجد اهتمامه أنتقل من المظاهر الخارجية إلى حياته الداخلية مع الله ، ثم يتحول من انسان يريد أن يؤثر فى الخارج ، إلى انسان يريد أن لا يتأثر إلا بالله فى الداخل ... يتحول العالم المادى أمامه إلى أطياف غاربة ، ولم يعد يشخص إلا فى نور الله فى القلب الداخلى .

وكلما نجح الانسان فى هذه النقلة – أى الانتقال من المحسوسات فى العالم الخارجى ، إلى الأمور التى لا ترى من عالمه الداخلى ، كلما كانت درجة روحانيته حتى يصبح كأنه أعمى وأصم بالنسبة للعالم الخارجى – ليس افتعالاً ولا ببذل جهد – بل وكأنه أمر تلقائى لأنه أصبح مشغولاً بانسانه الباطن وبالأمور التى لا ترى ... هذه هى درجة الكمال الروحى.

❖ المسيح قال لنا : « ها ملكوت الله داخلكم » (١) فمن يريد أن يتمتع

(١) لو ١٧ : ٢١ .

بهذا الملكوت عليه أن يغمض عينيه عن كل مناظر الدنيا الخارجية ، ويسد أذنيه عن أصوات العالم ، حتى يمكنه أن يدخل إلى داخل نفسه فيجد ملكوت اللّه هناك ... هذا ما اختبره ماراسحق فكتب : « غص داخل نفسك ، فستجد كنوزاً ثمينة » .

❖ أن العالم الخارجى يحاول أن يؤثر عليك بوسائل الاعلام المختلفة ، بل هناك من الناس الذين حولك يحاولون التأثير عليك بشتى الطرق ، كى يستفيدوا منك فائدة معينة ، أو احداث ضرر لحياتك تقوم به أنت نفسك لنفسك من تأثير أقوالهم أو مناظرهم . فعندما أتى سكان جبعون إلى يشوع أتوا بمظهر أنهم آتون من بلاد بعيدة طالبين أن يقطع لهم عهداً ، وأخذوا جوالق بالية لحميرهم وزقاق خمر بالية مشققة ومربوطة ونعالاً بالية ومرقعة فى أرجلهم وثياباً رثة عليهم وكل خبز زادهم يابس قد صار فتاتاً ... فأخذ الرجال من زادهم ومن فم الرب لم يسألوا » (١) . بعكس موسى الذى كان مداوماً على غير المنظور (٢) .

ما أخطر أن يترك الانسان نفسه تحت تأثيرات خارجية ، تأتيه من العالم أو من الناس أو من الشياطين كما جاءوا لحواء وأروها شجرة العصيان « جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر » (٣) سيظل الانسان آنذاك تائهاً عن حقيقة نفسه الداخلية ، وانسانه الباطن الرائع .

❖ الرسول بطرس يرى أن الانسان الباطن هو قدام اللّه كثير الثمن ... فقد نصح النساء « ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب **بل انسان القلب الخفى** فى العديمة الفساد . زينة الروح الوديع الهادئ . الذى هو قدام اللّه كثير الثمن » (٤) .

---

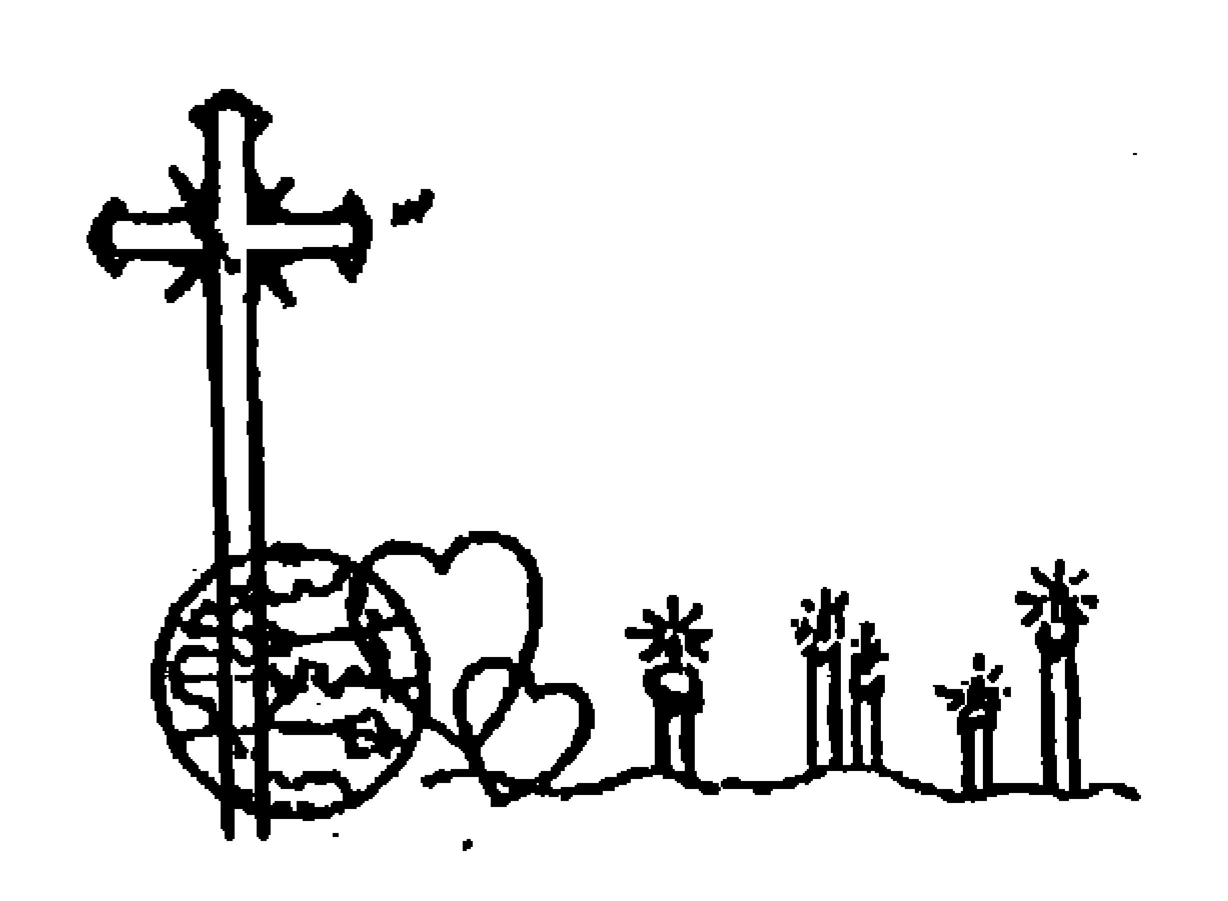
(١) يش ٩ : ٥ ، ١٤ . (٢) عب ١١ : ٢٧ . (٣) تك ٣ : ٦ . (٤) ابط ٣ : ٤ .

أيضاً بولس الرسول يرى أن الانسان الباطن هو الذى يسر بوصايا الله قائلاً : « فإنى أسر بناموس الله بحسب الانسان الباطن » (١) .

ويرى أن الانسان الباطن هو الذى يؤيده الله بالقوة فقد قال لأهل أفسس « أحنى ركبتى لدى أبى ربنا يسوع المسيح ... لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الانسان الباطن » (٢) .

كما يرى أن المهم أن يكون نمو الانسان فى الانسان الباطن ، قال « لذلك لا نفشل بل وأن كان انساننا الخارج يفنى ، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً » (٣) .

« ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا ترى . لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية » (٤) .



(١) رو ٧ : ٢٢ . (٢) أف ٣ : ٦ . (٣) ٢كو ٤ : ١٦ .
(٤) ٢كو ٤ : ١٨ .

٣٥- تجديد الروح القدس

هانذا صانع أمراً جديداً ،
الآن ينبت . الا تعرفونه ؟
(اش ٤٣ : ١٩)

شكراً للقديس يوحنا البشير ، لأنه أوضح لنا علاقة الماء بالروح القدس فى الآية : « وفى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً : أن عطش أحد فليقبل إلىّ . من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى . قال هذا عن الروح (القدس) الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه . لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد ، لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد » (١) . وبذلك وضع فى يدنا مفتاح تفسير آية التساؤل التى لإشعياء النبى وآيات أخرى كثيرة ، لأن الله يجيب : « ألا تعرفونه ؟ أجعل ... فى القفر أنهاراً » . « لأنى جعلت فى البرية ماء ، أنهاراً فى القفر لأسقى شعبى مختارى » (٢) . فكما تنبأ إشعياء عن حياة المسيح وآلامه ... هكذا يتنبأ بكثرة عن الروح القدس .

فقد رأى إشعياء النبى بالروح ، كيف أن روح الله أيضاً سيجدد الشعب « بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (٣) . فقد كان معروفاً منذ أيام صموئيل النبى حين قال لشاول : « فيحل عليك روح الرب ، وتتحول إلى رجل آخر » (٤) .

وأيضاً فى سفر المزامير : « ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض » (٥) .

---

(١) يو ٧ : ٣٧ - ٣٩ . (٢) اش ٤٣ : ٢٠ . (٣) تى ٣ : ٥ .
(٤) ١صم ١٠ : ٦ . (٥) مز ١٠٤ : ٣٠ .

❖ لقد ملأت عطية الروح القدس فكر إشعياء النبى ، كمياه غامرة ستروى العطاش ، وظلت مناظر الأنهار الدافقة والسيول الهادرة فى الصحارى والقفر تراود استعلاناته النبوية بكل مفاعيلها المروية والباعثة للحياة بعد جفاف وموت ... لذلك فنحن نقرأ :

– لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر (١) .

– فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص (٢) .

– ويكون على كل جبل عالٍ وعلى كل أكمة مرتفعة سواقٍ ومجارى مياه (٣) .

– طوباكم أيها الزارعون على كل المياه (٤) .

– لأنه قد انفجرت فى البرية مياه وأنهار فى القفر . ويصير السراب أجماً والمعطشة ينابيع ماء (٥) .

– البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجد ، لسانهم من العطش قد يبس أنا الرب أستجيب لهم ... لا أتركهم . أفتح على الهضاب أنهاراً وفى وسط البقاع ينابيع. أجعل القفر أجمة ماء، والأرض اليابسة مفاجر مياه (٦).

– هكذا يقول الرب الجاعل فى البحر طريقاً وفى المياه القوية مسلكاً (٧).

– لا يجوعون ولا يعطشون ولا يضربهم حر ولا شمس . لأن الذى يرحمهم يهديهم وإلى ينابيع المياه يوردهم (٨) .

– أنى أسكب ماءً على العطشان وسيولاً على اليابسة . أسكب روحى على نسلك وبركتى على ذريتك فينبتون بين العشب مثل الصفصاف

---

(١) اش ١١ : ٩ . (٢) اش ١٢ : ٣ . (٣) اش ٣٠ : ٢٥ .
(٤) اش ٣٢ : ٢٠ . (٥) اش ٣٥ : ٧ . (٦) اش ٤١ : ١٨ .
(٧) اش ٤٣ : ١٦ . (٨) اش ٤٩ : ١٠ .

على مجارى المياه (١) .

- إلى أن يُسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستانًا ويحسب البستان وعراً (٢) .

- أيها العطاش جميعًا هلموا إلى المياه . والذى ليس له فضة ، تعالوا اشتروا وكلوا ، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً (٣) .

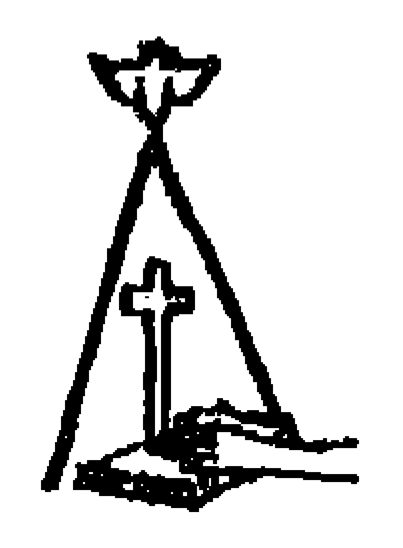
- لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ، ولا يرجعان إلى هناك ، بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت زرعًا للزارع وخبزاً للآكل ، هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى (٤) .

- ثم يعطى مطر زرعك الذى تزرع الأرض به . وخبز غلة الأرض . فيكون دسماً وسميناً وترعى ماشيتك فى ذلك اليوم فى مرعى واسع (٥) .

- ويقودك الرب على الدوام ، ويشبع فى الجدوب نفسك وينشط عظامك فتصير كجنة ريا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه (٦) .

- فى ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاة . أنا الرب حارسها . أسقيها كل لحظة (٧) .

- هانذا أدير عليها سلامًا كنهر ومجد الأمم كسيل جارف ... فترون وتفرح قلوبكم وتزهو عظامكم كالعشب (٨) ....



(١) اش ٤٤ : ٣ . (٢) اش ٣٢ : ١٥ . (٣) اش ٥٥ : ١ .
(٤) اش ٥٥ : ١٠ . (٥) اش ٣٠ : ٢٣ . (٦) اش ٥٨ : ١١ .
(٧) اش ٢٧ : ٣ . (٨) اش ٦٦ : ١٤ .

٣٦- اصنام قديمة واصنام حديثة

من صور الهًا وسبك صنمًا لغير نفع ؟
اما صنع بقيته رجسًا ؟ ولساق
شجرة آخر ؟ (اش ٤٤ : ١٠ ، ١٩)

عندما نتأمل فى الألهة التى عبدها القدماء نجد :

١- قدماء المصريين عبدو ما يجلب عليهم النفع ، مثل النيل الذى يغدق بخيره على الأرض ، والشمس الجمة الفوائد لحياتهم ، والعجل أبيس لما تفيد البقرة الانسان بالنسبة لحياته اليومية من ألبان ولحوم .

٢- قدماء اليونان جعلوا لكل نشاط يقوم به الانسان اله خاص به فالرعى له اله ، والخصب له اله ، والبحار لها اله ، والجمال له الهه ، والحرب له اله ، ثم هناك كبير الألهة ... وقد حاكوا أساطير كثيرة عن جماعة الألهة ...

٣- ثم قدماء ما بين النهرين ، فقد عبدوا الملوك والثعابين اتقاءً لشرهم ، والأسماك والخفافيش والتنانين ، فكانوا يصورون ألهتهم بأشكال تبث الرعب فيمن يراها .

٤- وعندما أرتقى العقل البشرى فى تفكيره تطورت فكرة الألوهية عنده ، فوجدنا الاله الواحد الذى عبده أخناتون عند المصريين واله الحكمة عند اليونان وأيضاً الاله المجهول الذى يجهل الانسان كل شئ عنه .

* * *

ولكن فى وسط هذه الأفكار التى سممها الشيطان عن الألوهية فى ذهن الانسان ، أراد الاله الحقيقى الذى خلق الأكوان أن يستعلن ذاته للبشر ،

فاختار قبيلة ابراهيم أب الآباء ، وعزلهم فى برية سيناء أيام موسى ، ليقيهم من جـرائيم الألوهيـة الكاذبة المنتشـرة فـى الشـرق الأوسط آنذاك ، وابتـدأ يستعلن فيهم شرائعه وعبادته وعـهوده ومواعيده ليس لأنفسهم هم وحدهم بل لكل العالم أيضًا ، فكانوا كمثل الخميرة التى تعزل فى كم صغير من العجين ، ليس من أجل هذا الكم الصغيـر ، بل من أجل العجين كله كى يختمر بهم ... الأمر الذى تم فى المسيح .

❖ تجربة السبى بالنسبة لاسرائيل كانت بمثابة خروج من الحضّانة المعقمة لمواجهة العالم الخارجى بكل أصنامه وأوثانه وألهته الكاذبة ، وكان من السهل أن يدخل فيهم أى فيروس أو ميكروب من هذه الألهة الشيطانية، لذلك يرسخـهم الله فى ايمانهم به عن طريق إشعياء النبى واصفًا الألهـة الأخرى أنها ، أصنام صنعها الانسان بيده ، مستخدمًا أدوات الحفر من أزاميل وشواكيش وفؤوس وقادوم ، حتى أن صانعها يعرق ويعطش ويصاب بالاعياء أمام نار الكور ... وبهذه الأدوات يستعدل شخص آخر كتلة خشبية من أحد الأشجار ويصوز فيها بهذه الأدوات تجسيمات مختلفة ، أما باقى الشجرة التى أخذ منها كتلته الخشبية ، فإنه يستعملها فى التدفئة والطهى وأى استعمال عادى ... وهكذا ، بهذه الصورة الواقعية يجعل الله الانسان يحتقـر مفاهيمه الضالة عن الآلهة فيقر ، أن التى تصنع بالأيادى ليست آلهة ، (١) . وأن اللاهوت ليس ، شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع انسان ، (٢) فإننا نعلم أنه ، ليس وثن فى العالم ، وأن ليس اله آخر إلا واحد ، (٣) . ، أصنامهم فضة وذهب عمل أيدى الناس . لها أفواه ولا تتكلم ، لها أعين ولا تبصر ، لها أذان ولا تسمع ، لها مناخر ولا تشم لها أيد ولا تلمس . لها أرجل ولا تمشى ولا تنطق بحناجرها . مثلها يكون

(١) أع ١٩ : ١٦ . (٢) أع ١٧ : ٢٩ . (٣) ١كو ٨ : ٤ .

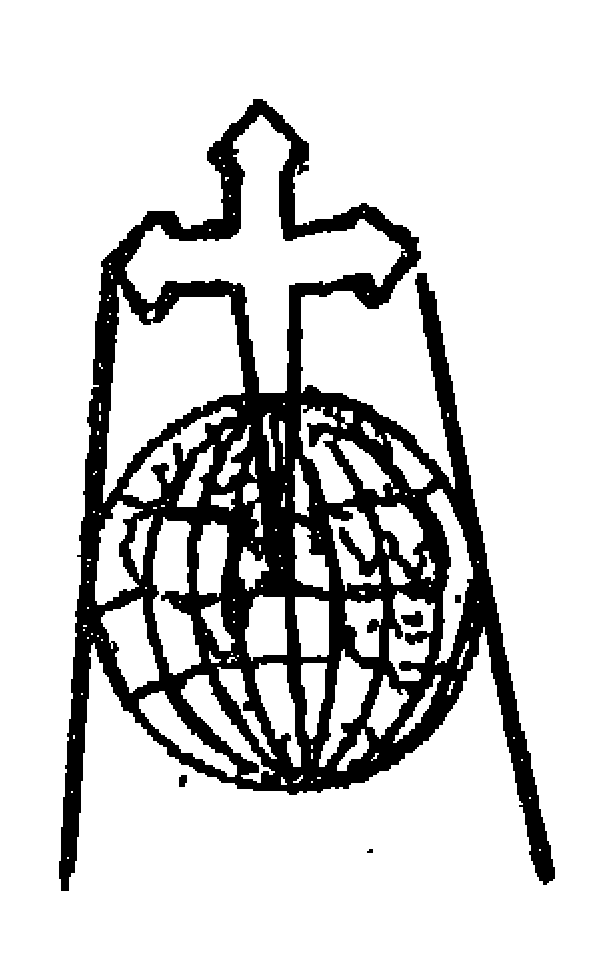
صانعوها بل كل من يتكل عليها » (١) .

***

ونحن أبناء العهد الجديد ، قد نتناسى مسيحنا الكائن على الكل الهًا مباركًا ، ونضع ثقتنا وعبادتنا وحياتنا كلها فى خدمة الأصنام الجديدة مبهرين مما يعمله الانسان أعنى نتعبد فى محراب حب المال ، أو نقدم القرابين كل ساعة لاله الجنس ، أو نتطلع باستمرار إلى اله الأنترنت والدش مستجيبين فكرياً لكل ما يوحى لنا به ...

تلك الآلهة الحديثة التى قد تكون أشد خطراً ، لأنها تسلمنا فى النهاية إلى كبير الهتها الذى هو الشيطان ، أو تتركنا على الأقل فى فراغ اله الالحاد المعاصر ...

فهل ننفض عنا كل تلك الأصنام لنعبد الرب الهنا الحقيقى ؟



(١) مز ١١٥ : ٦ ، ١٣٥ : ١٥ .

٣٧- وحـــدوووووه

أنا الرب صانع كل شئ ... وحدى

من معى ؟ (اش ٤٤ : ٢٤)

فى معظم ديانات الأرض القديمة ، كان باستمرار يوجد الهين يضاد أحدهما الآخر - اله الخير واله الشر ... وهما باستمرار فى صراع .

فعندما سيهزم ملك آشور اسرائيل ، فقد يتسرب إلى ذهن بنى اسرائيل ، أن اله الخير الذى فى اسرائيل قد انهزم أمام اله الشر الذى عند آشور ... وهذا قد يؤدى بهم إلى استنتاجات ونتائج خطيرة . لذلك قال إشعياء النبى آيته الخالدة « أنا الرب وليس آخر ، لا اله سواى ... مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر أنا الرب صانع كل هذه » (١) .

❖ عقيدة التوحيد هى عقيدة راسخة فى المسيحية ، فنحن نؤمن باله واحد لا آخر سواه ، ونشجب كل من يعتقد بتعدد الآلهة . قال يسوع : « لأن (الله) واحد وليس آخر سواه » (٢) . ويقول الرسول بولس : « يكون الله هو الكل فى الكل » (٣) وأيضًا « أنواع مواهب موجودة ، ولكن الروح واحد . وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد ، وأنواع أعمال موجودة ، ولكن الله واحد ، الذى يعمل الكل فى الكل » (٤) .

❖ آيات عديدة واضحة ومباشرة من العهد القديم أيضًا تنص على وحدانية اله اسرائيل ، فهو اله واحد لا شريك له .

- اسمع يا اسرائيل . الرب الهنا رب واحد ... أنك قد أُريت لتعلم أن

---

(١) اش ٤٥ : ٧ . (٢) مر ١٢ : ٣٢ . (٣) ١كو ١٥ : ٢٨ .

(٤) ١كو ١٢ : ٤ - ٦ .

الرب هو الاله ، ليس آخر سواه ... فأعلم اليوم وردد فى قلبك أن الرب هو الاله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ، ليس سواه (١) .

– لذلك قد عظمت أيها الرب الاله ، لأنه ليس مثلك ، وليس اله غيرك حسب كل ما سمعنا (٢) .

– أنظروا الآن . أنا أنا هو وليس اله معى ، أنا أميت وأحيى . سحقت وأنا أشفى ، وليس من يدى مخلص . أنى أرفع إلى السماء يدى وأقول حى أنا إلى الأبد (٣) .

* * *

التوحيد في المسيحية هو توحيد ديناميكى وليس توحيداً جامد . بمعنى الله واحد حقًا ولا شريك له ، ولكنه ليس فى عزلة ووحدة عن خليقته ، أنه واحد ولكنه ليس متوحداً على جبل بعيد عال ... يراقب منه البشر لكى يدين الخاطئ فى سعير جهنم ويثبت الأبرار فى جنات تجرى من تحتها الأنهار . إنه ليس اله مسمط منغلق على ذاته ككرة حجرية قد استوت على العرش بعدما خلقت العالمين . غير عابئ بشئونهم ... كلا بل لكونه أراد أن يستعلن ذاته لنا تجسد فى المسيح ، وتمثل للناس بشراً سوياً .

لقد كان المفهوم البدائى عن الذرة (أصغر أجزاء المادة) أنها كرة مصمطة ... ولكن لما تقدم عقل الانسان فى المعرفة عرف أن الذرة تتكون من ثلاثة جسيمات أساسية هى : الالكترون والنيوترون والبوزيترون ... جميعها فى حركة دائبة مع بعضها البعض .

---

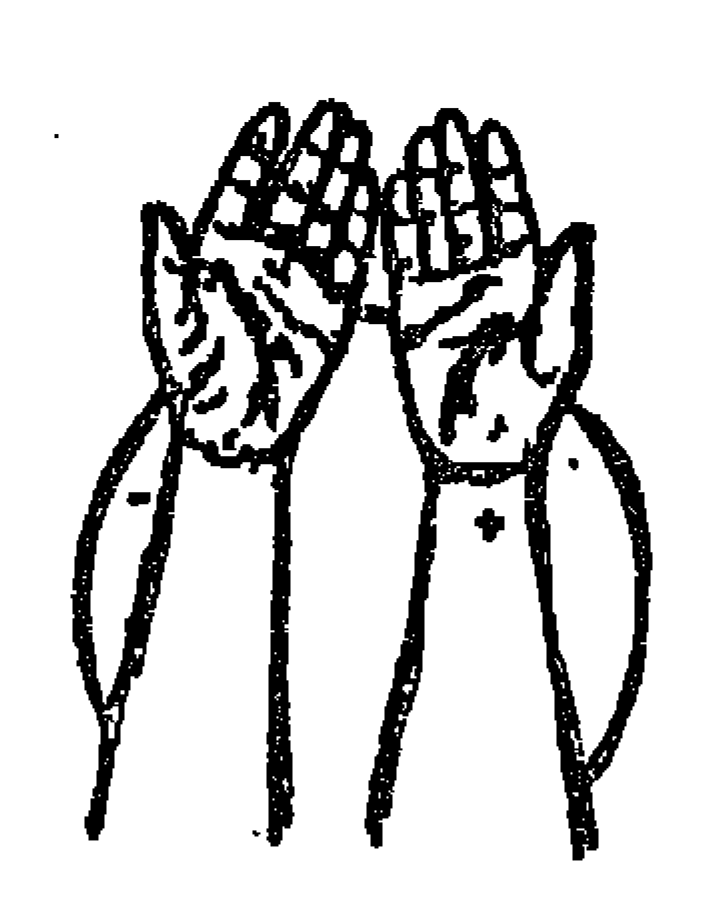
(١) تث ٤ : ٣٥ ، ٣٩ .   (٢) ٢صم ٧ : ٢٢ .   (٣) تث ٣٢ : ٣٩ ، ٤٠ .

نحن نؤمن أن الله هو نور وساكن فى نور لا يدنى منه (١) ، ولكننا نؤمن أيضًا أن هذا النور الحقيقى قد أتى إلى العالم (فى المسيح) ورأينا مجده مجداً (٢) .

أيضًا نحن نؤمن أن الله هو الحكيم وحده (٣) ، تجسد فى المسيح من أجلنا وأصبح مدخراً لنا فيه جميع كنوز الحكمة والعلم (٤) .

ونحن نؤمن أيضًا أن ذلك الاله الحى ، والمملوء بالحياة ، يرسل إلينا روحه المحى ليجددنا ويؤهلنا لملكوته الأبدى معه (٥) .

فهل نحن بهذا لا نؤمن بالتوحيد ، أم أن عندنا عقيدة أرقى عن الاله الواحد الذى نعبده ؟



---

(١) ١تى ٦ : ١٦ . (٢) يو ١ : ٩ . (٣) يه ٢٥ .

(٤) كو ٢ : ٣ . (٥) أع ٢٦ : ١٨ .

٣٨- الشهادة لله

وأنتم ألا تخبرون ؟

(اش ٤٨ : ٦)

اسرائيل كان له رسالة فى القديم ، كما أن الكنيسة لها رسالة فى العهد الجديد . تلك الرسالة هى الشهادة لله ... وحينما يتوقفا عن هذه الشهادة لا يكون لوجودهما على الأرض أى معنى أو أهمية .

فقد قال الرب لاسرائيل : « أنتم شهودى يقول الرب (١) ... وأنتم شهودى يقول الرب وأنا الله (٢) ... فأنتم شهودى » (٣) . أنه تكليف مثلث لا ينقطع .

وقال يسوع للتلاميذ : « وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة ، وإلى أقصى الأرض » (٤) وأيضًا « وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدءاً من أورشليم وأنتم شهود لذلك » (٥) ومرة ثالثة أيضًا « وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء » (٦) .

فى التساؤل عاليه يستغرب الله بأن اسرائيل تتوقف عن الشهادة لله ، ولا يريدون أن يخبروا الآخرين عن الله أى شئ ... لقد تقوقعوا فى مجتمعاتهم الخاصة بهم (فى الأحياء اليهودية ، وحارات اليهود) وسط المدن، وعاشوا منغلقين دائماً، عليهم علامة استفهام.. وقد تكون الأسباب:

١- الأنانية وكأن الله لهم وحدهم وليس لغيرهم .

---

(١) اش ٤٣ : ١٠ . (٢) اش ٤٣ : ١٢ . (٣) اش ٤٤ : ٨ .

(٤) أع ١ : ٨ . (٥) لو ٢٤ : ٤٨ . (٦) يو ١٥ : ٢٧ .

٢- عدم الاختبار الروحى ، فكيف يشهدون عن ما لم يختبرونه .

٣- ضعف الايمان بما يقولونه عن الله ، فكيف يشهدون على ما لا يؤمنون به .

٤- طلب السلامة وعدم الدخول فى مخاطرة الشهادة لله لآخرين .

٥- احساس بالرفض من الله نفسه ، فكيف يشهدون لمن يرفضهم ، وبهذا يضيفون خطية عدم الشهادة على الخطايا التى من أجلها يرفضهم الله .

٦- التوانى والتراخى والكسل وثبوط الهمة .

٧- اليأس من كون الله له عمل فى الانسان .

٨- الانشغال بأهداف أخرى يريدون تحقيقها كمثل الرخاء الاقتصادى والسيطرة على وسائل الاعلام ...

٩- الشعور بثقل النير الالهى ، والبحث عن التخلص منه .

١٠- تفضيل الخطايا السرية المحبوبة عن تقبل الحياة الجديدة المقدسة من الله .

١١- الاحساس بأنه شخص معثر وليس قدوة حسنة للآخرين .

١٢- أو احتقار الآخرين ، واداننتهم ، والنظر إليهم باستعلاء ، وبأنهم غير مستحقين لأن يعرفوا الله مثله ...

* * *

ولكن المسيح يحثنا أن نشهد له سواءاً فى وقت مناسب أم غير مناسب (١) سواءً فى مكان ميلادنا أم فى أقصى الأرض ، فإن كنا قد ذقنا

---

(١) ٢تى ٤ : ٢ .

أن الرب صالح (١) فلنشهد له ، وأن كنا نشعر أننا أول الخطاة وقد عمل المسيح فينا فلنشهد له (٢) ، حتى وأن كنا تحت التأديب (٣) الالهى فلنشهد بصلاحه وبره وعدله .

رسالة الشهادة رسالة حيوية لكل انسان له علاقة بالله :

- وأزرعهم بين الشعوب فيذكروننى فى الأراضى البعيدة ، ويحيون مع بنيهم ويرجعون (٤) .

- لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو تضيئون بينهم كأنوار فى العالم (٥) .

- فليضئ نوركم هكذا قدام الناس ، لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات (٦) .

- فأحفظوا وأعملوا . لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب الذين يسمعون كل هذه الفرائض ، فيقولون هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم وفطن لأنه أى شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب الهنا فى كل أدعيتنا إليه وأى شعب هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التى أنا واضع أمامكم اليوم (٧) .

❖ ثلاث مرات أيضاً لقب المسيح بأنه الشاهد الأمين (٨) ، لأنه ليس أحد من البشر يستطيع أن يشهد بحياته لله شهادة مطلقة كمثل المسيح له المجد .

ليتنا نحاول أن نقتدى به على قدر استطاعتنا . آمين .

---

(١) ابط ٢ : ٣ . (٢) ١تى ١ : ١٥ . (٣) رؤ ٢ : ١٩ .
(٤) زك ١٠ : ٩ . (٥) فى ٢ : ١٥ . (٦) متى ٥ : ١٦ .
(٧) تث ٤ : ٦ - ٨ . (٨) يو ٨ : ١٨ ، رؤ ١ : ٥ ، رؤ ٣ : ١٤ .

٣٩- امومة المسيح العجيبة

هل تنسى المرأة رضيعها ، فلا ترحم ابن بطنها ؟ حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك .

(اش ٤٩ : ١٥)

كما أعلن المسيح فى انجيل لوقا عن أبوة الله لنا فى مثل الابن الضال (١) ، هكذا هنا ، نحن نندهش ونتبهر من استعلان حب الله العجيب لنا ، حيث يعلن عن أمومته أيضاً لنا !

فقد حبل فينا حبلاً بتوليًا ، بأحشاء رحمة الهنا التى بها افتقدنا المشرق من العلاء ، (٢) ... ولقد حملنا أيضًا كى يلدنا ولادة جديدة من خلال أمومة حنانه ونعمته ، وفى البرية حيث رأيت كيف حملك الرب الهك كما يحمل الانسان ابنه فى كل الطريق التى سلكتموها حتى جئتم إلى هذا المكان ، (٣) .

- مبارك الرب يوماً فيوماً . يحملنا اله خلاصنا (٤) .

- اسمعوا لى يا بيت يعقوب ... المحمّلين علىّ من البطن المحمولين من الرحم وإلى الشيخوخة أنا هو وإلى الشيبة أنا أحمل . قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجى (٥) .

❖ نحن نعلم أن حمل يسوع لنا يعنى بالنسبة له التألم حتى الموت ، الأم وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت ، ولكن متى ولدت الطفل

---

(١) لو ١٥ . (٢) لو ١ : ٧٨ . (٣) تث ١ : ٣١ .

(٤) مز ٦٨ : ١٩ . (٥) اش ٤٦ : ٣ .

لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد ولدت انسان فى العالم » (١) . هذا قاله يسوع سرياً عن نفسه ليلة آلامه : « وابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت » (٢) وعانى كما ذروة آلام الطلق والمخاض عند الوالدة « وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » (٣) . لقد كان يغذينا داخل نفسه فى حب، وتمخض فى ملء الزمان ، وفى النهاية مات كى يلدنا نحن للفرح والبركة والحياة الأبدية « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى » (٤) . « شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » (٥) .

لم يكن هذا كافياً لحبه العجيب لنا ، فهو مستعد أن يتألم أكثر ، لو كان عليه أن يتألم أكثر ليخلصنا !

❖ الرضيع يستولى على كل اهتمام أمه ، فهو كل حبها ، وكل حنانها بل وكل محور حياتها ... هذا ما يصوره التساؤل عاليه ، سوف لا يموت يسوع بعد ، ولكنه سيواصل أمومته ، لأن حبه لنا يشعره باستمرار أنه مدين لنا ... فالأم تعطى طفلها ليرضع لبنها ، هكذا أمنا الغالية يسوع يعطينا ذاته (جسده ودمه) بحنان بالغ ، وإحسان لا نظير له فى سر الأفخارستيا لكى ننمو ونترعرع فى حياتنا الجديدة معه « الحق الحق أقول لكم أن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (٦) .

❖ الأم قد تضم طفلها بحنان إلى صدرها ، هكذا أمنا الحنون يسوع قد يضمنا إلى صدره المبارك ، ومن خلال جنبه المفتوح ، يرينا هناك جانباً

---

(١) يو ١٦ : ٢١ .　　(٢) مت ٢٦ : ٣٨ .　　(٣) لو ٢٢ : ٤٤ .

(٤) ١بط ١ : ٣ .　　(٥) يع ١ : ١٨ .　　(٦) يو ٦ : ٥٣ .

مـن الـوهيتـه وأفـراح السمـاء ، واليقـين الـروحى على البركـة الأبـديـة ، فترضعون وعلى الأيدى تحملون وعلى الركبتين تدللون . كانسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا ، (١) .

، الأم ، أنها كلمة حلوة وجميلة وعذبة فى حد ذاتها ، حتى أنه لا يليق أن نطلقها إلا على السيدة العذراء ، أم الاله ، كمثال ورمز ، وعلى يسوع الأم الحنون الحقيقية لنا حيث يفيض حباً ورقة ، وحكمة ومعرفة .

ومع تقدم الأيام قد تختلف وظيفة الأم بالنسبة لابنها ، ولكن حبها لا يتغير أبداً ... وعلى المدى تواصل عطاءها كى يتربى أطفالها على كل فضيلة ونعمة ...

ها هو يسوع يأسرنا بمشاعر أبوته لنا ، ولكن مشاعر أمومته لنا تجعلنا نلتصق به بكل الحب والعرفان بالجميل أكثر فأكثر .

الرسل أيضاً وكل العاملين في كنيسته لابد أن يكون لديهم نفس هذه المشاعر نحو المخدومين ، لذلك نرى الرسول بولس يقول : ، يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم ، (٢) ، لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالانجيل ، (٣) .

نحبك يارب ، ولو أننا غير مستحقين لمحبة أمومتك .



(١) اش ٦٦ : ١٢ . (٢) غل ٤ : ١٩ . (٣) ١كو ٤ : ١٥ .

٤٠- الانتماء للمسيح

هل تسلب من الجبار غنيمة ؟
وهل يفلت سبى المنصور ؟
(اش ٤٩ : ٢٤)

وأين غضب المضايق ؟
(اش ٥١ : ١٣)

سينتصر آشور على اسرائيل انتصاراً مبرماً ، فهو المنصور ، ولكن الملك العادل والوديع والراكب على أتان وعلى جحش ابن أتان الرب يسوع ، سيدخل وينصر شعبه نصراً أبدياً « هوذا ملكك يأتى إليك هو عادل ومنصور » (١) .

وسيأخذ آشور اسرائيل إلى السبى بعتوٍ وجبروت ، ولكن المسيح له المجد حين صعد إلى السماء سبى سبياً ، وبدلاً مما سلب منهم وأغتنمهم الأعداء، سيعطى المسيح للناس عطايا (٢) .

فالمسيح سينتصر على المنتصر ، ويستخلص سبى العاتى المغتصب ، لأننا نحن له (٣) ، وهو لنا (٤) .

❖ الله هو القوة العليا الفائقة ، يستطيع أن ينصر من هم له من يد أشرس الأعداء ، وهذا قد أوضحه الله لداود فى فجر شبابه حين أفترس أسد ودب من قطيعه شاة ... واستطاع أن ينقذ الشاة من فم الدب ومن مخالب الأسد (٥) . ولما قص داود هذه القصة على شاول المرتعب من جليات ،

---

(١) زك ٩ : ٩ . (٢) أف ٤ : ٨ . (٣) ١كو ٨ : ٦ .
(٤) حز ٣٦ : ٩ . (٥) ١صم ١٧ : ٣٤ ، ٣٥ .

تركه ينازله ، وكان داود واثقًا من الانتصار عليه لأن جليات كان يعير صفوف الله الحى ، أما داود فكان الرب معه ، وقال داود الرب الذى أنقذنى من يد الأسد ومن يد الدب هو ينقذنى من يد هذا الفلسطينى ... لأنه عيّر صفوف الله الحى ، (١) . وهكذا استطاع أن يحز رقبة جليات الجبار بسيفه ...

المسيح يستطيع أن ينقذنا من مخالب أبليس الذى يجول حولنا كأسد زائر (٢) ، لأننا نحن شعبه وغنم رعيته (٣) .

وحتى لو سبانا الشيطان كما سبى عماليق شعب داود عندما كانوا فى صقلع فالشيطان لا يقدر أن يفلت بسبيه ، لأن المسيح له المجد يستخلصنا من نفوذه . . واستخلص داود كل ما أخذه عماليق ، وأنقذ داود امرأتيه (رمز لكنيسة أورشليم ، وكنيسة الأمم اللتين أنقذهما المسيح من سلطان الشيطان) ولم يفقد لهم شئ لا صغير ولا كبير ولا بنون ولا بنات ، ولا غنيمة ولا شئ من جميع ما أخذوا لهم ، بل رد داود الجميع ، (٤) .

❖ كلما تمسك المسيحىّ بانتمائه للمسيح ، كلما أحس بقوة العناية الالهية ، والحماية السمائية له فى كل المواقف ... لذلك ، أُدخُل داخل ذاتك وفتش أعماق نفسك ... ترى نحو من أنت تنتمى ؟ هل نحو زعامة بشرية ؟ أم قوى دنيوية أنت مبهر بها كقوة الاقتصاد أم الاعلام ... حتى أن ولائك واخلاصك للمسيح أضحى هامشيًا ؟ لا تطالب المسيح اذن بحمايتك ، لأنه لا يحمى حقًا إلا من هم له .

فالخيار لك ، أما الانتماء قلبيًا للمسيح انتماءً مطلقًا ، فتنال النصرة

---

(١) ١صم ١٧ : ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) ١بط ٥ : ٨ ، ٢تى ٤ : ١٧ .
(٣) مز ١٠٠ : ٣ .
(٤) ١صم ٣٠ : ١٩ .

والحرية ، وإما أن يتضاعف عليك غضب المضايقين ، وأنت فى وسطهم بلا حماية ... المسيح أيضاً لا يقبل أن يكون أتباعه ذوى انتماءات عديدة ، مع الانتماء للمسيح فهذا خيانة له « أن كان الرب هو الله فأتبعوه ، وأن كان البعل فأتبعوه ... حتى متى تعرجون بين الفرقتين » (١) .

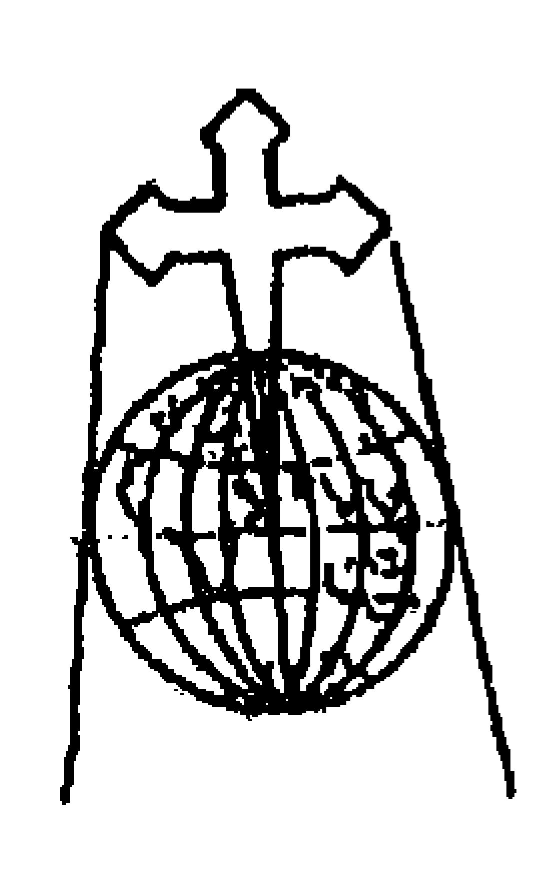
❖ ملك آشور الذى سبى اسرائيل ماذا فعل به الرب حتى أنقذ شعبه ؟ نقرأ :

- « أطعم ظالميك لحم أنفسهم ، ويسكرون بدمهم كما من سلاف ، فيعلم كل بشر أنى أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب » (٢) .

- « ويصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق ، وجمهور العتاة كالعصافة المارة ويكون ذلك فى لحظة بغتة » (٣) .

- « لأن العاتى قد باد ، وفنى المستهزئ ، وانقطع كل الساهرين على الاثم » (٤) .

- « وأبطل تعظم المستكبرين ، واضع تجبر العتاة » (٥) .



(١) ١مل ١٨ : ٢١ . (٢) اش ٤٩ : ٢٦ . (٣) اش ٢٩ : ٥ .

(٤) اش ٢٩ : ٢٠ . (٥) اش ١٣ : ١١ .

٤١- محبة ام استيلائية

أين كتاب طلاق أمكم التى
طلقتها ؟ أو من هم غرمائى
الذى بعته اياكم ؟
(اش ٥٠ : ١)

أورشليم ، القرية التى كانت أمينة لله ولكنها صارت زانية [١] ، قد طلقها الله . وبنوها الذين كثرت آثامهم كما قال أرميا النبى ، طوفوا فى شوارع أورشليم وأنظروا وأعرفوا وفتشوا فى ساحاتها ، هل تجدون انساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها ، [٢] . فهؤلاء الأثمة قد باعهم الله عنه ، وهذه الزانية قد طلقها الله عنه ... ولكن ... لم يبعهم لغرماء له يستبعدونهم إلى الأبد لأن ليس لله غرماء ... أيضاً طلقها ، ولكن بدون كتاب طلاق حتى يسهل رجوعهم ، وأيضاً يسهل ردها إليه ، وقال الرب لى ... هل رأيت ما فعلت العاصية اسرائيل ، انطلقت إلى كل جبل عالٍ وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك . فقلت بعد ما فعلت كل هذا أرجعى إلىّ فلم ترجع ، [٣] . لذلك فإن تكملة آية التساؤل ، هوذا من أجل آثامكم قد بعتم ... ومن أجل ذنوبكم طلقت أمكم ، . ولكن أين الغرماء ... وأين كتاب الطلاق ... لا يوجد فهو بيع وطلاق لمجرد التحذير ، ولاحداث صحوة للتوبة ... فإنى تركت للنفس باباً مفتوحاً لرجوعكم يقول الرب .

❖ يذكر الكتاب المقدس ثلاثة مواقف عن الزوج الذى تخونه زوجته :

١- موقف **الزوج البار** ، وهو الذى ينفصل عنها سراً دون أن

---

(١) اش ١ : ٢١ . (٢) أر ٥ : ١ . (٣) أر ٣ : ٦ .

يشهرها معاتباً اياها ، وناصحاً ، معطياً لها فرصة لتتوب ، وبعد مرور الزمن قد يقبل ارجاعها إليه بعد أن يكون قد تأكد من توبتها ... هذا هو موقف الله منا باستمرار ، أيضاً ذُكر عن يوسف النجار : « فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً » (١) لذلك أرسل له الرب الملاك وأفهمه أن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس (٢) .

٢- موقف الزوج الحاقد ، حيث ينقلب كل حبه لزوجته إلى بغضة شديدة بعد التأكد من خيانتها ، وشريعة موسى تعطي للرجل الحق فى أن يطلقها (٣) ويدفع لها بكتاب طلاق دون أى حقوق لها (٤) ، بل وتحكم الشريعة برجمها حتى الموت (٥) .

٣- موقف الزوج الغيور ، وهو الذى تساوره أفكار الشكوك فى زوجته ، دون أن يكون تحت يده أى دليل ملموس ، ومثل هذا الزوج لو ثبت أن شكوكه فى غير محلها ، ليلة الزفاف ، يعاقب بأن يضرب بالحذاء على وجهه أمام كل الجماعة ، ويدفع غرامة « لأنه أشاع اسمًا ردياً عن عذراء من اسرائيل » (٦) . أما لو شك بعد الزواج ، يتحتم عليها هو وزوجته أن يشربا ماء اللعنة (وهو ماء مضاف إليه رماد محرقة وتراب الهيكل) والله سيحكم على المذنب بأمراض صعبة (٧) .

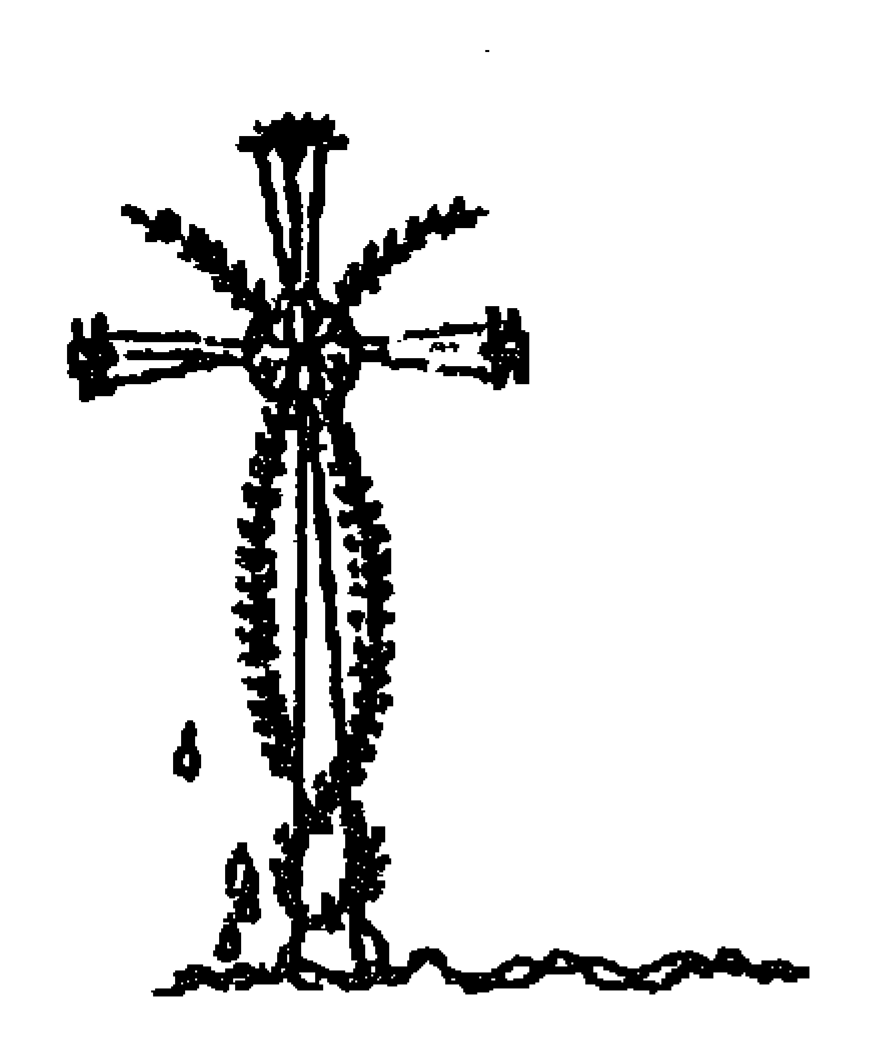
❖ واضح أن الموقف الذى يقفه الزوج من زوجته الخائنة يتوقف على مدى حبه الحقيقى لها ، فالمحبة لا تسقط أبداً (٨) ، وأن تحولت إلى عداوة فهى لم تكن محبة أصلاً ... فالمحبة الحقيقية تعفو وتغفر (٩) ، وتنظر حتى

---

(١) متى ١ : ١٩ . (٢) متى ١ : ٢٠ . (٣) مر ١٠ : ٤ .
(٤) متى ٥ : ٣١ . (٥) يو ٨ : ٥ . (٦) تث ٢٢ : ١٩ .
(٧) عدد ٥ : ١١ - ٣١ . (٨) ١كو ١٣ : ٨ . (٩) ١كو ١٣ : ٥ .

إلى الخيانة على كونها ضعف عارض يمكن أن يتعافى منه الشريك المحبوب – أما الزوج الحاقد أو الغيور فهو لم يحب زوجته أبداً ، بل هو يحب نفسه ، وينظر إلى زوجته نظرة الاستيلاء والتملك .

ولكون الله هو البار براً مطلقاً (١) ، وجوهره هو المحبة ، لذلك ، حتى وأن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً (٢) ، لن يقدر أن ينكر نفسه .



(١) يو ١٧ : ٢٥ .   (٢) ٢تى ٢ : ١٣ .

٤٢- لماذا ينصرف الناس عن الله

❖ لماذا جئت وليس انسان ؟ ناديت وليس مجيب ؟ هل قصرت يدى عن الفداء ، وهل ليس فيّ قدرة للإنقاذ ؟ (اش ٥٠ : ٢)

❖ من صدق خبرنا ؟ ولمن أستعلنت ذراع الرب ؟ (اش ٥٣ : ١)

من جهة الله ، الله قد جاء للانسان للمصالحة ، ونادى على الانسان بالغفران والمسامحة ، وأخبر الانسان بحبه غير المحدود له ، كما استعلن فداءه ، ماداً يده للانسان ، وبين له ذراعه المنقذة .

ولكن ماذا كان رد الفعل عند الانسان ؟ ليس سوى المكابرة والتجاهل ، والصد والنفور .

ولكـن ... لمـاذا ؟

هل لأن الله فيه جور (١) ؟ حاشا بل هو كل الحب والاخلاص .

إذن فلمـاذا ينصرف الناس عن الهـهم المحب ؟ قد يكون هذا بعض الأسباب كما وردت فى الكتاب المقدس .

١- الذات: وهـذا قد عبر به أحد أساطين الفلاسفة الوجوديين بقوله : « أن كان وجود الله ينفي وجودى ، فالأحرى أن لا يوجد الله لكى أوجد أنا » ولكنه ينسى حقيقة هامة ، هل للغصن وجود إذا انفصل عن أصله فى الشجرة ؟ قال ربنا يسوع : « أن كان أحد لا يثبت فيّ ، يطرح خارجاً

---

(١) أر ٢ : ٥ .

كالغصن فيجف ، ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق » (١) .

٢- الاتكال على الذراع البشرى : ففى أحد المرات سأل أحد شمامسة الكنيسة شاباً : لماذا لا تأتى إلى الكنيسة ؟ فأراه عضلات عضده القوية قائلاً : حينما أعجز عن اطعام نفسى بنفسى ، ويتوقف هذا الذراع عن العمل ، حينئذ ألجأ إلى الهك !!

ولقد فات على هذا الشاب وأمثاله ، المعتقدين عقيدته ، أنه ليست حياة الانسان من أمواله (٢) . هذا ما جعل الشاب الغنى يمضى حزيناً ، رغم أنه أتى للمسيح مشتاقًا للحياة الأبدية ... حتى أن المسيح له المجد قال: « أنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات . وأقول لكم أيضاً أن مرور جمل من ثقب أبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » (٣) .

٣- تفضيل الناس الظلمة أكثر من النور : فهم يفضلون النجاسة عن الطهارة ، ويحبون الدنس ويبغضون العفة ، ويميلون إلى الانتقام عن المسامحة ، وإيذاء الآخرين عن خدمتهم ، والعنف عن الرحمة ، والتجبر عن الوداعة ، والتكبر عن التواضع ، والحقد عن المحبة ... وبالاختصار كما قال ربنا يسوع المسيح : « وهذه هى الدينونة ، أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة . لأن كل من يعمل السيأت يبغض النور ، ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله » (٤) .

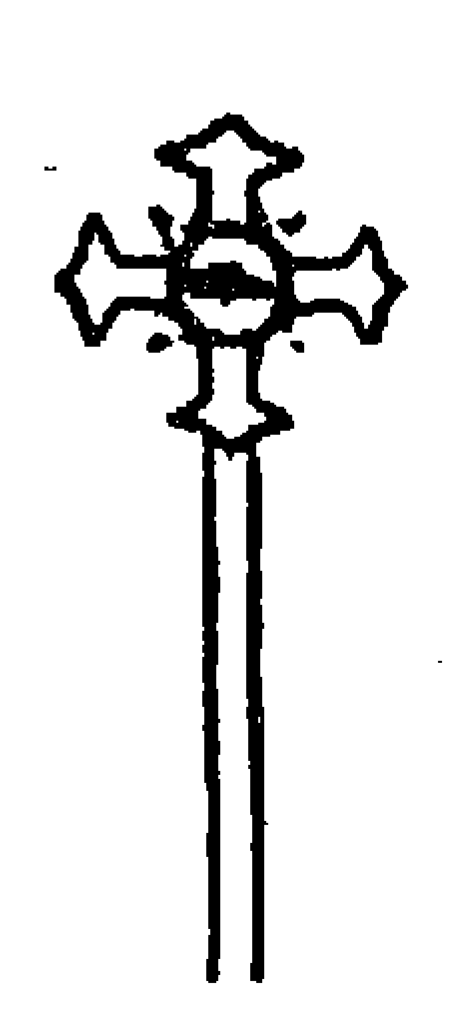
٤- عدم تصديق محبة الله لهم : كمثل بنى اسرائيل الذين لم يصدقوا موسى حين أرسله الله لهم ليحررهم من عبودية فرعون ، فكلم

---

(١) يو ١٥ : ٦ .
(٢) لو ١٢ : ١٥ .
(٣) متى ١٩ : ٢٢ .
(٤) يو ٣ : ١٩ .

موسى هكذا بنى اسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية ، (١) ، بل كادوا أن يرجموا موسى وهم على مشارف أرض الموعد ، مشتاقين للعودة إلى العبودية فى مصر (٢) ... هذا عمل ضلال الخطيئة ، فعندما يخطئ الانسان يشقى ويبتئس ، وهنا يقول له الشيطان ، أنظر أن الله لا يحبك لأنه يتركك فى هذا الشقاء ... ويتخوف الكثيرون من صرامة الله ناسيين لطفه . أما نحن فكما قال الرسول يوحنا فى رسالة : ، قد عرفنا وصدقنا المحبة التى لله فينا . الله محبة ، ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه ، (٣) .

ثم ماذا تكون نتيجة الانصراف عن الله : ، يسلك فى الظلمات ولا نور له ... فى الوجع تضطجعون ، (٤) .



---

(١) خر ٦ : ٩ . (٢) عدد ١٤ : ١٠ . (٣) ١يو ٤ : ١٦ .
(٤) اش ٥٠ : ١٠ .

٤٣- عندما نمتحن فى ايماننا

الست أنت هى القاطعة رهب ؟
الطاعنة التنين ؟ ألست أنت
هى المنشفة البحر ؟ مياه الغمر
العظيم ؟ (اش ٥١ : ٩ ، ١٠)
من أنتِ حتى تخافين من انسان يموت ؟
ومن ابن آدم الذى يُجعل كالعشب ؟
(اش ٥١ : ١٢)

إن التشجيع ببث الثقةِ فى النفس ، يزود الانسان بطاقات داخلية هائلة ويحفزه على اجتياز المصاعب الحاضرة بقوة وشجاعة . ومن أروع الاصحاحات المشجعة للنفس وهى تحت اختبارات الايمان ، هو هذا الاصحاح (الحادى والخمسون من سفر إشعياء) أنه يُظهر عظمة ذراع اللّه فى القديم والحديث التى تحمى أولادها ، وهم محاطون ببلوى حارقة (١) .

يحكى أنه أثناء حرب التحرير فى الهند ، احتجز الرعاع الارهابيون مئة من المبشرين المسيحيين البريطانيين كرهائن ... وبينما هم فى حالة من الرعب والفزع ، ترى أى مصير ينتظرهم؟ أحضر الارهابيون لفائف من الطعام لهم ليأكلوا ، وعثر أحدهم على ورقة من الانجيل مكتوب عليها هذا الاصحاح ضمن الورق الملفوف فيه الأطعمة ، فأعتبرها صوت اللّه لهم وهم فى هذه المحنة وقرأها على الآخرين فتعزوا وتحول رعبهم إلى صلوات شكر ، وخوفهم إلى تسبيح وترنم ، وهلعهم إلى طمأنينة وثقة باللّه ، وظلوا

(١) ابط ٤ : ١٢ .

يقرأونها ويتأملون فى كل كلمة فيها حتى تم الافراج عنهم سالمين وشعرة من رؤوسهم لم تهلك ...

❖ بعكس قصة أخرى قرأتها فى تاريخ الجبرتى عن أحد الوّلاة المسلمين ، جمع كل الموظفين المسيحيين الذين فى ديوان الحكومة فى حفرة كبيرة فى حى القلعة وأحاطهم بالجنود المسلمين وقال لهم : أنكم سوف لا تفصلون فقط من وظائفكم ، بل ستضربون وتهانون وتعذبون وأخيراً ستقتلون أما بالسيف ، أو حرقاً فى هذه الحفرة ، ومن أراد أن يفلت من هذا كله ويعود إلى وظيفته ، فليشهر اسلامه فوراً !!!

وهنا صاح كبيرهم : نحن مسلمون ... نحن مسلمون .

لأنه ما هذا الدين المسيحى الذى نتمسك به فيقطع أرزاقنا ويجيع أولادنا ، ويرمل نساءنا ؟

ما هذا الدين المسيحى ، الذى يعذبنا ويقتلنا ويحرق جثتنا !

فأعادهم الوالى إلى وظائفهم ، ولكن أحد خبثاء قصره قال للوالى لقد دخلوا الدين الاسلامى ليحموا أنفسهم ، ولكنهم فى باطنهم مسيحيون ، هم سالمون وليسوا مسلمين » .

فشد النكير عليهم ، وبث حولهم الجواسيس حتى صارت الحياة عندهم أشد هوناً من الموت ... وهكذا خسروا حياتهم الزمنية والأبدية معاً !

❖ كلمة (رهب) المذكورة فى التساؤل عاليه يقصد بها مصر . لأنه مكتوب فى سفر إشعياء نفسه ، فإن مصر تعين باطلاً وعبثاً ، لذلك دعوتها رهب الجلوس ، (١) . أما رهب الذى يرمز إلى مصر فالمقصود به حيوان

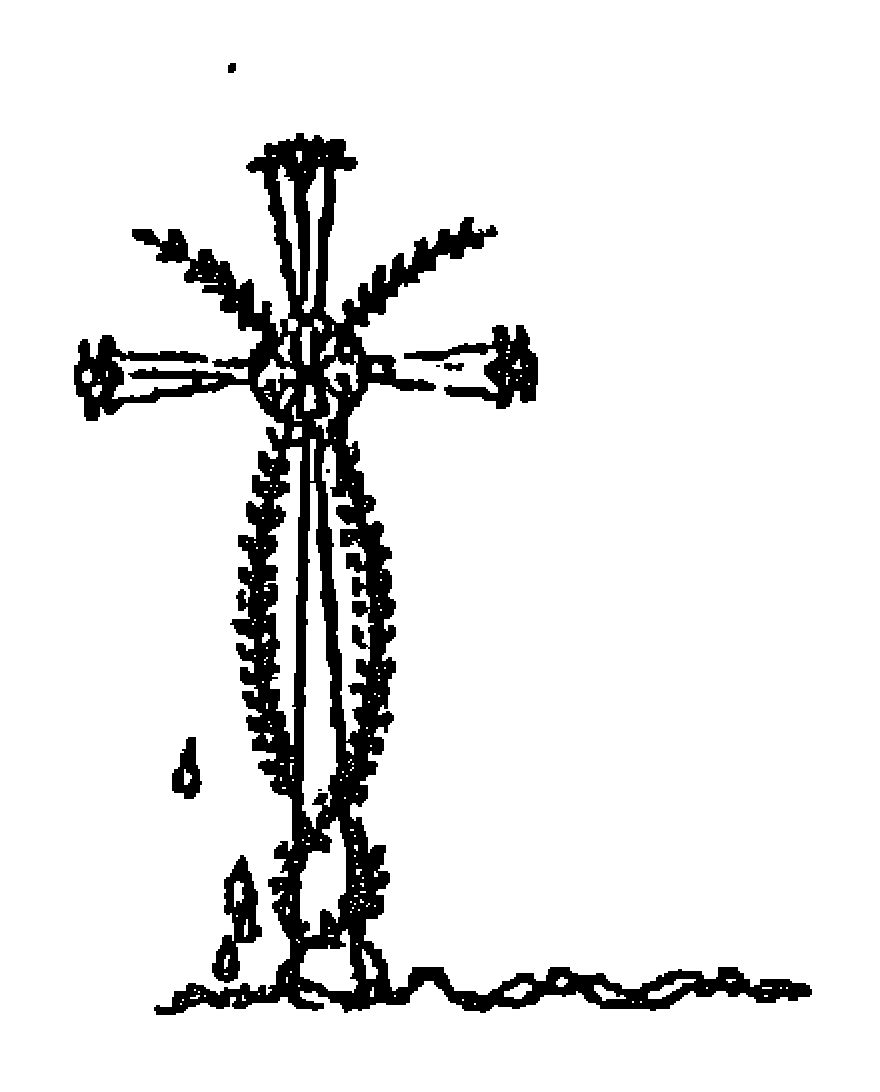
(١) اش ٣٠ : ٧ .

فرس البحر ، الذى يشتهر بالخمول والجلوس معظم الأوقات فى الشمس على الشاطئ بلا جدوى .

❖ « من أنت ؟ » أذكر مكانة نفسك عند الله ، فأنت الذى أعانك الرب منذ وجودك على الأرض ، وأنقذك من تجارب مرة وكثيرة ... هو يعود الآن ويحييك أيضاً ... لذلك لا تخاف من ضيقاتك الحاضرة .

أنت لك مكانة خاصة فى قلب الله ، لذلك تمسك به ، وسترى كيف تتمجد ذراع الله معك ، كما تمجدت فى كل الأزمنة والأوقات .

❖ قديسون كثيرون تُرسم أيقوناتهم وهم يطعنون تنيناً تحت أقدام فرسهم رمزاً للانتصار على قوى الشر المرعبة التى داهمتهم فى حياتهم حين تمسكوا بالمسيح فوق كل الاعتبارات الأخرى ...



٤٤- الـه كـل عـزاء

بمن أعـزيك ؟

(اش ٥١ : ١٩)

أكاد أرى دموع حنان الله فى عينيه ، وهو يقول هذا التساؤل عاليه ! وقد تحول من أب يفيض رقة واشفاقٍ على أبنائه إلى ديان عادل يعاقب بصرامة وحزم ... ولكنه سرعان ما يغلب من حنانه مرة أخرى ، مغدقًا كل مراحمة على ذلك المعاقب متسائلاً : بمن أعزيك ؟ أو كيف أعزيك .

❖ أن النفس المحبة لله ، فى الله وحده تجد عزاءها ، كما يقول ماراسحق ، فإن تحول مصدر العزاء الذى هو الله إلى مؤدب يجرح (١) ويجلد (٢) ويسحق (١) ، فمن أين تتعزى النفس بعد ؟

لذلك لا يترك الله النفس التى تحتمل التأديب بإيمان ورجاء ومحبة ويطمئنها على الفور قائلاً : « أنا أنا هو معزيكم » (٣) .

❖ هذه نقطة رعوية فى غاية الأهمية ، لو نجح الراعى فى افهامها لكل نفس فإنه يضمن أن لا تشرد غنمة واحدة من قطيعه ، أما أن فشل مصوراً الله لهم بأنه رحيم شفوق طيب وفقط ، فهذا قد يدعم الشر فيهم على حساب أن الله غفور متسامح ، أما أن صور الله على أنه غضوب ديان مؤدب صارم فقط ، فهذا قد ينفر القطيع من الهه ...

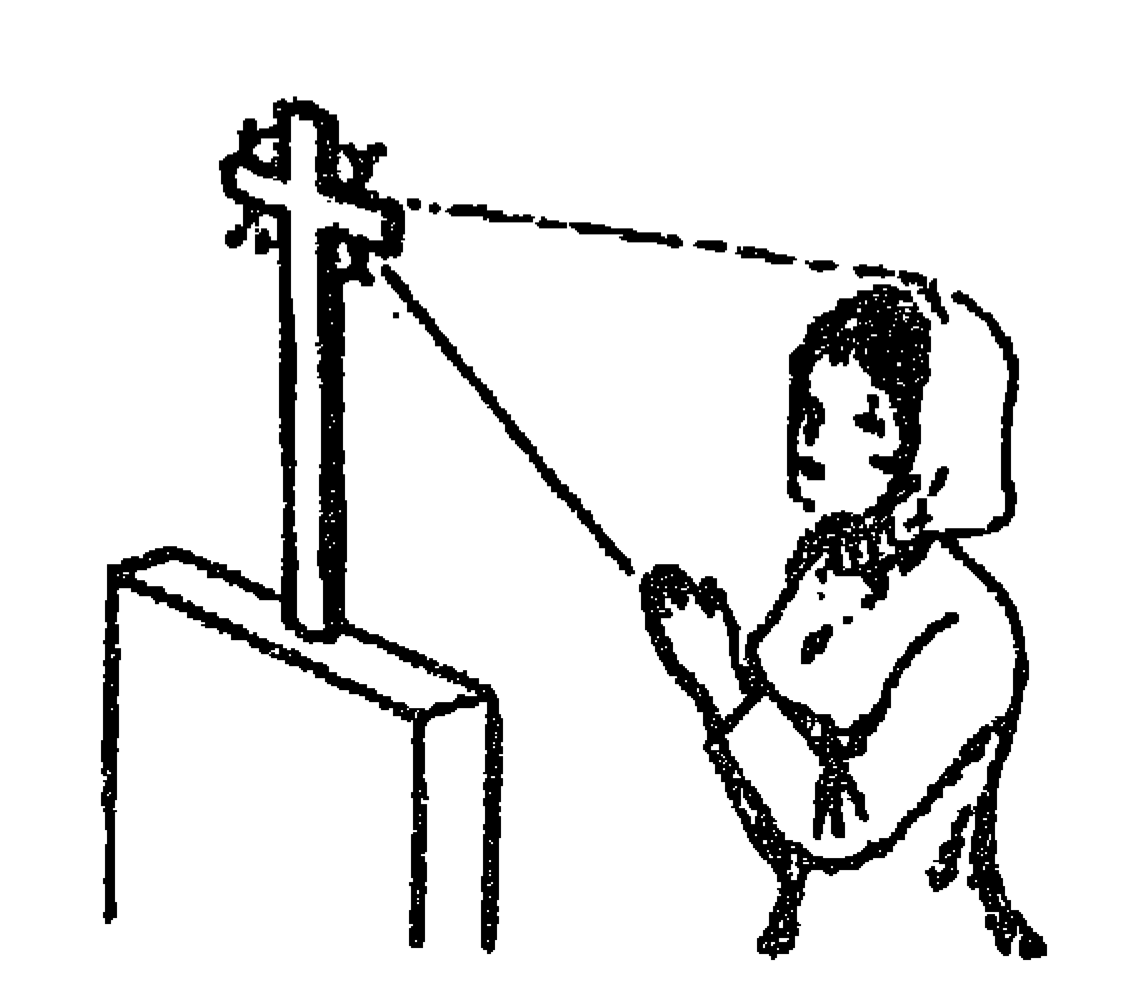
ينبغى أن نكون صرحاء جداً مع الرعية ونحن نشهد لهم بالرب يسوع فقد قال لنا أنه فى العالم سيكون لنا ضيق (٤) ... وقال أيضًا أنك تكون

(١) اى ٥ : ١٨ . (٢) عب ١٢ : ٦ . (٣) اش ٥١ : ١٢ .
(٤) يو ١٦ : ٢٣ .

مستعلياً على كل القبائل (١) ... قال أنه لطيف وقال أيضاً أنه صارم (٢) .

أما عن التعزية فالله هو مصدرها الوحيد ، فالله يُدعى بأنه أبو الرأفة واله كل تعزية (٣) . أنه هو اله الصبر والتعزية (٤) .

فالعصى التى يضربنا الله بها والعكاز الذى يسندنا الله به لئلا نسقط ، كلاهما كانا مصدر تعزية لداود ولكل المؤمنين إذ يقول « عصاك وعكازك هما يعزياننى » (٥) . « وربنا نفسه يسوع المسيح والله أبونا الذى أحبنا وأعطانا عزاءً أبدياً ورجاءً صالحاً بالنعمة ، يعزى قلوبكم ويثبتكم فى كل عمل صالح » (٦) .



(١) تث ٢٨ : ١ .
(٢) رو ١١ : ٢٢ .
(٣) ٢كو ١ : ٣ .
(٤) رو ١٥ : ٥ .
(٥) مز ٢٣ : ٤ .
(٦) ٢تس ٢ : ١٧ .

٤٥- أخلى ذاته

ماذا لى هنا ، يقول الرب ، حتى أخذ شعبى مجاناً ؟ (اش ٥٢ : ٥)

أعلم من هذا التساؤل يا قارئى العزيز مقدار الحب والمعزة التى فى قلب الله نحوك ... تأمل : إنه يقول ماذا لى هنا ؟ هل تعلم أين كان حين قال هذا ؟ ... لقد كان فى عرشه السمائى ... ألوف ألوف وقوف قدامه وربوات ربوات يقدمون له الخدمة (١) ، ولكنه من أجلنا نحن الذين كنا مسبيين من ابليس ، أخلى ذاته ، آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس ، وإذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ، (٢) ... لقد فاضل يسوع بين بقائه فى المجد السماوى الكائن فيه قبل انشاء العالم (٣) ، وبين اخلائه لذاته وتجسده وسط أرض الشوك والحسك واللعنة ... واختار الوضع الثانى ، لأنه أحبنا جداً ويشعر بانتمائه لنا ، حتى أنه يتضايق مع كل ضيقاتنا (٤) ، ويحس أنه مضطهد ، أن اضطهدنا أحد (٥) ! لقد استخلصنا ابليس لنفسه مجاناً ، ولم يدفع شيئاً ، ولم يتعب فى شئ ، بل أجلسنا فى ظلمات فكرية وغرر بنا بعيداً عن خالقنا العطوف كى نهلك فى النهاية معه ... ويالها من مأساة لم يحتملها المسيح ، لذلك فضل ترك البهاء السماوى وجاء ليستخلصنا من أسنان الأسد ومخالبه ... وقد غلب ونجح فى استعادتنا إليه ... فهل استفدت يا قارئى العزيز من هذا الفادى المخلص ، والمنقذ المنتصر ... أم أنك أحببت الظلمة أكثر من النور ؟

---

(١) اش ٦ : ٢ . (٢) فى ٢ : ٨ . (٣) يو ١٧ : ٢٤ .
(٤) اش ٦٣ : ٩ . (٥) أع ٩ : ٤ .

❖ كان يوجد ثلاث راهبات يخدمن فى الأحياء الفقيرة جداً ، وكن من أصل عريق وكانت خدمتهن ناجحة جداً وسط هؤلاء الفقراء ، حتى أن بعض الموسرين من جهات أخرى حين سمعوا بهن ، اشتروا ثلاجة لاهدائها لهن ... ولكنهن اعتذرن عن قبول الثلاجة قائلات عندما يملك كل واحد من هؤلاء الفقراء ثلاجة فى بيته ، نكون نحن آخر من يقتنى ثلاجة فى مسكننا .

لقد تعلمن من المسيح الذى أخلى ذاته صائراً فى شبه الناس ... فلينظر الآن الكهنة والأساقفة ورجال الدين فى هذا النموذج ، وعليهم أن يشابهوا أخوتهم فى كل شئ من معايشهم حتى لا يكونوا عثرة فظيعة للشعب .



٤٦- الشعبية والهدف

وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء ، وأنه ضرب من أجل ذنب شعبى ؟

(اش ٥٣ : ٨)

لقد اكتسب يسوع فى جيله شعبية كاسحة ، كانت الجموع باستمرار تبحث عنه ويجتمعون إليه ، (١) إذ كان الجمع كثيراً جداً ، (٢) و ، تبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه ، (٣) و ، للوقت أجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب ، (٤) . فقد ، كان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . ولما رأى الجموع تحنن عليهم ... ، (٥) ، الشعب كله كان متعلقاً به يسمع منه ، (٦) وفى النهاية أقر الفريسيون : ، هوذا العالم قد ذهب وراءه ، (٧) .

❖ إشعياء النبى فى هذا الاصحاح يصور الصدمة التى صدمت به تلك الجموع حين رأوا ذلك الكائن الالهى الذى حمل آلامهم ، يضعف ويتعذب ويصلب ... لأنه كيف يفهم الناس أن الذى أقام أمواتاً ... هو نفسه يموت ! والذى كان يجول يصنع خيراً ، تجتمع عليه كل قوات الشر بشراسة ! والذى أرادوا أن يأتوا ويخطفوه ويجعلوه ملكاً (٨) ، هو نفسه يضرب ويقطع من أرض الأحياء ! أنها عثرة الصليب (٩) التى عبر عنها تلمذى عمواس حين قالا ليسوع القائم من الأموات وهم لا يعرفونه : ، يسوع الناصرى الذى كان

---

(١) مر ١٠ : ١ . (٢) مر ٨ : ١ . (٣) مر ٥ : ٢٤ .
(٤) مر ٢ : ٢ . (٥) متى ٩ : ٣٥ . (٦) لو ١٩ : ٤٨ .
(٧) يو ١٢ : ١٩ . (٨) يو ٦ : ١٥ . (٩) ١كو ١ : ٢٣ .

انساناً نبياً مقتدراً فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب ، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه ، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدى اسرائيل ، (١) .

❖ شعبية يسوع والجماهير التى التفت حوله ، لم تؤثر فى أفكاره وتحرفه عن الهدف الذى جاء ليحققه ... وهنا عظمة شخصية المسيح ... لقد جاء ليفدى فعلاً ، ليس فداءً وقتياً من مستعمر ، ولكن فداءً أبدياً من الذنوب والخطايا أمام الله ... وليس فداءً لاسرائيل وحده بل هو الفادى الذى يرفع خطيئة العالم كله ، ولم يطلب فداء جيل واحد ، بل هو فداء كل الأجيال منذ آدم إلى نهاية الأزمنة .

❖ زعماء كثيرون لعبت الشعبية برؤوسهم ، فتحولوا إلى دكتاتوريين عتاة ... ونسوا أهداف خدمة الجماهير التى رفعتهم ، وراحوا يجمعون الفوائد المادية والمعنوية لأشخاصهم وذواتهم فقط ، لا يحتملون ظهور آخر تلتف حوله الجموع ... كمثل هيرودس الذى أقام مذبحة لأطفال بيت لحم ، لأنه سمع نبوة بأنه ولد هناك طفلاً سيكون ملكاً عوضاً عنه !

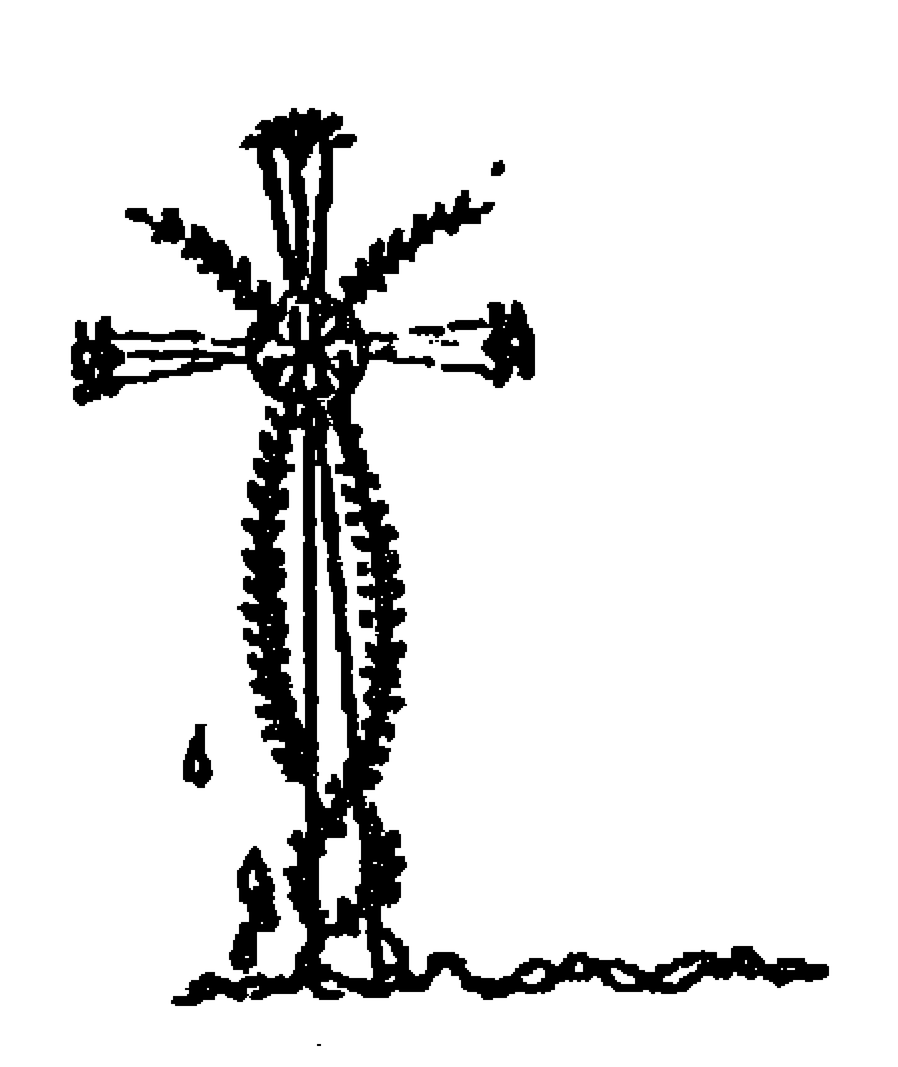
أما يسوع الذى أعتقد أن أحداً على الأرض لم يصل إلى مستوى شعبيته فبمجرد أن ألمح له تلميذه بطرس ، حاشاك يارب أن تصلب ، ميز على الفور فحيح الحية القديمة ممتزجة بهذا الصوت البرئ ، فانتهر بطرس على الفور قائلاً : ، إذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس ، (٢) ولقد هرب إلى الجبل من الجموع الذين أتوا وأرادوا أن يخطفوه ويجعلوه ملكاً (٣) ، فى حين أنه خرج على الفور إلى الجند الذين كان يقودهم يهوذا للقبض عليه (٤) ، وعرفهم بنفسه ثلاث مرات

---

(١) لو ٢٤ : ١٩ . (٢) متى ١٦ : ١٣ . (٣) يو ٦ : ١٤ . (٤) يو ١٨ : ٤ .

وأمر بطرس أن يرد سيفه إلى غمده ، لأن الصليب هو كأس الآب الذى لابد ليسوع أن يشربه (٥) ... ليفديني ويفدى العالم أجمع .

❖ تفكر يا قارئى العزيز كيف أن يسوع ، ذلك الكائن السماوى الرقيق يُضرب ... نعم هكذا ، يضرب ... ليس لأجل ذنب جناه هو ، بل لأجل ذنوب الشعب ، لأجل ذنوبى وذنوبك وذنوب البشرية جمعاء .



(١) يو ١٨ : ١١ .

٤٧- النعمة المجانية

لماذا تزنون فضة لغير خبز؟
وتعبكم لغير شبع؟ (اش ٥٥ : ٢)

ثلاث مرات يؤكد يسوع أنه هو الخبز الحقيقى الذى نزل من السماء :

– أنا هو الخبز الذى نزل من السماء (١) .

– أنا هو خبز الحياة (٢) .

– أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء (٣) .

ولقد تعود الانسان أن يدفع ثمن كل لقمة خبز يأكلها ، فقد كان حكم الله على آدم الخاطئ : « بعرق وجهك تأكل خبزاً » (٤) .

وأصبحت المشكلة الآن ، كيف سينال الانسان الخبز الحقيقى الحى النازل من السماء ، دون أن يدفع أى شئ فى المقابل ، لأن الانسان سيطرت عليه العقلية الخاطئة التى ورثها عن آدم العتيق ... أنه لا يريد أن يصدق بأن عليه فقط أن يأخذ المسيح بدون مقابل يفكر فى دفعه .

أنها عقلية الشاب الغنى (٥) الذى أتى إلى المسيح جاثياً قائلاً : ماذا أعمل لكى أرث الحياة الأبدية ، وكان مستعداً لدفع أى مبلغ من غناه لكى يرث به حياة أبدية ... ولكنه دهش لرد المسيح ، هذا المال نفسه الذى أردت أن تشترى به الحياة الأبدية سيعوقك عنها ، لذلك بع كل هذه الأموال التى لك، وتعال أتبعنى فقيراً ... فأنا هو الحياة الأبدية ، ولا أريد منك مليماً واحداً... مضى الشاب حزيناً لأنه كان يريد أن يدفع ثمن النعمة المجانية.

---

(١) يو ٦ : ٤١ . (٢) يو ٦ : ٤٨ . (٣) يو ٦ : ٥١ .

(٤) تك ٣ : ١٩ . (٥) لو ١٨ : ٢٨ .

وهى أيضاً عقلية الفريسى (١) الذى أراد أن ينال التبرير أمام الله بالثمن الذى دفعه من أعمال الصوم والصلاة والصدقة ، ولكن المسيح أعطى التبرير للعشار مجاناً فلم يكن لديه أعمالاً يتفضل بها على الله العاطى .

❖ عندما يصر الانسان أن يدفع ثمناً ما ، ويزن فضة ، سيكتشف فى النهاية أنه قد دفع لأمور غير الخبز الحقيقى ، وتعب لغير شبع فالمتصوفون وأتباع اليوجا قد يصلون إلى درجات روحية ، ولكنها ليست التبرير أمام الله، والحياة الأبدية فى ربنا يسوع المسيح ...

ويحكى الرسول بولس خبرته فى هذا الأمر :

فغيرته وهو المتدين اليهودى ، دفعه إلى اضطهاد كنيسة الله (٢) ، ورغم تدقيقه فى نواميس آبائه قال : « كنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً » (٣) . ووصل إلى : « ما كان لى ربحاً (فى كونه نسل ابراهيم ، ولا كونه مختتن ، ولا كونه بلا لوم فى الناموس ، ولا كونه فريسى متحمس) فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة ... وليس لى برى الذى من الناموس بل الذى بايمان المسيح البر الذى من الله بالايمان » (٤) .

لذلك أكد على تعليم النعمة المجانية « فإن كان بالنعمة ، فليس بعد بالأعمال ، وإلا فليست النعمة بعد نعمة » (٥) لأن معنى كلمة نعمة أى الشئ الذى يعطى انعاماً بدون مقابل . وأيضاً قال صراحة : « متبررين مجاناً بنعمته ، بالفداء الذى بيسوع المسيح » (٦) وأيضاً « قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس . سقطتم من النعمة » (٧) .

---

(١) لو ١٨ : ١٤ . (٢) غل ١ : ١٤ . (٣) أف ٢ : ٣ .
(٤) فى ٣ : ٧ ، ٩ . (٥) رو ١١ : ٦ . (٦) رو ٣ : ٢٤ .
(٧) غل ٥ : ٤ .

❖ قد تقول لى ، أن كان المسيح يريد أن يعطينا نعمته مجاناً ، حسناً ، فليعطها لنا . ماذا يمنعه ، ولماذا البعض لا يستفيدون من هذه النعمة المجانية ؟ وردى على هذا مذكور فى نفس آية التساؤل إذ يبدأها الوحى بالقول : « أيها العطاش جميعاً » (١) فشرط الحصول على النعمة هو العطش إليها . فهل أنت تشعر بالعطش إلى عمل النعمة فيك أم أنك لا تبالى .

العشار كان لديه عطش حارق إلى غفران الله لذلك : « وقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء ، بل قرع على صدره قائلاً اللهم أرحمنى أنا الخاطئ » وعلى الفور نزل إلى بيته مبرراً ... لأنه « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » (٢) .

قد نحس بالجوع والعطش لأشياء أخرى ، وليس لبر المسيح والسبب الثانى هو أننا نظن أن نقتنى مواهب الله بدراهم كمثل سيمون الساحر ذاك الذى انتهره بطرس الرسول قائلاً : « لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم ... أنى أراك فى مرارة المر ورباط الظلم .

❋ ❋ ❋

---

(١) اش ٥٥ : ١ .　　　(٢) متى ٥ : ٦ .

٤٨- طمأنينة كاذبة

بمن تسخرون ؟ وعلى من تفغرون
الفم ، وتدلعون اللسان ؟ أما أنتم
أولاد المعصية نسل الكذب ؟
(اش ٥٧ : ٤ ، ٥)

كان الاعتقاد السائد عند بنى اسرائيل أن « الكلب الحى خير من الأسد الميت » (١) . فمنذ أيام موسى حكم الله على الأشرار هكذا : « فجثثكم أنتم تسقط فى هذا القفر ، وبنوكم يكونون رعاة فى القفر أربعين سنة حتى تفنى جثثكم فى القفر » (٢) فالذى يمقته الله يميته ، أما الأحياء فهم صفوة الأبرار ! وربما وثق بنو اسرائيل فى برهم ، لأنهم مازالوا يعيشون فى أورشليم رغم الزلزلة (٣) ، وسبى السامرة (٤) .

وهنا يعدل إشعياء النبى أفكارهم قائلاً : « باد الصديق ... ورجال الاحسان يضمون وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يضم الصديق » (٥) فالوضع هنا مختلف ، فإنه كما أخرج الرب لوط وأسرته من سدوم وعمورة قبل أن يخسف بهما ، هكذا يضم الرب الأبرار إليه قبل أن تحل مصيبة السبى التى ستحل على أورشليم ... أما هم فقد ظنوا العكس ، ظنوا أن المنتقلين أشرار وهم الأبرار رغم أن الرب يصفهم بصفات صعبة لا تجعلهم يفتخرون البتة فهم :

١- أولاد أم ساحرة .

٢- نسل فاسق وزانية .

---

(١) جا ٩ : ٤ .　(٢) عدد ١٤ : ٣٢ .　(٣) عا ١ : ١ .
(٤) ٢أى ٢٨ : ٥ .　(٥) اش ٥٧ : ١ .

٣- أولاد المعصية .

٤- نسل الكذب .

٥- وجدانهم متقد لعبادة الأصنام .

❖ هذا الموقف ينقلنا إلى الجلجثة ، فقد ظن رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب أنهم أبر بكثير من المسيح المصلوب حيث يقول الناموس ، المعلق (على خشبة) ملعون من الله ، (١) لذلك كانوا يسخرون من يسوع المصلوب (٢) ، وينغضون الرأس نحوه (٣) ويعيرونه ويجدفون عليه (٤) بشماتة (٥) ويهزأون به (٦) .

وهنا يسألهم الله بفم إشعياء النبى : بمن تسخرون ؟ وعلى من تفغرون الفم ، وتدلعون اللسان ؟ ، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد ، (٧) .

❖ هذا هو أخطر تضليل يضلل به الشيطان الناس ، حين يقارن الأشرار أنفسهم بالصديقيين ، فيرون أن أحزان الصديقيين كثيرة وينسون أن من جميعها ينجيهم الرب (٨) ، ويرون فى نفس الوقت سلامة الأشرار (٩) وعتوهم وينسون أنه فى مزالق جعلت أقدامهم ، وأنهم يسقطون إلى البوار فجأة !

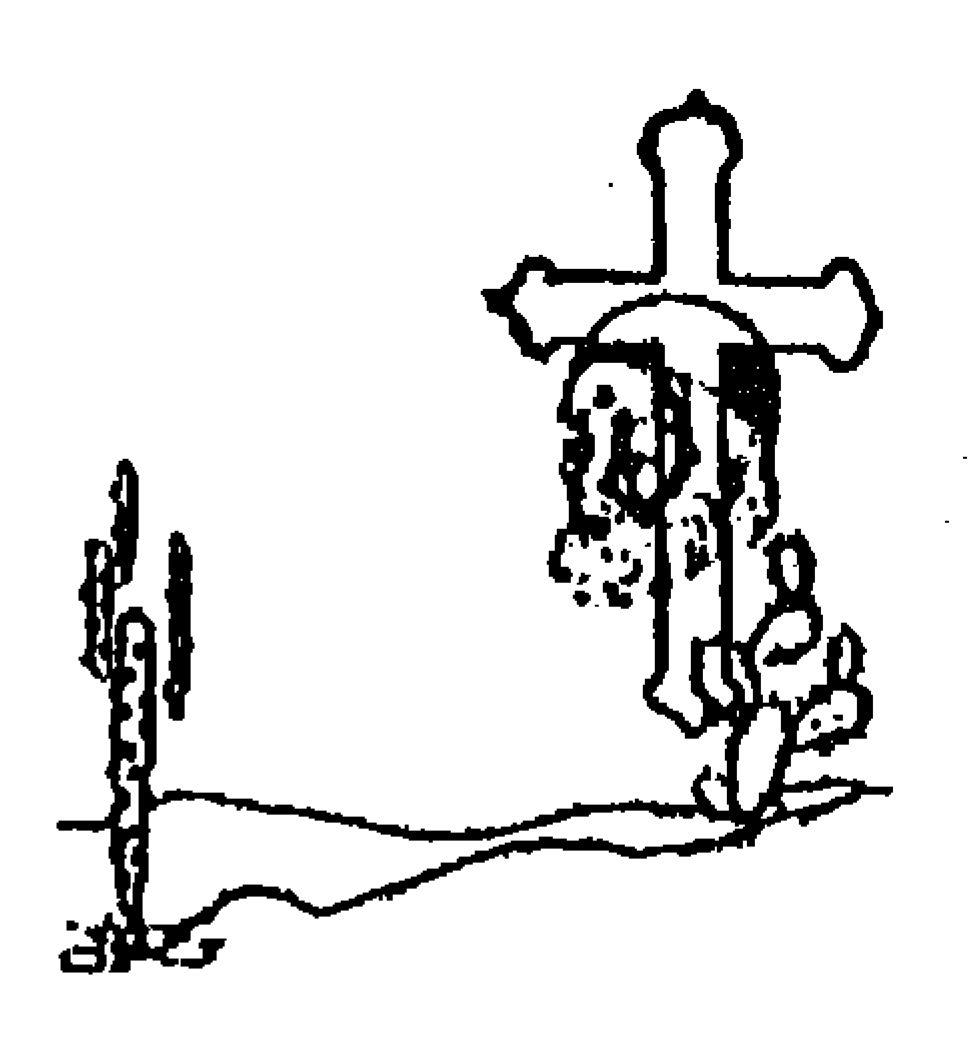
هذا الأمر يجعل الأشرار يطمئنون طمأنينة كاذبة ، متمادين فى شرهم بلا وجل حتى تحين ساعة هلاكهم .

وهذا الأمر نفسه يمتحن ايمان الصدقيين ، ترى هل سيستمرون متمسكين بكمالهم ، أم نزل أقدامهم ساقطين .

---

(١) تث ٢١ : ٢٣ . (٢) لو ٢٣ : ٣٥ . (٣) مز ٢٢ : ٧ .
(٤) مر ١٥ : ٢٩ . (٥) متى ٢٧ : ٤١ . (٦) مز ١٠٩ : ٢٥ .
(٧) ١كو ٢ : ٨ . (٨) مت ٥ : ٤ . (٩) مز ٧٣ : ٣ .

« لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا ، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ، ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الايمان ومكمله يسوع ، الذى من أجل السرور الموضوع أمامه ، أحتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله » (١) .



(١) عب ١٢ : ١ ، ٢ .

٤٩- هلا عزينا قلب الله !

أعن هذا أتعزى ؟

(اش ٥٧ : ٦)

وممن خشيت وخفت حتى خنت

واياى لم تذكرى ؟ (اش ٥٧ : ١١)

التعزية تدخل قلب الانسان حين يرى نتيجة ناجحة لكده وتعبه ، أو حين يحصل على تعويض مناسب عن خسارة أصابته ، أو يجد سنداً ومعونة فى ضيقة ألمت به ... فالثمار الكثيرة فى الحقل تعزى قلب الفلاح الذى جاهد فى زراعة أرضه ، والمكاسب الوفيرة تعزى قلب التاجر الذى تعب فى تجارته والنتيجة النهائية الناجحة بتفوق تعزى قلب التلميذ الذى ثابر فى المذاكرة ...

هكذا كان نوح السابع من آدم سبب تعزية فى الأرض التى لعنها الرب (١) ، لأنه كان رجلاً باراً كاملاً فى أجياله ، وسار نوح مع الله (٢) .

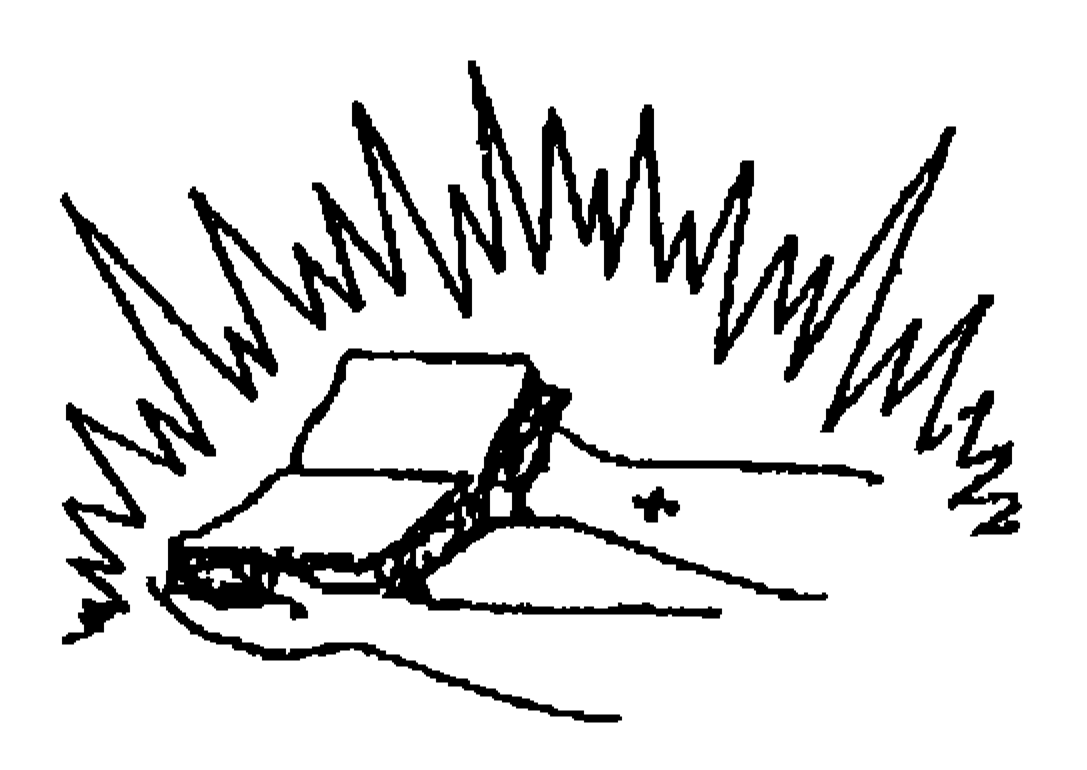
وأيضاً عندما ماتت سارة أم اسحق حزن اسحق على أمه ، ولكنه بعد أن تزوج رفقة مكتوب : « فتعزى اسحق بعد موت أمه » (٣) .

❖ الغريب أن الله يصور لنا نفس هذه المشاعر الانسانية عنده ... فبعد أن تعب فى خلق الانسان ، كى يبحث الانسان عن خالقه ويأنس به وجده منصرفاً إلى عبادة آلهة أخرى لم تخلقه ولم تتعب فيه مثله ! قلب الانسان قد اضطرم وتأجج لعبادة الأصنام كنار سارية فى كل شرايينه ! لقد خان الانسان الله ، ولم يعد يذكره ... كانوا على استعداد أن يقتلوا أطفالهم

---

(١) تك ٥ : ٢٩ . (٢) تك ٦ : ٩ . (٣) تك ٢٤ : ٦٧ .

ويقدمونهم قرباناً لأصنام من حجارة ، ويسكبون السكائب ويذبحون الذبائح (١) لما ليسوا ألهة ... هنا الله ينظر بحسرة نحوهم ويقول : أعن هذا أتعزى ؟ الله يا أخوتى متضايق من هلاك خليقته ، فهلا عزينا قلبه برجوعنا إليه فهو القائل : « أنى لا أسر بموت من يموت يقول السيد الربّ ، فأرجعوا وأحيوا » (٢) توبتنا عن خطايانا تعزى قلب الله « توبوا وأرجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الاثم مهلكة » (٣) .



(١) أر ٤٤ : ١٦ ، ١٧ .   (٢) حز ١٨ : ٣٢ .   (٣) حز ١٨ : ٣٠ .

٥٠- تداريب مشروطة

أمثل هذا يكون صوم أختاره ؟ أليس
هذا صوماً أختاره - حل قيود الشر ،
فك عقد النير ؟ ... أليس أن تكسر
للجائع خبزك ؟ (اش ٥٨ : ٥ - ٧)

الصوم صومان ، هناك صوم جسدانى ، وصوم روحانى . الصوم الجسدانى لا يختلف عن الاضراب عن الطعام بكل ما يصاحبه من مشاعر الاحتجاج والغيظ « أنكم تصومون لتضربوا بعضكم بلكمة الشر » (١) أنه صوم الأعصاب المشدودة حيث يميل الانسان إلى النزاع والخصومة مع الآخرين ، ويريد أن يقول لكل أحد : أننى صائم ... هذا صوم لا شأن لله به ...

أما الصوم الروحانى ، فهو الذى يقدم كعبادة خالصة لله ، يقول فيها الانسان عملياً إلى الله : أنا يارب أعيش بك وليس بطعام الأرض « فليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (٢) . فيكف الانسان لفترات عن أطعمة الأرض ، ليختبر كيف أنه حى بكلمة الله الخالق .

أنه ليس بحاجة أن يعرف الآخرين أنه صائم أو كيف يصوم ، لأن الصوم اختبار شخصى جداً بين الانسان والله ... عن هذا أوصى يسوع : « ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائيين . فإنهم يُغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم . وأما أنت

---

(١) اش ٥٨ : ٤ .   (٢) تث ٨ : ٣ .

فمتى صمت فادهن رأسك وأغسل وجهك لكى لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى فى الخفاء. فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (١).

❖ أن الصوم هو أحد الوسائل الفعالة التى تُقرب الانسان إلى الله مع الصلاة والقراءة فى الأسفار المقدسة ، والنذور ، والاشتراك فى بناء دور العبادة والتسبيح ، وطلب مشورة الله باستمرار ... ولكن فليحرص الانسان كل الحرص على الروح الذى يؤدى بها هذه الممارسات الروحية الفعالة ، لئلا تصبح باطلة وبلا نفع !

ونكرر هنا ما ذكرناه سابقاً ...

فمن الصوم غير المقبول مكتوب فى نفس الاصحاح : « لماذا صمنا ولم تنظر ، ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ » (٢) كمثل الصوم الذى نادى به شيوخ وأشراف مدينة يزراعيل أيام آخاب الملك حتى يرجموا نابوت بعد ادعاء شهود زور عليه أنه جدف على الله ، وكانت هذه حيلة من ايزابل الملكة الشريرة كي ترث كرم نابوت (٣) .

- وعن **الصلاة غير المقبولة** « ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع . بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع » (٤) « فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم ، وأن كثرتم الصلاة لا أسمع » (٥) .

- وعن **المواسم الاحتفالية** ، « رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسى، صارت علىّ ثقلاً. مللت حملها » (٦) «بغضت كرهت أعيادكم» (٧).

---

(١) متى ٦ : ١٦ . (٢) اش ٥٨ : ٣ . (٣) ١مل ٢١ : ١٢ .
(٤) اش ٥٩ : ٢ . (٥) اش ١ : ١٥ . (٦) اش ١ : ١٤ .
(٧) عا ٥ : ٢١ .

– وعن **القداسات** « لماذا لى كثرة ذبائحكم ... حينما تأتون لتظهروا أمامى لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة . البخور هو مكرهة لى . رأس الشهر والسبت ونداء المحفل ، لست أطيق الاثم والاعتكاف » (١) .

– وعن **بناء الكنائس** « السموات كرسى والأرض موطئ قدمىّ . أين البيت الذى تبنون لى وأين مكان راحتى » (٢) و « أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً ... ثم تأتون وتقفون أمامى فى هذا البيت الذى دعى باسمى عليه ... هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص » (٣) .

– وعن **التسبيح** « أبعد عنى ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع » (٤) « الهاذرون مع صوت الرباب المخترعين لأنفسهم آلات الغناء كداود » (٥) و « أحول أعيادكم نوحاً ، وجميع أغانيك مراثى » (٦) .

– بل وحتى عن **قراءة الانجيل** « لأنه أن كان أحد سامعًا للكلمة وليس عاملاً فذاك يشبه رجلاً ، ناظراً وجه خلقته فى مرآة ، فإنه نظر ذاته ومضى وللوقت نسى ما هو » (٧) .

– وعن **السؤال عن مشيئة الرب** « هل أنتم آتون لتسألونى . حى أنا لا أُسأل منكم يقول السيد الرب » (٨) .

علينا اذن أن نقترب إلى الله ، بالشروط التى يضعها الله وإلا لا نتوقع فائدة .

---

(١) اش ١ : ١١ ، عا ٥ : ٢٢ . (٢) اش ٦٦ : ١ . (٣) أر ٧ : ١١ .

(٤) عا ٥ : ٢٣ . (٥) عا ٦ : ٥ . (٦) عا ٨ : ١٠ .

(٧) يع ١ : ٢٣ . (٨) حز ٢٠ : ٣ .

٥١- سحاب وحمام

من هؤلاء الطائرون كسحاب
وكالحمام إلى بيوتها ؟
(اش ٦٠: ٨)

الله جل جلاله يُحدثهم عن عودتهم من السبى فى مستقبل زمنى محدد، رمزاً لعودة كل البشر من سبى الخطيئة فى مستقبل الأبدية ...

ويشبههم بالسحاب الطائر ، والحمام العائد إلى أبراجه ... ولهذه التشابيه معان معزية للغاية :

فالسحاب هو علامة الحضرة الالهية ... والحمام هو رمز لروح الله القدوس .

- السحاب وضع الرب فيه قوس الرضى ليراه فلا يعود يهلك بنى البشر « فمتى كانت القوس فى السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض » (١) .

- وعمود السحاب كان هو الهداية الالهية عن الطرق التى سلكوها فى البرية « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق » (٢) .

- ومن خلال السحاب تكلم الله مع موسى وكل الشعب عن وصاياه وشرائعه « وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام وفى اليوم السابع دعى موسى من وسط السحاب » (٣) .

---

(١) تك ٩ : ١٦ . (٢) خر ١٣ : ٢١ . (٣) خر ٢٤ : ١٦ .

- والسحاب هو علامة حضور الله فى خيمة الاجتماع (١) ، وهيكل أورشليم (٢) .

- ولقد فُهم من رؤى العهد القديم والعهد الجديد ، أن السحاب هو المركبة الالهية « الجاعل السحاب مركبته » (٣) و « هوذا الرب راكب على سحابة وقادم إلى مصر » (٤) .

- وقد أعلن الرب مسرته بابنه يسوع المسيح أثناء العماد فى نهر الأردن (٥) وأثناء التجلى (٦) ، فى صوت من سحابة ظللت على كل الموجدين آنذاك ... كما أن السحابة هى التى أخذت المسيح له المجد عن تلاميذه أثناء صعوده (٧) . ومازال هناك فى المنظر كما رآه يوحنا : « ثم نظرت وإذا سحابة بيضاء ، وعلى السحابة جالس شبه ابن الانسان له على رأسه اكليل من ذهب » (٨) .

- أيضاً عودة الرب يسوع فى مجده فى مجيئه الثانى ، سيستعلن مع السحاب « هوذا يأتى مع السحاب » (٩) و « يبصرون ابن الانسان آتيًا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير » (١٠) . حتى أن المؤمنين سيخطفون هم أيضاً على السحاب « ثم نحن الأحياء الباقين ، سنخطف جميعاً معهم فى السُحب لملاقاة الرب فى الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب » (١١) .

❖ وهكذا نرى أن السحاب هو علامة رضى الله على البشر ، رضى أبدى لا تعكره أى خطيئة فيما بعد ...

---

(١) خر ٤٠ : ٣٤ . (٢) ١مل ٨ : ١٠ . (٣) مز ١٠٤ : ٣ .
(٤) اش ١٩ : ١ . (٥) لو ٩ : ٣٥ . (٦) مت ٧ : ٥ .
(٧) أع ١ : ٩ . (٨) رؤ ١٤ : ١٤ . (٩) رؤ ١ : ٧ .
(١٠) متى ٢٤ : ٣٠ . (١١) ١تس ٤ : ١٧ .

أما عن التشبيه بالحمام ، فهذا يعني العودة بالانسان إلى حالة النقاوة الأولى ، بعد أن يكون قد تطهر من كل الخطايا ومفاعيها المميتة ... فمنذ الخليقة الأولى حين نرى روح الله يرف (كالحمامة) على وجه المياه (١) وحتى معمودية المسيح حين ظهر الروح القدس بهيئة جسمية على شكل حمامة (٢) ، ليخلقنا خلقة جديدة في المسيح ، وحتى المجئ الثاني ، يعمل الروح القدس في البشرية ليحدث هذا التطهير السرى العجيب في الجنس البشرى من خلال كنيسة المسيح .

الروح القدس الذى نزل على المسيح في المعمودية ، لم يكن لتطهير المسيح نفسه لأن المسيح هو النقى نقاءً مطلقًا ... ولكن من أجل الكنيسة التى سيعمدها المسيح بالروح القدس والنار كما أعلن يوحنا المعمدان ، وشهد يوحنا قائلاً ، أني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه. وأنا لم أكن أعرفه . لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله ، (٣) .

❖ السحاب يظهر أكثر بالنهار ، رمزاً لعناية الله طوال نهار حياتنا على الأرض أما الحمام لا يعود إلى بيته إلا في الغروب والمساء ، رمزاً لنهاية حياتنا على الأرض ، حيث يكون جميع المخلصين ممتلئين من روح الله القدوس إلى الملء ، وعلى هذه الصورة يمضون إلى بيتهم الأبدى في السماء ...

المجد لك يارب ..

---

(١) تك ١ : ٢ . (٢) متى ٣ : ١٦ . (٣) يو ١ : ٣٢ ، ٣٣ .

٥٢- ثوب مغموس بدم

ما بال لباسك محمر ؟

وثيابك كدائس المعصرة ؟

(اش ٦٣ : ٢)

كانت آدوم هى أعتى أعداء اسرائيل ، حتى أن داود شكاهم فى مزموره إلى الله قائلاً : « أذكر يارب بنى آدوم يوم أورشليم ، القائلين هدوا هدوا حتى أساسها » (١) وقد دعاها مخرية ، وطوّب كل من يحطم أطفال آدوم بضربهم فى الصخرة !!! لذلك فهو يبدأ هذا الاصحاح (اش ٦٣) بالآية : « من ذا الآتى من آدوم بثياب حمر (٢) ... ولسنا هنا بصدد علاقات دول فى الشرق الأوسط ، لأن الاصحاح السابق يختتم : « هوذا الرب قد أخبر إلى أقصى الأرض . قولوا لابنة صهيون هوذا مخلصك آت » (٣) فالحديث هنا عن ذاك المنتصر على ألد أعداء البشر ألا وهو الشيطان أنه « بهى بملابسه المتعظم بكثرة قوته » (٢) أنه يسوع الغالب الداخل إلى السماء منتصراً ، فكم يكن مكدوداً من معركة حامية ، يذكرنى بمنظر داود حينما كان صبيًا وانتصر على جليات الجبار رافعاً رأسه التى فصلها عن جسمه بالسيف وهى تقطر دماً على ثيابه ...

❖ ونتقابل مع ثياب المسيح منذ سفر التكوين حين يبارك يعقوب يهوذا ابنه واعداً بمجئ المسيح من نسله واصفًا اياه ، « غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه » (٤) ... وحتى سفر الرؤيا حيث نقرأ « وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله ... وله على ثوبه وعلى فخذه اسم

---

(١) مز ١٣٧ : ٧ . (٢) اش ٦٣ : ١ . (٣) اش ٦٢ : ١١ .

(٤) تك ٤٩ : ١١ .

مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب » (١) ... مروراً بنبوة المزامير « يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون » (٢) تلك النبوة التى تحققت عند صلب المسيح حيث مكتوب : « ثم أن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع ، أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكرى قسماً » (٣) ... فثوب يسوع المغموس فى دم الخلاص قد توزع فى جهات الأرض الأربعة للتبشير بالخلاص الأبدى من عبودية الشيطان ، وهذا ما حرص البشير يوحنا أن يوضحه بالتفصيل فى بشارته .

وكما ترك ايليا ثوبه إلى تلميذه اليشع وهو صاعد فى المركبة النارية ، فحل عليه من روح الرب ضعفين (٤) ، هكذا المسيح كسانا بثوب بره وخلاصه « فرحاً أفرح بالرب . تبتهج نفسى بالهى . لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص . كسانى رداء البر » (٥) ... ولعل هذا يفسر لماذا طرد الرجل من عرس ابن الملك لأنه لم يكن عليه ثياب العرس (٦) .

❖ نلاحظ أن رد يسوع على هذا التساؤل : « قد دست المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد ... لأن يوم النقمة فى قلبى ، وسنة مفديى قد أتت » خلاص البشرية قام به الرب يسوع وحده ، لم يقم به معه ، لا ملاك ، ولا رئيس ملائكة ، ولا رئيس آباء ، ولا نبياً ... ولا حتى أحد تلاميذه فكلهم هربوا ساعة القبض عليه (٧) ، وبولس الرسول يوبخ أهل كورنثوس قائلاً : « ألعل بولس صلب لأجلكم . أم باسم بولس أعتمدتم ! » (٨) « فليس بأحد غيره الخلاص » (٩) يسوع المسيح وحده هو الذى « جرد

---

(١) رو ١٩ : ١٣ ، ١٦ .　(٢) مز ٢٢ : ١٨ .　(٣) يو ١٩ : ٢٣ .
(٤) ٢مل ٢ : ١٣ .　(٥) اش ٦١ : ١٠ .　(٦) متى ٢٢ : ١٢ .
(٧) مر ١٤ : ٥٠ .　(٨) ١كو ١ : ١٣ .　(٩) أع ٤ : ١٢ .

الرياسات والسلاطين ، أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (١) (الصليب) ، لذلك فى مستهل رده على التساؤل :

« أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص » (٢) .



(١) كو ٢ : ١٥ .　　(٢) اش ٦٣ : ١ .

٥٣- الله يسأل . اين انت ؟

اين الذى أصعدهم من البحر مع راعى غنمه ؟ أين الذى جعل فى وسطهم روح قدسه ؟ (اش ٦٣ : ١١)

عندما يتأمل الانسان حياته يجد أنه كائن وموجود وعائش ومستمر فى الحياة ، فقط بمراحم الله عليه ... ولولا مراحم الرب لا يستطيع انسان أن يستمر فى الحياة .

الله هو الذى خلقه ، وكونه هذا التكوين المبدع ، وهو الذى خلق البيئة من أرض وماء وهواء وأشجار ونباتات وحيوانات وشمس وقمر ، لخدمة الانسان ثم ميز الانسان بالذات دوناً عن كل الخلائق بامكانية التعرف على خالقه ، اذ هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شئ . وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض ... **لكى يطلبوا الله** لعلهم يتلمسونه فيجدوه . مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً ، (١) .

❖ ولقد تلقى اسرائيل عناية أوفر من الله فى القديم ، فأختار الآباء وأعطاهم مواثيق وعهود ، ثم أرسل لهم موسى الذى حررهم من عبودية فرعون وشق البحر الأحمر كى يعبروا ، وأراحهم فى البرية معتنياً بجميع نواحى معيشتهم من أكل وشرب وحماية ، كما وصف إشعياء النبى ، كبهائم تنزل إلى وطاء روح الرب أراحهم ، هكذا قدت شعبك ، لتصنع لنفسك اسم مجد ، (٢) وأيضاً حجى النبى قال ، حسب الكلام الذى عاهدتكم به عند خروجكم من مصر وروحى قائم فى وسطكم ، (٣) .

---

(١) أع ١٧ : ٢٧ . (٢) اش ٦٣ : ١٤ . (٣) حج ٢ : ٥ .

ولكن بدلاً من أن يتمجد اسم الله بواسطتهم ، ويُستعلن الله لجميع الشعوب عن طريقهم ، سرعان ما صوروا عجلاً مسبوكًا من ذهب ، وصاروا يرقصون ويغنون حوله قائلين : هذه ألهتك يا اسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر » (١) .

ورغم أن موسى « أخذ العجل الذى صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وسقى بنى اسرائيل » (٢) إلا أن الشيطان أبدل العجل فى أذهان اسرائيل بألهة زائفة أخرى ، ناسبين اليها فضل الخلق والعناية وكل شئ ... عن هذا يسأل الله فى كل الأجيال : ترى أين الذى جعلت فى وسطهم روح قدسى ؟

❋ ❋ ❋

(١) خر ٣٢ : ٨ . (٢) خر ٣٢ : ٢٠ .

٥٤- هيكل الحجر . وهيكل البشر

أيـن البيـت الـذى تبنـون لـى ؟
وأين مكان راحتى ؟ (اش ٦٦ : ١)

لا شك إن وجود مبنى كنيسة وسط مساكن المؤمنين هو بركة كبيرة حيث يتجمعون فى محبة لعبادة مشتركة لله ، وحيث تتلى عليهم كلمات الانجيل وتفاسيرها ، وتمارس الأفخارستيا والمعمودية وكل الأسرار بكل مفاعيلها المحيية ... الخ ، ولقد أمتدح الرب داود الملك لأنه وضع فى قلبه أن يبنى بيتًا للرب واعداً أنه فى نظير ذلك سيبنى الله بيت داود ليكون أمامه إلى الأبد (١) .

❖ ولكن كما رأينا أن الصوم قد يكون واجهة مقبولة لتدين زائف يمارسه الفقراء والذين ليس لهم بدلاً من شركة حقيقية مع الله ، هكذا قد يكون بناء الكنائس واجهة مقبولة لتدين زائف يقنع الأغنياء به أنفسهم أنهم متقربون إلى الله والحقيقية غير ذلك ... ويرد الوحى على أولئك بأمرين :

أولاً : أن السموات هى كرسى (الله) والأرض موطئ قدميه – أى أن الله هو مالك السموات والأرض ، فكل قطعة أرض ستخصص لبناء هيكل هى فى الأصل من أملاك الله ، فالبشر ليس لهم فضل فى هذا ، بل الله هو الذى سيتفضل بتخصيص مكان يلتقى فيه البشر معه .

ثانياً : « إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامى » (٢) . أى أننى لا ألتقى إلا لمن له شعور بأنه محتاج إلىَّ ، وليس لمن لديه شعور بأنه متفضل علىَّ .

---

(١) ٢صم ٧ .　　　(٢) اش ٦٦ : ٢ .

❖ وفى العهد الجديد ، وقف يسوع وقفة حازمة جداً إذ « وجد فى الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً . فصنع سوطاً من حبال وطرد الجميع من الهيكل . الغنم والبقر ، وكب دراهم الصيارف وقلب موائدهم وقال لباعة الحمام أرفعوا هذه من ههنا **لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة** » (١) فخروج مبنى الكنيسة عن الغاية التى أنشئ من أجلها ، وتحول إلى مركز للمشروعات الاستثمارية ، يجعله بلا جدوى أمام الله ، ويفضل الله آنذاك أن ينفيه من أمامه (٢) . فالهياكل الحجرية قد يحولها رجال الدين الأشرار القائمين عليها إلى بيوت تجارة ، وإلى مغارة لصوص (٣) ، وإلى ما هو أصعب (٤) .

❖ الانسان الذى يشعر بالاحتياج المطلق إلى الله ، هو نفسه يتحول إلى هيكل حتى بدون مبنى وبدون أحجار ... فكما قال الرب لسليمان عن هيكل الحجر الذى بناه « وتكون عيناى وقلبى هناك ... » (٥) هكذا هنا فى سفر إشعياء يقول : « إلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامى » (٦) . فالله يهمه هياكل البشر ألم يقل الرب يسوع للسامرية « صدقينى أنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآن ... الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (٧) .

والمسيح قال عن نفسه أنه هو هيكل الله الحقيقى « وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده » (٨) أما بولس الرسول فقد علم بوضوح قائلاً : « أم لستم

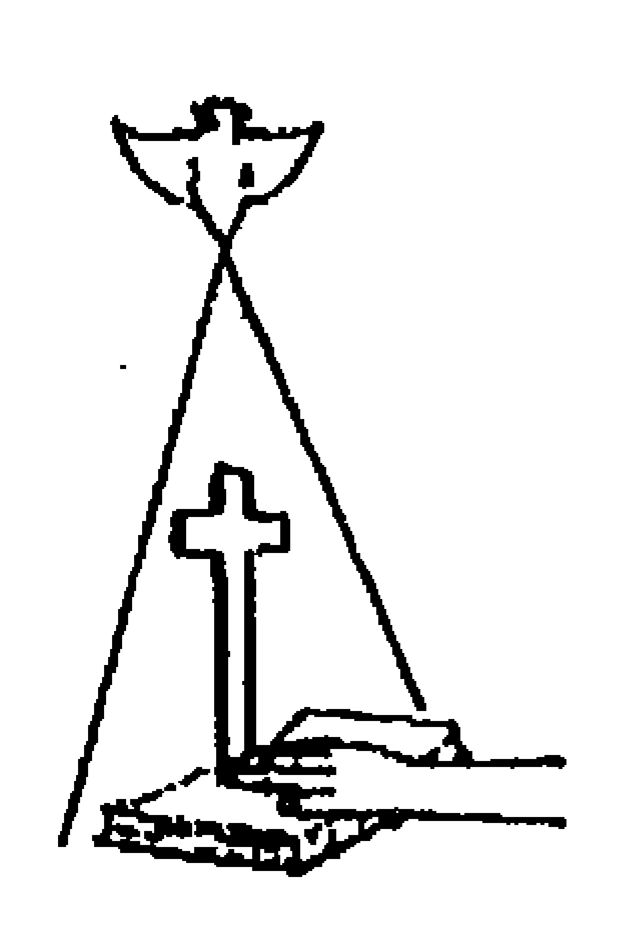
---

(١) يو ٢ : ١٥ . (٢) ١مل ٩ : ٦ ، ٧ . (٣) أر ٧ : ٩ .
(٤) ١صم ٢ : ٢٢ . (٥) ١مل ٩ : ٤ . (٦) اش ٦٦ : ٢ .
(٧) يو ٤ : ٢١ – ٢٤ . (٨) يو ٢ : ١ .

تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله » (١) فالمبان الحجرية ما هى إلا الدار الخارجية ، أما قلوب البشر أنفسهم فهى قدس الأقداس الذى يحل فيه الله دائمًا ، أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم » (٢) . بهذه الهياكل البشرية عاشت الكنيسة أيامها الأولى قوية وناهضة ونامية ، قبل بناء هياكل حجرية .

❖ وأننى الآن أتعجب عن الذين يقيسون نهضة الكنيسة بكمية الهياكل الحجرية ، والمشروعات الاستثمارية التى قامت بها كنائسهم ، وفى نفس الوقت لا يعبأون بالهياكل البشرية التى يدنسها الشيطان ويخربها ، ويجعل المسيح لا يحتمل البقاء فيها !

ويعجبنى القديس غريغوريوس صانع العجائب الذى رُسم على ايبارشية لم يكن فيها غير سبعة عشر شخصاً مسيحياً ، ولكنه قرب وفاته صلى شاكراً الله قائلاً : « ... الآن لم يعد فى الايبارشية ممن لا يؤمنون بك إلا سبعة عشر شخصاً ، فتعطف يا الهى متنازلاً وهب نعمة الايمان لهؤلاء أيضًا ليدخلوا ضمن بيعتك ... » هذا هو المقياس الحقيقى لنهضة كنيسة البشر ...



(١) ١كو ٦ : ١٩.   (٢) ١كو ٣ : ١٦ .

٥٥- خليقة جديدة فى المسيح

من سمع مثل هذا ؟ من رأى مثل
هذه ؟ هل تمخض بلاد فى يوم
واحد أو تولد أمة دفعة واحدة ؟
هل أنا أمخض ولا أولد يقول الرب ؟
أو أنا المولد ، هل أغلق الرحم قال الهك ؟
(اش ٦٦ : ٨ ، ٩)

وبعدما حاول الوحى عن طريق إشعياء النبى أن يزيل كل ما عشش فى أفكار اليهود عن السبى ، وما قبله وما بعده ... فليست العودة إلى الأرض هو التحرر من السبى ، بل العودة القلبيـة إلى الله ... وليست أورشليم الأرضية هى الهدف ، بل جبل صهيون السمائى ، وليس اعادة بناء الهيكل هو علامة الرضى الالهى ، بل الايمان بالمسيح هيكل الله الحقيقى ، وموضع التقاء الله بالانسان ، والذى يطهرنا كهياكل حية لله ...

ختم إشعياء النبى نبوته بأن الأمة اليهودية ستولد ولادة جديدة دفعة واحدة ، حين تتوب توبة جماعية « فينظرون إلىّ ، الذى طعنوه ، وينوحون عليه كنائح على وحيدٍ له ، ويكونون فى مرارة عليه كمن هو فى مرارة على بكره » (١) .

تلك الولادة الجديدة الجماعية للأمة اليهودية ، التى تناقش فيها ربنا يسوع المسيح مع معلم اليهود نيقوديموس متعجباً : « أنت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا ؟ » (٢) . أى أن كل معلم فى اسرائيل ينبغى أن تكون هذه الرؤية النبوية واضحة فى ذهنه ، وإلا فهو يتكلم من الأرض « الحق الحق

---

(١) زك ١٢ : ١٠ .   (٢) يو ٣ : ١٠ .

أقول لك أن كان أحد لا يولد من فوق (من الأول ، أو من جديد) لا يقدر أن يرى ملكوت الله » .

❖ لقد ولدت الأمة اليهودية فى المسيح ولادة جديدة ، فعندما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية ، تكون الأمة اليهودية قد حققت الغرض الالهى الذى من أجله أختارها الله فى ابراهيم ، وبعد ميلاد المسيح وهتاف الملائكة « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض سلام وبالناس المسرة » (١) وصوت الله الآب من السماء قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (٢) . لم يعد للأمة اليهودية أى امتياز عند الله عن سائر الأمم الأخرى ، « لأن الله فى المسيح كان مصالحًا العالم لنفسه (بما فيهم اليهود) غير حاسب لهم خطاياهم » (٣) « لأنه فيه سر أن يحل كل الملء ، وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته » (٤) «ويصالح الاثنين (الأمم واليهود) فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة » (٥) .

❖ اليهود الذين تمسكوا بأفكارهم الأرضية ، ولم يقبلوا معمودية المسيح ، فهم الذين « قتلوا الرب يسوع (كمل قتلوا جميع) أنبياءهم ، واضطهدونا نحن (المسيحين) وهم غير مرضيين لله وأضداد لجميع الناس ... ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية » (٦) .

❖ نبؤة إشعياء عن ايمان الأمة اليهودية بالمسيح ، وقبولهم لمعموديته قبولاً جماعياً فى يوم واحد ، قد ثنى عليها الرسول بولس قائلاً « فإنى لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السر . لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء . أن

---

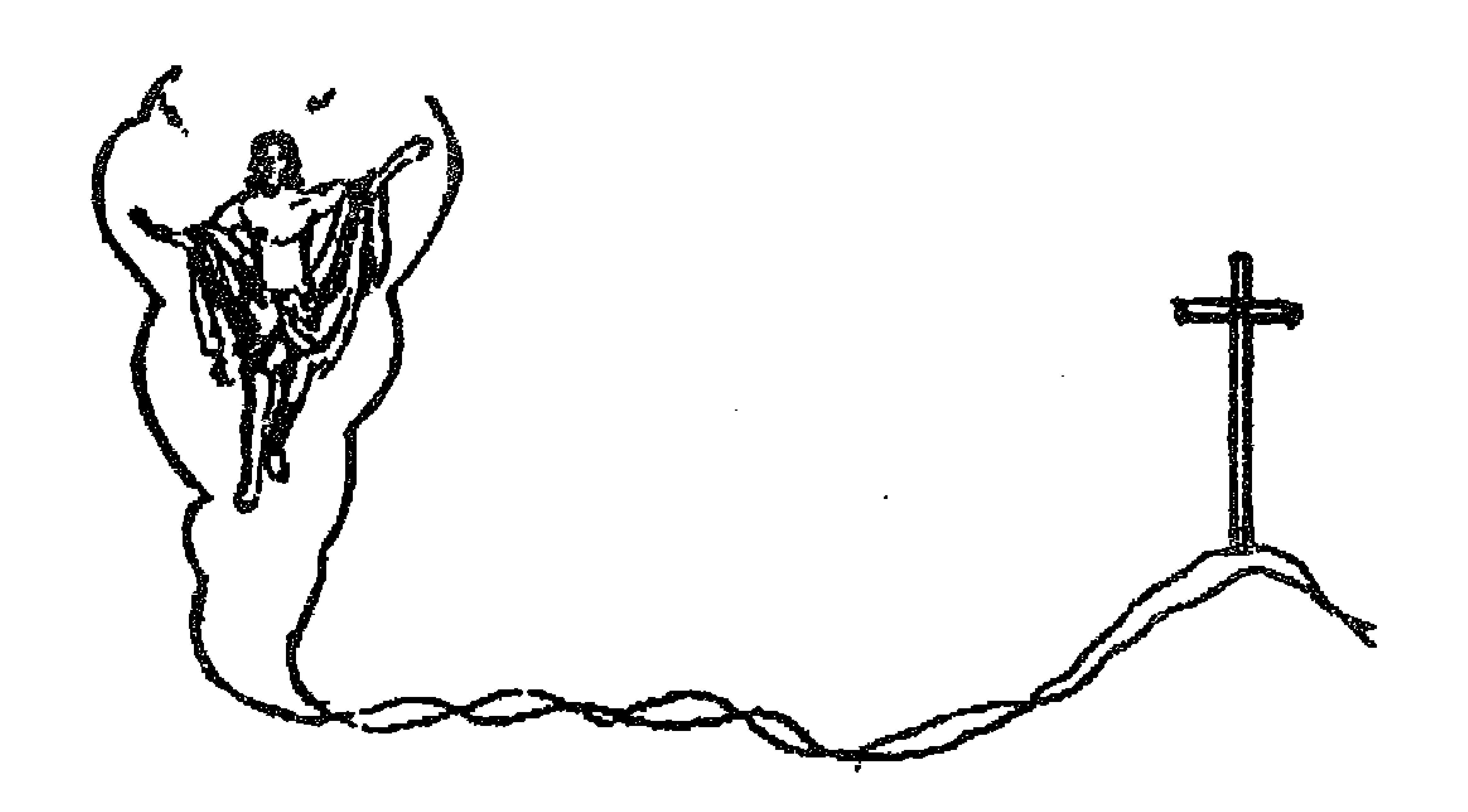
(١) لو ٢ : ١٤ . (٢) متى ٣ : ١٧ . (٣) ٢كو ٥ : ١٨ .
(٤) كو ١ : ١٩ . (٥) اف ٢ : ١٦ . (٦) ١تس ٢ : ١٥ .

القساوة قد حصلت جزئيًا لاسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم . وهكذا سيخلص جميع اسرائيل (بايمانهم الجماعى بالمسيح وتعميدهم) . لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة (١) .

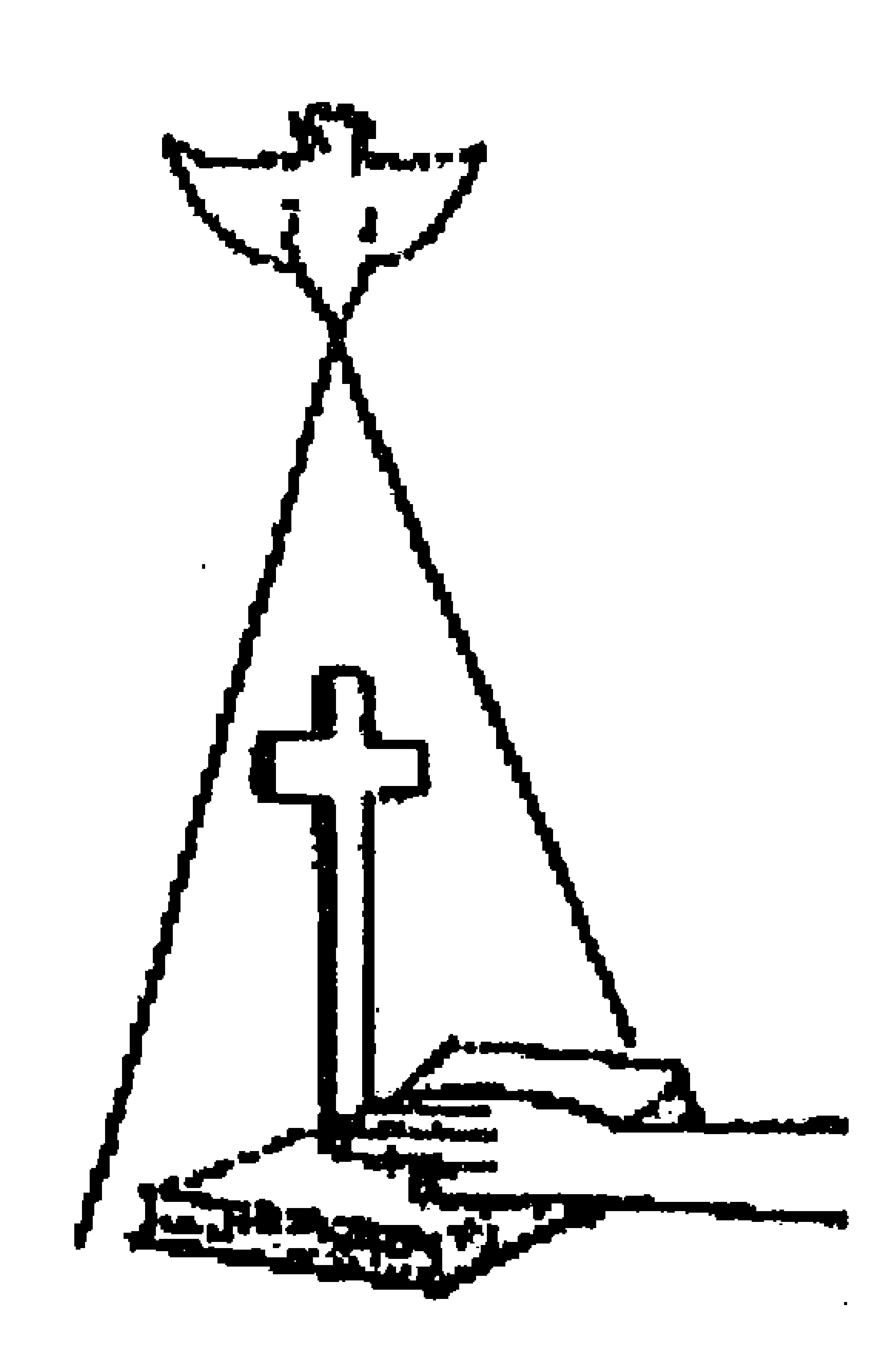
❖ الله جل جلاله ، المتحكم فى كل الولادات الطبيعية لخلائقه والذى جعل العذراء مريم تلد لنا الرب يسوع المسيح كى نولد نحن ولادة جديدة فيه سيقدر أن يحقق نبؤته هذه قبل مجئ المسيح الثانى ...

له كل المجد والبركة إلى الأبد

آمين.



(١) رو ١١ : ٢٥ .



الفهرس

	صفحة
مقدمة .	٧
١- عندما لا تجدى العقوبة .	٩
٢- تدين قطاع خاص .	١١
٣- قرية زانية .	١٤
٤- فى يد النصابين .	١٨
٥- مسئولية المسئولين .	٢١
٦- أين الثمار .	٢٤
٧- هل يمكن لانسان أن يرى الله .	٢٨
٨- مشاعر انسانية عند الله .	٣١
٩- عن تحضير الأرواح .	٣٤
١٠- أليست التوبة أفضل .	٣٧
١١- ناشر ومنشار .	٤٠
١٢- هل هو الشيطان .	٤٤
١٣- هامش لتغيير القدر .	٤٧
١٤- اسرائيل والأمم .	٥٠
١٥- مجلس الشورى .	٥٣
١٦- عندما نحتاج إلى النجدة والمعونة .	٥٦
١٧- ولكن .	٥٩
١٨- هروب غير مجدٍ .	٦٢
١٩- البكش الدينى .	٦٥

صفحة

٢٠- مدينة الازدهار الاقتصادى . ٦٨

٢١- ضرب الحبيب . ٧١

٢٢- هذه حفظتها منذ حداثتى . ٧٣

٢٣- دروس من الكمون وحبة البركة . ٧٥

٢٤- وأنا تراب ورماد . ٧٨

٢٥- فى كور التنقية . ٨٣

٢٦- يمسح الله كل دمعة من عيونهم . ٨٦

٢٧- أخرج من ذاتك . ٨٩

٢٨- أترك الله يعمل فى حياتك . ٩٢

٢٩- ليس مثل الله . ٩٥

٣٠- قانون الزرع والحصاد . ٩٨

٣١- علاج الشعور بالاعياء . ١٠٢

٣٢- السر المكتوم منذ الدهور . ١٠٤

٣٣- العقيدة النامية . ١٠٧

٣٤- درجة الكمال الروحى . ١١٠

٣٥- تجديد الروح القدس . ١١٣

٣٦- أصنام قديمة وأصنام حديثة . ١١٦

٣٧- وحدووووه . ١١٩

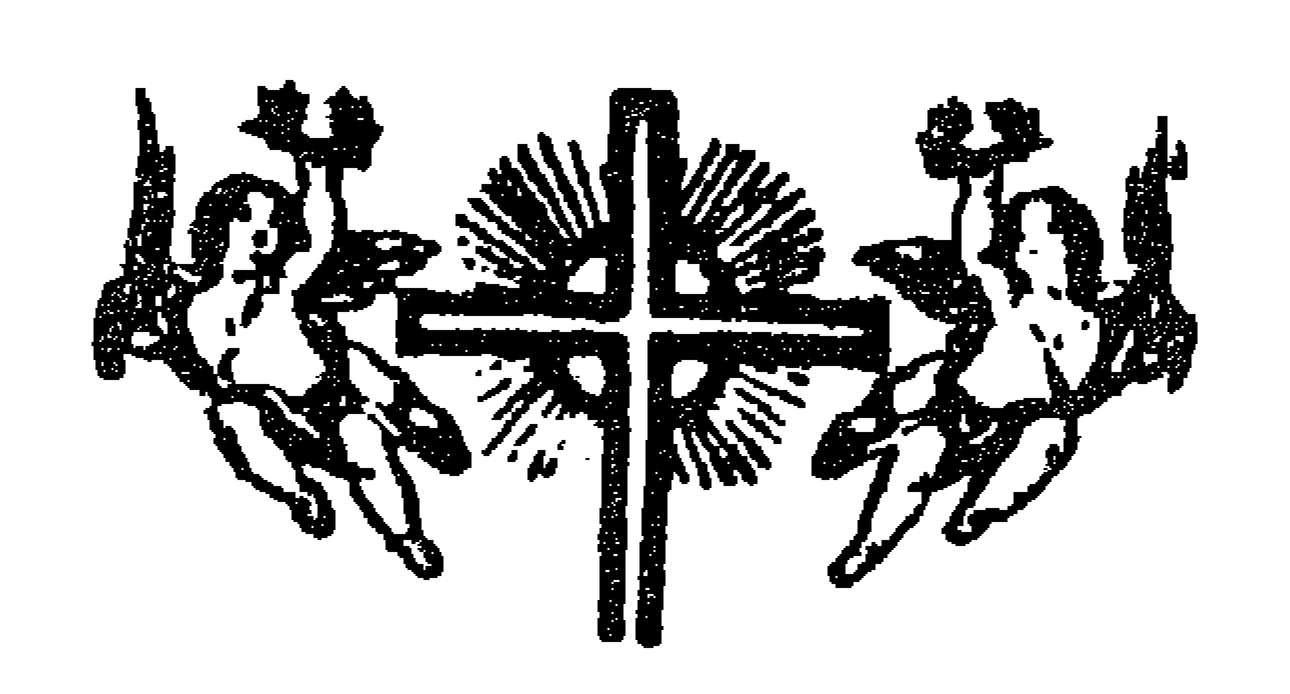
٣٨- الشهادة لله . ١٢٢

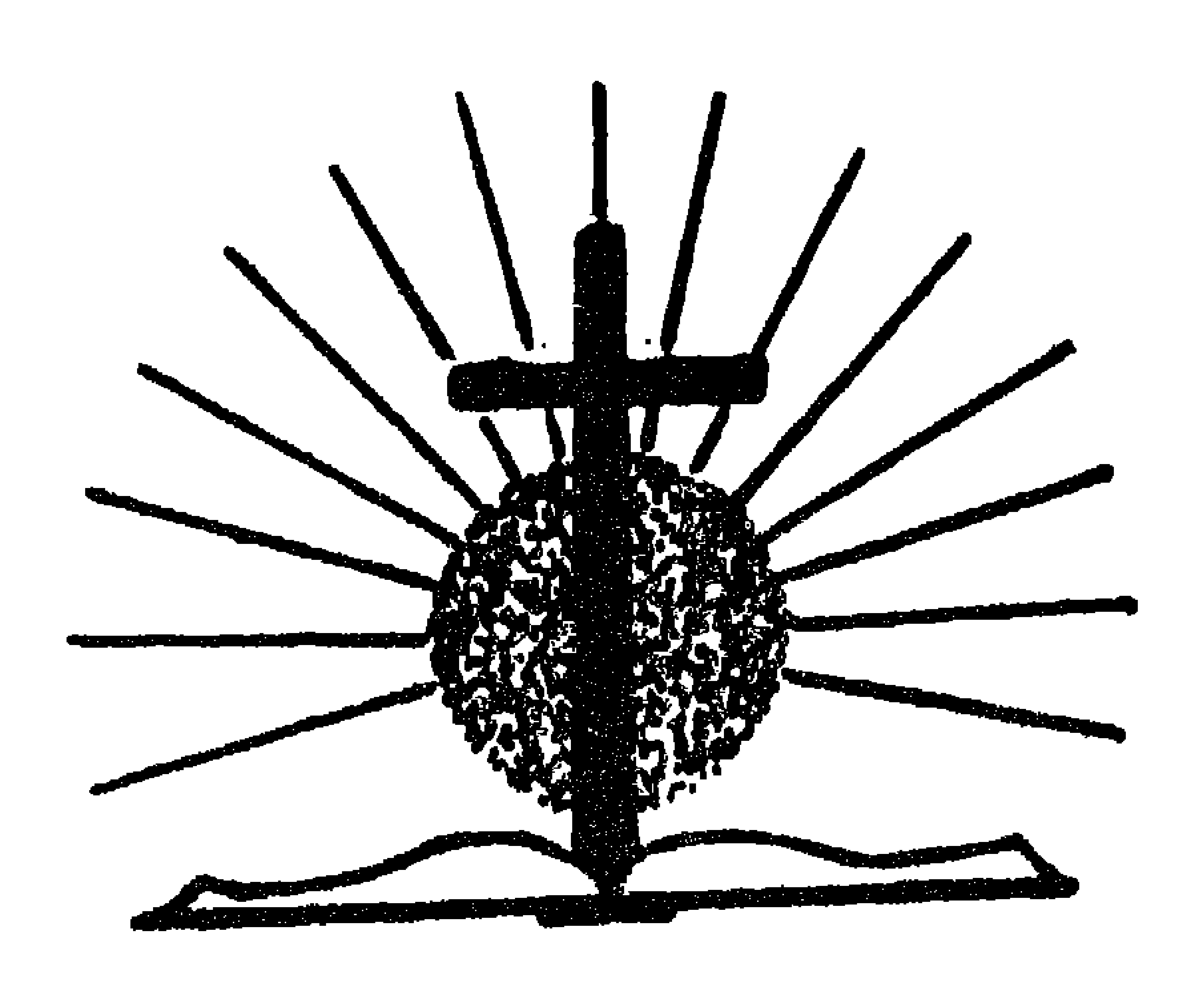
٣٩- أمومة المسيح العجيبة . ١٢٥

٤٠- الانتماء للمسيح . ١٢٨

٤١- محبة أم استيلائية . ١٣١

	صفحة
٤٢- لماذا ينصرف الناس عن الله .	١٣٤
٤٣- عندما نمتحن فى ايماننا .	١٣٧
٤٤- اله كل عزاء .	١٤٠
٤٥- أخلى ذاتك .	١٤٢
٤٦- الشعبية والهدف .	١٤٤
٤٧- النعمة المجانية .	١٤٧
٤٨- طمأنينة كاذبة .	١٥٠
٤٩- هلا عزينا قلب الله .	١٥٣
٥٠- تداريب مشروطة .	١٥٥
٥١- سحاب وحمام .	١٥٨
٥٢- ثوب مغموس بدم .	١٦١
٥٣- الله يسأل أين أنت ؟	١٦٤
٥٤- هيكل الحجر ، وهيكل البشر .	١٦٦
٥٥- خليقة جديدة فى المسيح .	١٦٩






يطلب من مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج -
ت: ٠٣/٥٩١٩٨٨٨ فاكس: ٠٣/٥٩٠٢٨٨٨